رجل بثلاثة فساتين

رواية

الطبعة الأولى يناير ٢٠٢٠

الكتاب : رجل بثلاثة فساتين

المؤلف : محمد ناصر

تدقيق لغوي : دعاء إمام

تصميم الغلاف : ياسمين ناصر

رقم ايداع: 2019 / 19709

دار مسار للنشر و التوزيع

01020439639

massar.pub1@gmail.com

ش - حسن خطاب - قسم يوسف بيك
- الزقازيق - الشرقية

محمد ناصر

رجل بثلاثة فساتين

مسار
للنشر و التوزيع
Massar publishing & Distribution

إهداء

نويت إهداءها لصديق يكبرني، علمني كيف هي الحياة ، فتحت عيناي على ضحكة شاربيه . حشرجة صوته، وهو يسألني عما توصلت إليه في كتابتها . انتهت الرواية، ولكنه لم يشهد نهايتها . انتهى دوره في حياة كاتبها، ولكن سيخلد ذكرك يا أبي ما بقيت روايتي تُقرأ . .

ماهى إلا بعض الأمور أنجزها، وسيكون اللقاء. . .

سلام على روحك الطاهرة . . .

سلام عليك يا أبي . .

إهداء ٢

إهدائي لامرأة تخطو؛ لتصنع فوهة أرض داخل جنة النعيم، أخبرتني يومًا أن الأحلام تتحقق إذا آمنا بها ، علمتني يومًا كيف أخط الحروف واليوم تعجز حروفي عن امتناني لها ، أعطتني زهرتين وأخبرتني أنهما مفتاح الجنة؛ فاحتفظ بهما جيدًا ، أمي وإخوتي أنا هنا بفضلكم . دمتم لي،
أحبكم كثيراً. . .

» إلى من أعطتني الحب . . . ما زلت على العهد «

مقدمة . .

أعرف عن نفسي الكثير .
أنا من لم يزره الحب يومًا.
أنا من تهربت منه حوريات الجنة، وتلاعبت به ساقطات النار . .
أخبروني أن سبيل الحب بدايته شوك، ونهايته الورود . .
لكن انتهى بي السبيل، وطريق الشوك لم ينتهِ.
قد علموني أن الحب أن تحفر؛ لتزرع وردة جميلة يظل عطرها لا يفارق صدرك ، ولكني وجدت نفسي أحفر قبرًا يسع جسدي، وبقايا حطام قلبى !

الفصل الأول

البدايات دائمًا جميلة، ولكنها لن توصلك للنهاية بشكلها الحقيقي، فبداية النظر للوحة بخطوطها الأولى تجدها بحرًا أزرق، وفي منتصفها تظنها إحدى أنواع السمك الجميل ، ولكن في النهاية هي حوت يبتلع أحلام يونس! البدايات دائمًا تخدع الناظر، ولكن ليس صاحب الصورة !

القاهرة ٠٩:٠٠ صباحًا

أسند ظهره إلى مسند فراشه، ومال بجزعه ملتقطًا سجائره، و بشفتيه أخذ واحدة، وأشعلها، و نفث دخانها أمامه، وأخذ يتأملها بصمت، ولكن عقله لا يصمت .
» ها هي ليلة أخرى قد مضت . سعادة لحظية تقضيها في النوم؛ هروبًا من واقعك المرير ، ولكنك تعود إلى التفكير الذي يخنقك، لا

مفر منك يا هذا . لماذا يجبرنا النسيان على التذكر ؟ لماذا لا يقوم بوظيفته كالخمر الذي نسقيه إلى أنفسنا فترة من الزمن ونقنع أنفسنا بأننا فى حالة من اللا وعي ، ولكنه مجرد وقت، وستجد نفسك أمامها من جديد بصورة تفزعك كأنها تعاقب هروبك . لا تهرب لأنك في النهاية ستواجه! »

أغمض عينيه منهيًا حديث عقله، وأستمتع بما تبقى من سيجارته، ثم أطفأها ضائقًا، ها هي اللحظات الأكثر كرهًا بعد السعادة اللحظية التي كان يتحدث عنها عقله . نهض عن الفراش، وتوجه بثبات إلى الشرفة، وفتحها؛ فلفح الهواء البارد صدره العاري؛ فتذكر أن الشتاء في أقسى أيامه برودة، ولكنه لم يعبأ، وخرج إلى الشرفة مبتسمًا . سعادة لحظية أخرى يحب أن يعيشها .

استند بساعديه على سور الشرفة، وشرد عقله من جديد، ولكنه أغمض عينيه منهيًا حديث عقله المنهك في إلقاء سيل الذكريات على عاتقه، فدخل عن الشرفة ارتدى قميصه الأبيض، والتقط بعض الأوراق، وذلك القلم الوحيد الموجود على الطاولة، وخرج من الغرفة، ونزل بثبات على الدرج، وعقله يعمل من جديد .

وجد نفسه في حديقة هادئة لا يوجد بها الكثير، وشعر ببعض النسيم يداعب شعره، وجسده؛ فابتسم، وتوجه إلى كرسي قريب، وقبل أن يضع الورق طارت الورقة العليا، عن يده فوجِل، وحاول الحفاظ على بقية الأوراق . . .

طارت الورقة في مسارها، حيثما توجهها الرياح؛ لتصطدم بذراع امرأة ما، والتي التقطتها بأناملها، ونظرت داخلها؛ فقطبت جبينها بتعجب إلى ذلك الاسم المدون بداخلها :

رواية » رجل بثلاثة فساتين » للكاتب محسن الغايب

رفعت نظرها إلى ذلك الشاب الوسيم الملامح الذي يقف أمامها، وفي يده مجموعة من الأوراق تشبه تلك التي بين أناملها؛ ففهمت أنها له، ومدت يدها بالورقة إليه، وقالت بثقة :

- على فكرة الاسم جميل أوي وعجبني جدًّا ، بس غريب !

ابتسم لها محسن، وكأنه مدرب على رسم هذه الابتسامة المجاملة، والتقط منها الورقة، ثم استدار وهب أن يعود حيث أتى فهزت المرأة كتفيها، وقالت :

- على فكرة بردو مش بجاملك، هو حقيقي حلو، لا تستدعي الضحكة الصفرا دي يعني

اتسعت ابتسامة محسن تلك المرة، وضم الورقة إلى ذويها، ثم التفت لها مرة أخرى، وقال برسمية :

- سعيد إني قابلت حضرتك

نظرت المرأة للورق، وقالت :

- هبقى أسعد لما أعرف إيه معنى اسم الرواية؟

- أنا معرفكيش عشان أشرح لك اسم الرواية

- ولا أنا كمان أعرفك ، بس أنا اللي بطلب منك إني أعرف

- ولو مش حابب أقول؟
- وفيه مؤلف برضه بيبخل على قرائه إنهم ميعرفوش المحتوى اللي كاتبه ؟
- أنا مش مؤلف ، وانتى مش قراء !
- بس انت كتبت ، وأنا حابه أعرف انت كتبت إيه ، يعني بقيت مؤلف وأنا بقيت قارئ
- كده انتي مضطرة تقرأي الأحداث كلها علشان تعرفي . قالها محسن
لوت المرأة شفتيها، وقالت بتبرم :
- بس أنا مبحبش القراءة مليش طولة بال .
نظر إليها محسن نظرات تحمل الدهشة مع السخرية وقال:
- وانتي عاملة دا كله، وفي الآخر تقوليلى مش بحب القراية وماليش طول بال عليها ؟
نظرت إليه المرأه فى تحد ممزوج بابتسامة خبيثة .
- ما تحكيهالي !
ضحك محسن ضحكة مرحة، وقال :
- احنا كده هنقعد طول اليوم نحكي
تحركت المرأة، وجلست على أقرب مقعد، وقالت بتسلي :
- عن نفسي مش ورايا حاجة، وجايبة معايا وداني وجاهزة أسمعها كلها

ضحك محسن مرة أخرى، وذهب ليجلس بجوارها تاركًا مسافة فاصلة، ثم وضع الورق في هذه المساحة، وقال بابتسامة مصطنعة:

- هتكوني أول واحدة تسمعي رواية مكتوبة قبل ما يتوضع لها نهاية

- دا شرف كبير ليا إني أكون أول واحدة أسمع رواية من المؤلف نفسه

- نبدأ . .

- متشوقة . . .

نظر محسن إلى الأوراق بجانبه بتردد ،كان كمن ينظر إلى أشياء مخيفة ، يداه ترتعش يتساقط العرق من جبينه بغزارة، تواردت جميع الأحداث إلى خياله كغول مفترس يلتهم فريسته فى اشتهاء وقوة ، أغمض عينيه للحظات، وحاول التماسك ثم فتحها مرة أخرى، وقال موضحًا . .

- كل اللي هتسمعيه أنا عيشته لحظة بلحظة . .

المرأة باندهاش :

- ليه؟ هي دي قصة حياتك !!

- نبدأ . .

قالها محسن باهتمام، وهو يبتلع ريقه، ومغمضًا عينيه

***

في شركة (. . . . .) لتصنيع المياه الغازية

كان محسن يتحدث فى الهاتف،و زميله يجلس بجواره منكبًّا على مكتبه، ينهي عمله بجِد وحماس
انتهى محسن من مكالمته الهاتفية، وأغلق الهاتف
في غضب، وزفر في حنق شديد
فانتبه له زميله سامح، وقال . .
-مالك يا محسن بتنفخ وزهقان ليه ؟
-عمتى كل شوية اتجوز ، جيبالك عروسة أنا تعبت من الموضوع ده، كل دقيقة عاوزة أفرح بيك قبل ما أموت
-حقها برضه يا ابنى راعيها ، انت ابنها اللى مخلفتوش، وعايزه تفرح بيك
- يا سيدي مقلتش حاجة ، عارف ومقدر كل دا ، بس انا مستحيل اتجوز صالونات
هنا أغلق سامح الأوراق والتفت إليه فى انتباه، وقال :- وماله بقى الصالونات ياعم محسن ؟
- ملل . . تحسه بيع وشراء ،واحدة تروح تشوفها يا تعجبك تاخدها ، معجبتكش تسيبها ، فين الهدف هنا لما البنت تحس إنها سلعة للي يعجبها أو يدفع أكتر ؟ أو حد جاهز، وبيتجوز

واحدة لمجرد انه معاه فلوس أو إن البنت حلوة شكلًا، ولا يعرف هل هي هتعرف تفهم طباعه ولا هتقدر ظروفه وغضبه وتقلباته ، تحس إن الموضوع مقايضة !

- بعد الجواز يا محسن كل واحد بيفهم التاني وبيطبعوا على بعض

- أنت مصدق اللي أنت بتقوله ده ؟! على فكرة بقى ده أكبر غلط فى مجتمعنا . . لما يتجوزوا هيطبعوا على بعض . قصدك لما يتجوزوا كل واحد هيحاول يحوش طباعه الوحشة عن التاني لأطول فترة ممكنة، ويتجنبها لحد م ينفجروا فى وش بعض، ومن هنا تبدأ المشاكل، ونقول احنا ليه اتغيرنا !. شوف يا سامح الموضوع عامل زى المغناطيس لما تجيب مغناطيس وتحطه مع مغناطيس كمان مبيجذبش ولا بيلزق؛ فـ كل واحد يضطر يشوف بره اللي يكمله ونرجع نشتكي فـ لزمتها إيه من الأول ؟!

نظر له سامح بتفهم، وقال :

- والله وطلعت بتفهم ياد يا محسن عندك حق بس أنا مراتي ما بتعملش كده ليه ؟!

ابتسم محسن،وقال بخبث :

- علشان كل الناس عارفين انه صالونات إلا أنا اللي كنت شاهد على قصة الحب العنيفة بتاعتك يا روميو

هنا تعالت ضحكات سامح بشدة؛ فشاركه محسن الضحك، حتى

هدأ كلاهما، فقال سامح مسترجعًا جديته من جديد :

- صحيح انا اتنقلت، وهروح فرع الشركة فى أكتوبر، ابقى أسال عليا بقى متبقاش ندل .

- عرفت يا اخويا وماتخافش، هاجي على نفسي، واسأل عليك انت عشرة عمر بردو، احنا متعينين هنا سوا . . بس متعرفش مين هيجى مكانك هنا ؟

- بيقولوا واحدة ست هتهيص انت بقى شكل دعاوي خالتي الحجة هتتقبل اهه

- على أساس إني خاربها يعني ما أنت عارفني، وعارف حظي في الحب، وبعدين أنا سمعت إن مكتب أكتوبر كله ستات؛ دا أنت مراتك هتعلقك

فعادت ضحكاتهم تتعالى من جديد . . .

***

محسن للمرأة :

- فرحت وقتها لما عرفت إن اللي هتشتغل معايا في المكتب واحدة ست حسيت إن الأجواء هتختلف شوية كان قلبى مقبوض جدًّا ، بس عندي رغبة شديدة إني أخوض التجربة ، بس مكنتش أعرف إن دي هتبقى نقطة تحول بالنسبة ليا

قطبت المرأة ما بين حاجبيها، وتساءلت بفضول :

- يعني ايه ؟ حبيت البنت اللى جت دي ؟!
صدر من محسن ابتسامة غريبة، وأكمل :
- لكل حكاية أبعادها . . اصبري هتفهمي

***

بعد ثلاث شهور . . . .

كان محسن يجلس على مكتبه معه نفس المكالمة من عمته، و قام بإلقاء الهاتف على المكتب في غضب؛ فنظرت له » ندى« وهي ممسكة بحاوية الأوراق تحاول فتحها :
- إيه نفس الموضوع
بردو ؟!
- وهو فيه غيره ؟ أنا تعبت من الموضوع ده بجد قرفت . قالها محسن غاضبًا
ندى الشريف فتاة تبلغ من العمر خمسة وعشرين عامًا، متوسطة الطول محجبة، وتمتاز بجمالها الهادئ. ندى ورغم طيبتها المتناهية، إلا أنها لا تخلو من صفات الفتيات المجنونة.
ضحكت ندى ضحكة رقيقة :
- مفيش فايدة ريحها يابني، وإتجوز بقى
نظر لها محسن مغتاظًا :

- بردو هتقولي إتجوز أنتوا ليه محسسني أن الجواز بالساهل، ولا تحمل المسئولية والمجازفة زرار هدوس عليه هلاقيني إتجوزت
قالت ندى، وهي تحاول جاهدة فتح حاوية الورق :
- ريحها . شوفلك واحدة مناسبة ليك، واتجوز، واستقر هي عاوزة تفرح بيك
نفض محسن الفكرة من خاطره، وقال :
- إن شاء الله . المهم سيبك من الموضوع ده، وقوليلي بتعملي ايه !
لوت ندى شفتها السفلى كالطفلة، وقالت :
- الباكت الرخم ده طلع عيني، ومش راضي يتفتح مني
ابتسم محسن، وقال مغازلًا :
- يعني الباكت الوحش ده هو اللي مزعل البرنسيسة هاتيهولي، وأنا افتحهولك من عنيا ، الإيدين دول ما ينفعوش في فتح الباكتات
ابتسمت ندى في خجل وأعطته الحاوية؛ ففتحها في حركة واحدة؛ فلمعت عيناها بإعجاب، وقالت :
- وااااو ماشاء الله عااش، مكنتش عارفة هفتحه إزاي من غيرك؛ لأن بيبقى ماسك على الورق جامد أوي .
ابتسم محسن، وتنحنح بخشونة غامزًا لها :
- نحن هنا يا ست البنات.
ابتسمت ندى بخجل، فأكمل محسن قائلًا :

- أنا هنزل أجيب فطار، علشان نقعد نفطر قبل المدير ما يجي، و نتجازى أنا وانتي . ها طلبك المعتاد ولا تحبي تجددي .

ابتسمت ندى وقالت بهدوء :

- المعتاد .

ابتسم بحب، وقلبه يرفرف في جنبه، وخرج من المكتب، وعقله يتحدث بتساؤل :

- هل » ندى » هي الحب الذي كان يبحث عنه كل هذه الفترة؟ هل حقًّا هي فتاة أحلامه ؟! ابتسم محسن للكلمة لِمَ لا؟ فهي امتلكت قلبه منذ الوهلة الأولى منذ أن عهدها أنثى رقيقة تشعره برجولته طوال الوقت، تفهمه وتفهم ما يريد قبل أن يطلبه ، رقتها وعذوبتها فى حديثها تذهب به إلى بلاد بعيدة عن الواقع ، هل ثلاثة شهور كافية ؟ نعم كافية؛ فهو لم يشاهد مثلها أبدًا. إذًا هي الحب الذي كان ينتظره . نعم إنه يحبها وستكون من نصيبه ذات يوم . .

***

المرأة بتعجب :

- نعم ! حب وبسرعه كده لدرجة الارتباط ! المبرر اللي قولته ما يخلكش تفكر فيها كحب

نظر لها محسن بضيق قائلًا :
- لأ حبيتها كنت بحس معاها إني مبسوط، وبنسى كل الدنيا وأنا معاها .
- نعم ! دا اللي هوا ازاى يعنى ؟
ابتسم محسن من حيرة المرأة المتعجبة، وقال بهدوء :
-انتي لسه ما سمعتيش حاجة ما تستعجليش . وما تقاطعينيش لو سمحتي

***

أكمل محسن طريقه لإحضار الطعام، وعقله يعمل كالآلة، ليقطع عليه أفكاره ذلك الصوت الأنثوي الغاضب، فالتفت محسن خلفه ليراها تقترب، و علامات الغضب على قسماتها الجميلة فتزيدها جمالًا .
مروة في غضب :
- انت رايح فين يا أستاذ؟!
مروة المصري ، مروة فتاة تبلغ من العمر سبع وعشرين عامًا ، تشغل مروة وظيفة ال H .R الخاصة بشركة محسن ، ورغم جمالها وشعرها الناعم الذي يدل على مظهرها الأنثوي الرقيق ، إلا أنها تمتاز بالقوة والصلابة التى لا تستطيع أي فتاة امتلاكها .

ابتسم محسن، وقال بود :
- رايح أجيب أكل
تفاقم غضب مروة، وقالت بضيق :
- والله ! وأنت كل يوم هتروح تجيب أكل للهانم اللي قاعدة فوق دي، وهي قاعدة زي الأميرات كدة ! ما تروح تجيب لنفسها، ولا شغلتك لحسابها، وأنا معرفش ؟!
قال محسن بتسلي، وهو يستمتع بنبرتها الغيورة :
- لأ مش مشغلاني لحسابها وممكن تهدي ؟!
قالت مروة، وهي تكتف يديها أمام صدرها في غضب :
- أصلًا أنت اللي عودتها على كده ، واهتمامك بيها بقى أوڤر
اقترب منها محسن قائلًا بـود، وهو يحاول امتصاص غضبها :
- تعرفي إنك وحشتيني و وحشتني مناخيرك اللي بتحمر من العصبية دي !
لانت ملامح مروة لدرجة كبيرة، وابتسمت قائلة بعصبية مفتعلة:
- اضحك عليا بكلامك الحلو ده علشان ما اتكلمش في موضوع الهانم اللي فوق
ضحك محسن، وهو يلتقط كفها في الخفاء :
- مقدرش إنتي اللي في قلبي لوحدك كده و خداه كله لحسابك يا حلو أنت .
قالت مروة، وهي تنظر أرضًا :

- ما تزعلش مني بس انا بغير، و مش قادرة أتقبل فكرة إن أنت وهي في مكتب واحد، وبتتكلموا طول الوقت، أنا أولى منها بكل وقتك وكلامك ده

قبّل محسن كف يدها قائلًا :

- قولتلك عيني مش بتشوف غيرك، وبعدين ما تزعليش أنا قربت أصلًا أتنقل من المكتب . انا اطول أن أجمل H .R في مصر تغير عليا

ابتسمت مروة في حب، وقالت وهي تقترب منه :

- طيب إيه رأيك نخرج نتعشى مع بعض النهاردة لوحدنا؟

محسن برضى :

- وهو كذلك أنتِ تؤمريني نخلص شغل، ونطلع المكان اللي تقولي عليه أنا موافق

قالت مؤكدة بغضب يشوبه الدلع :

- لو اتأخرت هقتلك

- بحبك.

- وأنا كمان بحبك أووي أووي

***

المرأة :

- لأ ثواني بس علشان انا توهت منك خاالص! أنت بتحب مروة،

ولا ندى، ولو كانت مروة موجودة من الأول ليه فكرت في ندى ! طيب كده ندى المقصودة بالفستان الأول، ومروة هي الفستان التاني صح ولا أنت بتعمل ايه بالظبط ، إيه العك دا!!
نظر لها محسن وصمت؛ فاستحثته على الحديث :
- طيب كمل سمعاك .

***

رحل محسن من أمام مروة، وهو ينظر لها بحب، وهي تعاود عليه نظراته بتعلق وحب أشد .
عاود عقل محسن التساؤل مرة أخرى .
« إن كانت ندى الفتاة التي يحبها هو، إذًا لمَ يجد نفسه مع مروة لمَ يشعر بالسعادة في وجودها أيضًا؟! ربما شخصيتها تعتبر فاكهة حياته بأسلوبها المسلي الشرس؛ لطالما كان هذا النوع المفضل لدى الرجال، ربما عليه أن يفكر في الأمر في وقت لاحق، ويحضر الطعام الآن .
وقف محسن ينتظر دوره، وهو يطوي الورقة بين يديه، فظهرت من العدم، وتعلقت في ذراعه بصورة مفاجئة؛ فابتسم كأنه ينتظرها، ونزل بنظره للأسفل قليلًا؛ فوجدها قصيرة القامة بشعر قصير و أعين رمادية، وابتسامتها المحاطة بغمازتين تزين ملامحها البريئة، فحركت حاجبيها، وقالت لميس بود :

- غدر الصحاب وحش ، فضلت مستنياك تفتح، وما فتحتش

لميس السيد ، فتاة تبلغ من العمر ستة وعشرين عامًا، تحمل من ملامحها كأجمل النساء في العالم ، تعشق التكنولوجيا والسوشيال ميديا، والتى من خلالها تم التعارف على محسن من حسن حظها أن الشركة التي يعمل بها تقطن بجانب منزلها ، جريئة مقبلة على الحياة بجميع ألوانها .

أمسك محسن بها من وجنتها، وقال ممازحًا :

- وحشتك صح أصلًا بتقل علشان ما تقوليش مدلوق

ضحكت لميس بمرح، وقالت محاولة السيطرة على ضحكتها :

- ده على أساس إننا بنتعرف على بعض وكده، دا أنا حفظاك أكتر من نفسك

ضحك محسن، وقال وهو يضع كف يده على يدها :

- كنتي مستنياني ليه فيه حاجة حصلت ؟!

هزت رأسها، وشحبت ضحكتها، وقالت :

- محتاجة أحكيلك شوية حاجات حصلت كده

قطب جبينه، واستشعر ضيقها، ثم ضغط على يدها قائلًا :

- ما تقلقيش أنا جنبك وهفتح النهارده، ونتكلم لحد الصبح

ابتسمت ، و وضعت رأسها على ذراعه؛ فتسارعت دقات قلبه بشدة، وكاد يخرج من صدره، ثم ابتسمت له، وأخذت مرادها وودعته، ورحلت؛ فشعر أن قلبه يريد أن يذهب معها ولا يبقى

بين ضلعيه أغمض عينيه مستمتعًا بهذا السيل من المشاعر اللطيفة .

***

نظر محسن للمرأة التي تجلس بجواره فوجد علامات التعجب والصدمة مرسومة على ملامحها بطريقة مضحكة فضحك بقوة ولكن كان الوضع مختلفًا بالنسبة لها، كان عقلها يعمل بصورة سريعة؛ فقالت :

- الفستان التالت صح

هز محسن رأسه ونظر أرضًا وقال :

- أحيانًا مش بنعرف مشاعرنا عاوزة توصل لفين بالظبط أو هي إيه أصلًا ، إحساسي كان بيختلف من واحدة للتانية ، المشاعر دى أكبر لغز فى حياة الإنسان ، مهما حاولتى تعرفى هيا عايزة إيه هتخشي فى طريق مش هترجعي منه .

المرأة : يعني أنت كنت بتحب مين فيهم ؟! لميس صح؟!

محسن بتفكير :

- الغريب إني مكنتش قادر أحدد أنا بحب مين ! أنا كان وجود واحدة منهم قريب مني كان بيلغي وجود التانيين، كان قلبي بيدق لكل واحدة فيهم بطريقة خاصة بيها ، أنا كنت بلاقي نفسي معاهم كلهم كأنهم شيء يخصني ، كل واحدة فيهم بكون

معاها بشخصية
شعرت المرأة بالتخبط من حديثه؛ كيف يمكن لشخص أن يحب ثلاث نساء في وقت واحد بهذا الشكل الكبير؟!
أمسك محسن بالورقة الثالثة، وقرأ ما دوِّن داخلها بصوت واضح:
» مشاعر القلب تشبه جدران المتاهة، كلاهما لا يعرف أيهم يحمل باب الخروج «

******

الفصل الثاني

أحضر محسن الطعام، وعاد لمكتبه، فوجد ندى تتحدث فى الهاتف باهتمام شديد، فابتسم لابتسامتها، وجلس في هدوء، ولكن تنبهت حواسه لدى ذكرها اسم رجل آخر، وتضحك بأريحية؛ فشعر بنيران الغيرة تشتعل في صدره بقوة شديدة؛ جعلته ودون وعي منه يضرب المكتب بقبضته بقوة فانتبهت ندى لوجوده، و توترت بشدة؛ حينما رأت ملامحه الغاضبة؛ فأنهت مكالمتها سريعًا، و تساءلت بحذر :

- مالك يا محسن متضايق كده ليه ايه اللي حصل

محسن بضيق :

- كنتي بتكلمي مين !

تنحنحت ندى، وقالت، وهي تشير إلى الهاتف :

- ده سيد ابن عمي متربيين مع بعض، كان بيطمن عليا يعني وكده

طرق محسن بقبضته مرة أخرى بطريقة أجفلت ندى، وقال :

- وده اللي كان بيضحكك أوي كده يعني ؟!

حركت عنقها، وقالت :

- عادي يعني كنا بنهزر أصل . . .

محسن مقاطعًا :

- لا معلش الهزار يبقى برا المكتب بعد كده ده مكان أكل عيش.

وقف محسن، ووضع الطعام أمامها، وتوجه تجاه الباب؛ فنادته قائلة :

- رايح فين مش هتفطر

قال بضيق :

- لأ نفسي اتسدت رايح أشرب سيجارة.

تحرك للأمام خطوتين، فأتاه صوتها من جديد :

- محسن أنت بتغير عليا؟!

توقفت قدماه عن الحركة للحظة دون أن يلتفت لها، ثم أكمل طريقه للخارج مغلقًا الباب من خلفه . . جلست ندى على مقعدها، وهي تفكر باهتمام، حتى أنهت تفكيرها بابتسامة سعيدة رسمت على وجهها؛ فهي باتت شبه متأكدة أن محسن يكن لها الكثير من المشاعر.

***

وقف على الشرفة ينفض دخان سيجارته بعيدًا، وعقله مشتت للغاية، فوجد يد تلتف حول خصره؛ لتحتضنه، و التفت ليجد مروة، فأبعدها عنه برفق، قائلًا بضيق :

- إيه اللي أنتي بتعمليه ده إحنا في الشغل.

انزعجت مروة من حديثه، وغضبه غير المبرر، وقالت :

- وفيها إيه هي أول مرة وبعدين انت متعصب كده ليه أنا الHR هنا، ومحدش يقدر يقولي حاجة

- بس يقدر يقولي أنا، ولا انتي شايفة إن طالما انتي مش هتتأذي فأنا مش مشكلة

نظر محسن لندى التي خرجت من المكتب للطابق الأسفل؛ فتفاقم غضبه، ونظر من جديد للشرفة

ضيقت مروة ما بين حاجبيها، وتساءلت، وهي تنظر تجاه ما ينظر إليه ففهمت؛ وتساءلت غاضبة :

- بقى هي حتة البت دي اللي معصباك كده إما علمتهالك الأدب مبقاش أنا

محسن بضيق :

- ايه اللي انتي بتقوليه ده أنا محدش يقدر يضايقني أنا راجل خدي بالك من كلامك كويس أوي يا هانم

أرادت مروة أن تلطف حدية الموقف؛ فوضعت يدها على عنقه، وقالت بهدوء :

- خلاص يا حبيبي صدقني مقصدش انت أحسن راجل في الدنيا عليا وعلى أي حد أنا بس مبحبش أشوفك متضايق، وبعدين أنت أول مرة تزعقلي كده

حزنت ملامح مروة، ونظرت أرضًا؛ فدق قلب محسن من أجلها فوضع إصبعه أسفل ذقنها، ورفع رأسها تجاهه، وغمز لها بعينه، قائلًا :

- مقدرش على زعلك، وانتي عارفة بس لو مش انتي اللي هتستحمليني وأنا عصبي مين هيستحملني

هه ؟! متزعليش أنا بحبك.

ابتسمت مروة من جديد، وتعلقت بعنقه فجأة، وأرادت أن تقبله ، لطالما كانت جريئة لا تخشى شيئًا، فأسرع هو محاولًا تفادي الموقف، والابتعاد عن فضيحة أثناء العمل، و طبع قبلة أعلى رأسها؛ فرفعت حاجبها قائلة :

- أنت بتبوس راسي هو أنا الست والدتك

اكفهرت ملامح محسن من ذكر والدته أمامه، شعر بضيق فى التنفس، وذكريات تضرب عقله، وبدأت يده في الارتعاش ، ولكنه أخفى هذا الأمر من الظهور على ملامحه، وقال بنظرة رومانسية :

- يا جاهلة تعرفي ايه انتي عن قبلة الجبين أو الرأس دي ، دي حاجة كده وهم، كل البنات بتتمناها؛ بتحسسك قد ايه انتي مميزة، وبتحسسني إن أنتي ست الكل الخاصة بقلبي فهمتي ؟

لوت مروة فمها، وقالت بمزاح :
- جبين جبين مش مشكلة كل حاجة بتيجي بالتدريج
رفع محسن حاجبه بتعجب، ولكنه ضحك من جرأتها اللامتناهية؛ فابتسمت له . شعر محسن بوقع أقدام على الدرج؛ فأبعد ذراعي مروة عن عنقه، وتنحنح بصوت خشن رجولي، وقال :
- أنا هرجع أكمل شغلي علشان شكل في حد طالع
وضعت مروة يدها على صدره، وقالت بصوت هامس :
- بحبك
فابتسم لها، وعاد إلى مكتبه وهي تتابعه بنظرات شقية رومانسية.
تبدلت نظرتها الرومانسية إلى أخرى شديدة الغضب حينما وجدت ندى تصعد الدرج، وعلى وجهها ابتسامة هادئة، توجهت إليها، والغضب يتطاير من عينيها ثم وقفت أمامها، وبكامل قوتها أمسكت ذراعها؛ فتألمت ندى متفاجئة من ذلك الهجوم المباغت؛ فتساءلت بتعجب :
- فيه إيه ؟!
أجابتها مروة بتعالٍ :
- كنتي سايبة شغلك وبتلفي فين ؟! و ازاي من غير ما تستأذني
حاولت ندى نزع يدها من بين أصابع مروة، ولكن دون جدوى؛ فقالت بضيق :
- كنت بصور ورق تبع الشغل في المكتبة اللي تحت، تقدري تنزلي

تستفسري من تحت لو حابه، ولو سمحتي سيبي إيدي
جذبت ندى ذراعها من يد مروة، وعادت إلى مكتبها ، ألقت بالورق على المكتب وجلست مغيرة اتجاه الكرسي تجاه الجدار.
رفع محسن عينيه تجاهها بعد صراع مع عقله أن لا يفعل؛ فشعر بانتفاضة جسدها؛ فقطب جبينه، وأخرس عقله، وتوجه إليها، ومال بجزعه، فإذا بها تبكي كالطفلة الصغيرة؛ فنزل بطوله إلى مستواها، ووضع يده على يدها، وقال بتأثر :
- ندى انتي بتعيطي ! إيه اللي حصل لكل ده؟!
حاولت ندى التحدث، ولكن خانتها الكلمات، وأبت أن تخرج منها فضغط على يدها، وبدون سابق إنذار ألقت برأسها على صدره؛ فاهتز بدنه لشعوره بدفء رأسها، ودموعها التي تتساقط على صدره، فرفع يده يمسح على يدها؛ ليهون عليها؛ فقفزت صارخة، فتملكه الغضب قائلًا :
- فيه إيه يا ندى فهميني فيه حد أذاكي ؟! ماله دراعك !
لم تجبه؛ فضغط عليها بالأسئلة، حتى أجابته؛ فأخذت الدماء تغلي في عروقه، ثم قال بضيق :
- خلاص يا ندى امسحيها فيا، ويلا خدي حاجتك، وروحي ارتاحي أنا هشيل مكانك في الشغل، ومحدش هيحس بحاجة ما تقلقيش
هزت رأسها بالنفي قائلة :
- لأ ابن عمي هيجي ياخدني كمان ساعتين بعد الشغل

أغمض محسن عينيه في ضيق أشد قائلًا بغيرة :
- ندى قلت اركبي تاكسي، وروحي حالًا
فمسحت عينيها من أثر البكاء بطفولة، وقالت :
- حاضر هروح
فابتسم لامتثالها لكلامه على الفور، وقال :
- مناخيرك استوت خالص يلا بطلي بقى، واضحكي، وإلا هزغزغك
فضحكت ندى من بين دموعها؛ فضحك هو أيضًا، ونظر لها وهي تخرج من المكتب، فوضع يديه في جيبه، ثم توجه إلى المكتب، وجلس عليه متأملًا :
« كم تبدو ساذجة هي حواء ، خلقت بعقل وقلب طفلة، وتركهم النمو، وغطى باقي أطرافها؛ لتصبح امرأة تخبئ داخلها أحشاء طفلة، تضحكها كلمة، وتبكيها ملامح غاضبة، ولكنها لا تعلم أن تلك البراءة التي تصدر منها دون وعي أصابت منتصف قلب الشاب؛ ليسقط قتيل غرامها »

***

انتهى محسن من عمله، وقام مرهقًا من على مكتبه، وعدل هندام ملابسه، وخرج؛ فإذا بمروة تقف تسد عليه الطريق، فابتسم لرؤيتها، وأمسك بكف يدها وقبّله، ثم تساءل بحب :
- جاهزة يا ست البنات ؟!

هزت رأسها بالإيجاب؛ فحرك رأسه بهيا بنا، ثم نزلا سويًّا، وركبا في سيارة محسن، وتوجها إلى منزل مروة كما طلبت؛ كي تغير ملابسها، وبعد انتظار ساعة في السيارة نزلت، وهي ترتدي فستان أزرق بدون أكمام رافعة شعرها للأعلى، وترتدي جاكيت من الفرو الأبيض، كانت كالقطة الجميلة أبهرت أعين محسن منذ اللحظة الأولى، وما إن جلست بجواره فإذا به يرتجل :

- كالقطة أنتي مندفعة لا ترى أمامها من فرط غضبها، تزوم من غيرتها على رجلها، تألفين من يشبهك، وتنفرين مِن مَن يعاديكِ ، خُلق الحزن والعجب في عينيك البنية، ما إن أراها حتى أتحول إلى أحد مدمني القهوة، أغمض عيني و استنشق عبيرها؛ لتسكن روحي.

كانت تضحك بخجل، وهي تضم كتفيها إليها من وقع كلماته على أذنها، وقالت:

- هتعمل فيها شاعر عليا بقى وكده !

- ومين قدام الجمال دا كله ميبقاش شاعر !

فمرر يده، ورفع خصلة شعرها عن جبينها، واقترب منها طابعًا قُبلة عليه، ثم اعتدل في جلسته، وتحرك في طريقه . .

وصلا إلى المطعم؛ فنزل من السيارة، ودار حولها، وفتح لها الباب، وأخذ بيدها؛ لتخرج، ثم تأبطها، ودخلا سويًّا . اختارت مروة طاولة مميزة، وجلسا كانت مروة توزع أنظارها على الناس من

حولها، ولكن أنظار محسن مثبتة عليها، وعلى تفاصيلها ، دقات قلبه تصم أذنيه من ارتفاعها، فانتبهت له مروة أخيرًا، وابتسمت بخجل قائلة :

- هتفضل تبصلي كده كتير

- يعني أنتي واخدة بالك إني ببصلك

رفعت كتفيها، وقالت:

- طبعًا واخدة بالي

- طيب بما إنك واخدة بالك حرماني من عيونك ليه أبص فيها، و بتوزعي نظراتها على كل الناس اللي انا غيران منهم، وهقوم أقتلهم دلوقتي

قاطعهم الجرسون قائلًا :

- ليلة سعيدة يا فندم، تحبوا تطلبوا حاجة

نظر له محسن بتأفف، ونظر لمروة قائلًا :

- تحبي تطلبي إيه يا حبيبتي ؟!

فكرت لدقائق، وقالت :

- امممم ممكن آخد إسكالوب، وباستا

نظر له محسن، وقال :

- وأنا ممكن أخد . . . .

مروة بثقة :

- زيي طبعًا

نظر لها محسن بتعجب، ثم لوح للجرسون بالموافقة، فرحل فقال محسن :

- بس أنا مبحبش الإسكالوب

- يبقى تحبه علشان أنا بحبه

ضحك محسن بسخرية :

- شخصيتك غريبة أوي يا ميرو عاملة زي القطط اللي بتخربش، وبمجرد ما يجي اللي بتحبهم تفضل تتمسح فيهم

ضحكت مروة قائلة:

- اتش ار يابني مش أي كلام لازم أكون شديدة، بس انا في الأول وفي الآخر ست، وليا مشاعري واحتياجاتي

- بس ده ازدواج في الشخصية.

- ولا ازوداج ولا حاجة ، يا ابني الست مهما كانت قوية، وعاملة فيها سبع رجالة في بعض بتكون من جواها أضعف مما تتخيل ، و بتحتاج أي كلمة رقيقة تبل ريقها ، بس مستحيل تظهر دا عشان متتاكلش، وتبقى لقمة سهلة في إيد اللى يسوى و اللي ميسواش ، احنا أضعف مما تتخيلوا .

أمسك بكف يدها، ومال بجزعه؛ ليقبلها، فقاطعهم الجرسون للمرة الثانية حاملًا المقبلات، فنظر لمحسن ببلاهة، وهو يحاول التحكم في غضبه، فوضع ما يحمل في يده، وقال :

- ليلة سعيدة يا فندم

محسن متمتمًا : أنت خليت فيها سعيدة ولا نوال
الجرسون : بتقول حاجة يا فندم ؟!
رفع محسن حاجبيه، وقال بابتسامة صفراء :
- حبيبي تسلم
ضحكت مروة بقوة امتصت كامل غضب محسن فابتسم قائلًا :
- تعرفي إن ضحكتك بتنسيني الدنيا وما فيها
فهدأت ضحكتها، وتلونت وجنتاها بالدماء؛ فأمسك بكف يدها ليقبله فإذا بالجرسون للمرة الثالثة :
- العشا جاهز يا فندم
أغمض محسن عينيه، وضغط على أسنانه ظاهرًا إياها في ضحكة غاضبة قائلًا :
- الحمد لله اتفضل حطه
نظر الجرسون للأطباق بحيرة قائلًا :
- ياترى أحط ده فين وده فين
محسن متماسكًا :
- مش عاوز أفاجئك وأقولك أن الإتنين نفس الطلب
رمش الجرسون، وابتسم قائلًا :
- صح تصدق طيب أنا هحط، وانتوا وزعوا مع بعض بقا
نظر له محسن بصدمة كيف لمطعم بهذا الرقي أن يوظف مثل هذا الأبله في هذا المكان؟! وضع الجرسون طبقي الباستا أمام

مروة وطبقي الإسكالوب أمام محسن، وابتسم بسعادة، ورحل والضحكة لا تفارق وجهه

رمش محسن بعينيه أكثر من مرة لا يستوعب ما يحدث، ومروة ضحكاتها ارتفعت في المكان قائلة :

- كيوت أوي الجرسون ده فصلني ضحك.

محسن : بتضحكي ده مجنون

قاطعهم الجرسون للمرة الثالثة بسعادة حقيقية قائلًا :

- نسيت أقولك ليلة سعيدة يا فندم

ارتفعت قهقهة مروة؛ فأمسك به محسن من تلابيبه، وقال غاضبًا:

- لأ ده استظراف بقا . . وانتي بتضحكي على ايه ؟! فين صاحب المكان ده.

خرجت سيدة وقورة قائلة :

- ايه الزعيق ده فيه ايه يا فندم ؟! ايه ده أنت اتجننت شيل إيدك عنه

نزعت المرأة الجرسون من يد محسن، وقالت بغضب :

- انت ازاي تمسك ابني بالمنظر ده ؟!

رفع محسن حاجبه وقال :

- ابنك ؟! بس ابنك ده مش طبيعي أنا ماشوفتش كده مش عارف أقعد مع خطيبتي شوية منه

سقط فك مروة من هول الكلمة التي ألقاها محسن للتو ،

فقاطعته المرأة قائلة :
- أيوه ده ابني و عنده مشكلة في الفهم بس هو بيتغلب على كل ده،بيشتغل بعرق جبينه فيها ايه يعني وأنا فخورة بيه و هفضل فخورة بيه وواقفة وراه وبدعمه مهما حصل ولو حضرتك اتضايقت تقدر تمشي من غير ما تدفع، وأنا هتكلف كل حاجه على مسئوليتي إبني يغلط وأنا اصلح
لم يضف محسن المزيد، ووضع المال على الطاولة، وأخذ مروة وخرج، وعقله في مكان آخر لا يمت للواقع بصلة . .
كانت تركض خلفه، ويدها تعتصر بين أصابع محسن لا تفهم فيما يفكر؛ حاولت سبر أغوار عقله، ولكنه كان يزداد عصبية وتوتر، وهو يتذكر كلمات تلك الأم عن ابنها، وكيف تحافظ عليه .

***

توقف محسن عن السرد للحظات؛ فنظرت له المرأة باهتمام واندماج :
- طيب ايه اللي يعصبك في حاجة زي دي؛ أم وبتدافع عن ابنها عادي يعني ودي لافتة حلوة من الأم بصراحة إنها بتشجع ابنها رغم اللي فيه و . . .
صفح محسن ورقة جديدة فارغة إلا من جملة دونت أسفلها:
» الفقد يعلم الحسد، و الحرمان يعلم الحقد ، لا تظن أنه فطري؛

الأمر كله مكتسب من شخص قد يكون الأقرب إليك، أو سبب وجودك شخصيًّا في الحياة،
ربما !

***

فتح باب شقته، و دخل مثقلًا بهمه، لا يعرف ماذا دهاه منذ أن غادر المطعم غصة مريرة تقف في حلقه؛ تؤلمه في قلبه؛ فحاول إخماد حريق عقله؛ فنزل أسفل المياه بملابسه؛ تاركًا لها مهمة إخماد حريق أفكاره . خرج من الحمام، نشف رأسه جيدًا، وبدل ملابسه بأخرى أكثر راحة، وارتمى على فراشه، فوردته رسالة؛ فنظر إلى الهاتف؛ ليجدها رسالة من لميس تحوي .
» الساعة ١٠ يا متكبر، متأخر عن معادك كالعادة، هفضل أعلمك الأتيكيت لحد إمتى »
فابتسم رغمًا عنه ،كانت تستطيع إخراجه من أي مزاج سيئ لديه ، كانت لديها القدرة على تغيير مزاجه السيء مهما كان، كانت لديها مفاتيح شخصيته المعقدة وتستطيع الدخول إليها، والاقتراب منه، والإفراج عما بداخله بسهولة ،فتح الرسالة، وأرسل لها أخرى قائلًا :
» مين قالك إني متأخر أو ناسي أنا راجل مهم وبمارس مهمة التقل بتاعتي اشعرفك أنتي »

بعثت الكثير من »الايموشنات«الضاحكة وأخذا يتبادلان الحديث كتابيًّا لساعات، ومحسن يضحك من قلبه معها متناسيًا كافة أحزانه؛ فأخبرته أن لديها مشكلة، وتحاول أن تجد لها حلًّا؛ فشعر بالمسئولية، وبادرها قائلًا :

- طيب قوليهالي وأنا على قد ما اقدر هحاول احلها لك يا حبيبي

لميس : يا إيه ؟!

فشعر محسن بالخجل من انفلات لسانه، وقال بمزاح :

- لأ دي بقولها لحد لما أكون ناسي اسمه بس

ضحكت لميس، وقالت :

- بوقك بينقط دبش يا بابا ربنا يحميك

ضحكا من جديد، و أخذا يتناقشان في مشكلتها الخاصة بعريس لا ترغبه، و والدتها تجبرها عليه، فمازحها حتى ضحكت، وقال :

- كل حاجة في الدنيا دي يجوز فيها النقاش إلا المواضيع الخاصة بالقلب؛ لأنه من ألد أعداء العقل، ومواضيعه محكوم فيها بشكل عاطفي أعمى بس ممتعة، و هي الجانب الحلو اللي في حياتنا فاسمعي له دايمًا؛ لأن اللحظات الحلوة اللي بسببه لو مشينا ورا عقلنا سنين مش هنشوف ظلها حتى

ابتسمت لميس، وقالت :

- عندك حق يا محسن والله عندك حق، يابخت اللي هتكون من نصيبها، أكيد هتبقى محظوظة أوي

محسن بتعجب :
- ليه بتقولي كده !
لميس بود :
- لأنك فاهم الحياة صح وبتتعامل معاها صح وحنين جدًّا، والمسئولية صاحبتك، وهتعرف إزاي هتسعد شريكتك في الحياة
- يا بنتى أنا أنيل مما تتخيلي وحياتى شخصيتي معقده جدا !
- لا طبعًا ، انت بس محتاج تاخد ثقة في نفسك
شعر محسن أن قلبه يدق بشدة قائلًا :
- تفتكري ؟!
- طبعًا انت راجل غير كل اللي شوفتهم في حياتي، ودي أهم ميزة فيك إنك رجل مواقف وجدع » صاحبي الجدع«.
محسن مازحًا :
- إيه ده انتي هتصاحبيني، ولا ايه يلا يا ماما وقتك خلص، معايا ورايا شغل الصبح
ضحكت لميس قائلة :
- افضل اعمل لنا فيها مهم كده، وانت أصلًا تافه
محسن ضاحكًا :
- أقل حاجة عندي، و يلا من هنا علشان هنرش مايه
أغلق الهاتف، وأغلق عينيه مرددًا برقة : » بحبك يا فراشتي «
فتح حاسوبه، ودون داخله :

» ما الحب إلا خطفة ، لن تقع في الحب مع شخص لم يختطف نظرك، ثم اهتمامك، ثم مشاعرك،ثم قلبك سيطر على دقاته منذ اللقاء الأول ، فضع قلبك في مكان آمن حينما تخطفك عيناك لتتشبت على أحدهم؛ فهو في مهب الريح وقتها . . . «

******

الفصل الثالث

أنهى محسن الورقة التي في يده، ثم صمت، وبدا على وجهه الحزن، وكأنه فقد حماسه؛ ليكمل . كانت المرأة تتأمله بصمت، ربما تلاحظه للمرة الأولى ، ملابسه غير المهندمة لا تعكس هذا الهدوء الذي هو عليه . شعره الناعم و ملامحه الوسيمة، وذقنه ولحيته المهندمين بعناية بشرته الحنطية التي أخذت نصيبها من شمس مصر الحارقة صيفًا ألقت نظرها للأسفل؛ لتجد حذاءه غير محكوم الربط؛ فابتسمت قائلة :

- طيب بزمتك في كاتب يسيب رباط جزمته مفكوك كده !

انتبه محسن لحديثها، ورفع قدمه، ونظر لحذائه، وابتسم وأعاد قدمه مرة أخرى للأسفل، ونظر أمامه فى شرود وتكاد عيناه تنفجر من الدموع، ولكن يأبى خروجها ، لاحظت المرأة تلك الحالة؛ فحاولت تغيير ما يفكر به، ثم قالت.

- طيب كمل يا محسن ! لازم أعرف إيه مصير ال ٣ فساتين وإزاي عرفت مين فيهم حبك الحقيقي؟! إزاي تقدر تقول إنك بتحب تلاتة في وقت واحد ده مش حب حقيقي

رفع محسن عينيه تجاهها، وتساءل :

- إيه مفهومك عن الحب الحقيقي ؟!

تلعثمت المرأة من السؤال المفاجئ، وأخذت تفكر لدقائق ومحسن يتأملها ، كان في قرارة نفسه يعلم أنها لا تعرف ما هو الحب أو تعريفه الصحيح؛ لا أحد يعلم عنه سوى المشاعر، و النظرات المختلسة وضربات القلب المضطربة عندما ترى حبيبك أمامك ، الحب هو ألا تعرف أي شيء سوى أن قلبك يحب هذا الشخص فقط دون أي حسابات تضيفها، وإن أخبرَته مفهومًا دقيقًا له؛ فكن متأكدًا أنه سيكون سطحيًّا بحتًا ، ضحك بسخرية؛ فنظرت له وقالت :

- مش عارفة حقيقي، مش عارفة؛ أخاف أقولك مفهوم يطلع سطحي؛ معتقدش إنه يتقال أو يتوصف، هي حاجة بتتحس بس

سعد محسن من ردها، وكأنها تقرأ أفكاره فابتسم ونظر أمامه ، كان عقله يخبره بمئات الردود التي يريد قولها، ولكنه اكتفى بالسكوت؛ فباغتته بسؤالها :

- طيب، وانت إيه هو تعريفك للحب ؟!

ضحك محسن، ونظر مباشرة لعينيها، كانت عيناه تدلي بالكثير،

وظاهره صامت؛ فهزته المرأة بلطف قائلة :

- محسن انت روحت فين ؟!

قال مغيرًا مجرى الحديث :

- تصدقي أنا معرفش اسمك لحد دلوقتي !

ضحكت بقوة، وفكرت لدقائق، ثم قالت :

- تصدق صح الرواية أخدتني، ونسيت أعرفك بيا تقدر تناديني ب(صافي)

مدت يدها لتصافحه؛ فمد يده مبتسمًا، وما إن لمس يدها حتى سرت قشعريرة في كامل جسده، واختفت ابتسامته، خفق قلبه سريعًا دون سبب؛ فترك يدها، وابتسم ابتسامة مجاملة.

فتح محسن ورقة جديدة هاربًا من نظراتها قائلًا :

- نكمل ؟!

صافي بابتسامة :

- آه أكيد

***

« الغيرة إحدى أركان الحب، ولكنها أبدًا ليست مقياس يمكنك اعتماده لاكتشاف حبك . »

نهار يوم جديد . .

السادسة صباحًا صوت المنبه مرتفع في الغرفة بشكل مزعج يرن

ويرن ويرن؛ حتى استيقظ محسن أخيرًا، وأغلقه، ووقف بصعوبة متحديًّا كسله الصباحي استحمَّ، وأعد لنفسه فطورًا بسيطًا، ثم ارتدى ملابسه على عجالة، ونزل سريعًا . نادى على حارس العقار

- يا عم أنور ! عم أنور !

أتى حارس العقار مهرولًا :

- خير يا بيه ؟!

محسن بتعجل :

- غسلت العربية زي ما طلبت منك؟

أنور بضجر :

- يا بيه انت كل يوم تنزل متأخر و تصربعني كده ، إيوه غسلتها كويس، اتفضل شوفها

وضع ورقة نقدية في يده، وربت على كتفه قائلًا :

- تمام يا عم أنور، تسلم تعبتك معايا

ركب محسن سيارته وانطلق حيث عمله . . قابله مديره بتهكم من تأخره المعتاد، وألقى عليه خطبة طويلة فشعر بالغضب من كلمات مديره اللاذعة، ودخل إلى مكتبه استقبلته ندى بابتسامة جميلة أنسته أي غضب أو شعور سيء فابتسم لها بحب وظلا ينظران لبعضهما، كانت كالملاك في حجابها الأبيض، وفستانها السماوي الهادئ، وابتسامتها التي تشبه حافة الجنة كلما ابتسمت ، فاقترب منها؛ ومد يده ليسلم، فوضعت أصابعها في كفه؛ فأمسك

به مستمتعًا بملمس يدها، و دون سابق إنذار انحنى وطبع قبلة رقيقة داخل كف يدها؛ فاقشعر بدنها، واكتست بحمرة الخجل.
اعتدل في وقفته، و قال بارتباك :
- انتي لو قاصدة تربكيني مش هتحلوي كل يوم كده؛ عقلي بيودع المنطق بمجرد ما عيني تلمحك
اشتدت وجنتاها حمرة فزادتها جمالًا؛ فنظرت حولها قائلة :
- مـ محسن إحنا في الشغل، المدير ممكن يجيي في أي وقت
ابتسم محسن، وقال بمزاح :
- ماشي هعمل نفسي مصدق إنك خايفة على الشغل، مش مكسوفة وبتحاولي تهربي
ابتسمت ندى، وأنزلت وجهها للأرض، فانحنى محسن مرة أخرى، وطبع قُبلة أخرى في باطن يدها، وتحرك تجاه مكتبه، وقبل أن يصل مكتبه، دخلت مروة، وهي تضحك ضحكة اختفت تمامًا، ليحل مكانها الغضب؛ حينما وجدت محسن بعيدًا عن مكتبه، وندى وجهها أحمر، وتبدو خجلة من أمرٍ ما؛ فأخذت الأفكار الشيطانية تدور في رأسها بشكل كبير؛ فرفعت حاجبها، وقالت بصوت هادئ يتنافى مع ملامحها
- تعال ورايا على مكتبي يا أستاذ محسن، عاوزاك في موضوع
وقبل خروجها ألقت نظرة تحوي الكثير تجاه ندى، فابتسم محسن لندى بعد خروج مروة، واتجه خلف مروة تجاه مكتبها .

دلف محسن مكتب مروة، فأغلقت الباب بقوة، وألصقت محسن في الجدار، و مسكته من ياقة قميصه، وعيونها تطلع شرار غيرة لا يوصف :

- كنت بتعمل إيه على مكتبها يا محسن ، إيه بتشوف حاجة دخلت في عينيها يا حرام، ولا بتحط لها قطرة

أبعد محسن يدها عن ياقة قميصه، وابتسم من غيرتها المشاكسة، وقال مثيرًا غيظها :

- لأ كنت ببوسها

- محسن ما تجننيش بتبوس مين ؟! . هدر صوت مروة في المكان بغضبها الشديد

فأشار لها أن تخفض صوتها بجدية، ثم قال بصوت خشن ذكوري:

- بتعلي صوتك عليا يا مروة ولا إيه ؟! وبعدين انتي مش بتثقي فيا ولا إيه ؟!

تلعثمت مروة، وكتفت ذراعيها أمام صدرها، وقالت غاضبة :

- ملهاش دعوة بالثقة بس أنا بغير، و مش واثقة فيها هي، مش فيك انت، وما تتوهش يا محسن، وقولي كنت بتعمل إيه على مكتبها ؟!

نظر لها محسن، وقال غاضبًا :

- الكمبيوتر بتاعها بيعلق، وكنت بعمله لها علشان تعرف تشتغل فيه أي أسئلة تانية يا أستاذة مروة، ولا التحقيق خلص

استشعرت مروة ضيقه؛ فقالت :
- محسن انت عارف إن غيرتي عامية ما تضايقش، أنا ما استحملتش أشوفك قريب منها
محسن بهدوء : ماشي ممكن أرجع شغلي
مروة : لا
نظر لها محسن، وعاد ليجلس على الكرسي، فدارت حول مكتبها، وجلست على طرف كرسيه؛ فقال محسن بضيق :
- احنا في الشغل، والقاعدة دي ما تنفعش، لو حد دخل هتحصل مشاكل.
مروة بلامبالاة :
- مش مهم أي حد، المهم إنك مش هتطلع من مكتبي متضايق مني.
محسن : الكلام خلصان يا مروة.
مروة بغضب :
- محسن انت ما ينفعش تعاقبني على غيرتي، أنت عمرك ما غيرت عليا وعارف إحساس الغيرة عامل إزاي ؟!
حضرت في عقل محسن غيرته العمياء على ندى، وكيف حدثها بطريقة ليست باللطيفة نهائيًّا؛ فنظر إلى مروة، وابتسم أخيرًا؛ فلانت ملامحها بعض الشيء؛ فأمسك بيدها، وقبلها قائلًا :
- أنا مقدر، وعارف ده يا حبيبتي، بس كل اللي بتفكري فيه ده

غلط انتي عارفة أنا بحبك إزاي، ومكنش ينفع تعلي صوتك عليا، أنا كنت بهزر معاكي لما قولت كده، وانتي مفروض واثقة فيا، وعارفة إنه مجرد هزار
أخذت مروة تفرك أصابعها قائلة :
- معرفش بقى اللي حصل آسفة
لان قلب محسن لدى رؤيتها حزينة، وغير مجرى الحديث نهائيًّا، وأخذ يمازحها؛ حتى ضحكت من قلبها، فمسح على وجنتها، وقال بحب :
- ضحكتك من أجمل الحاجات اللي شوفتها في حياتي يا مروة، مقدرش أتخيل حياتي من غيرها، افضلي اضحكي كده طول الوقت يا قطتي
ضحكت مروة بسعادة، ومالت؛ لتطبع قبلة هادئة على وجنته، فأغمض عينيه، ثم فتحها؛ ليقول مشاكسًا إياها :
- لأ بقولك إيه أنا بضعف قدام الروچ النبيتي بتاعك ده؛ اتلمي بدل ما أخدك من إيدك، واطلع على المأذون دلوقتي حالًا، أنا مجنون، ومحدش هيقدر يمنعني .
ضحكت مروة، وأخذت تمسح مكان الروچ عن خده، وتضحك .
وصل استدعاء لمروة من المدير؛ فوقف محسن قائلًا :
- أنا هرجع شغلي بقى
مروة بتهكم :

- ترجع تشوف شغلك بس ماشي ؟! انت مش مهندس كمبيوتر عشان تصلح للهانم الكمبيوتر بتاعها، دي مش شغلتك.
ضحك محسن، وقال :
- حاضر يا قطتي
فابتسمت خجولة من ذلك اللقب الذي اعتاد مناداتها به . خرج محسن فاختفت ضحكة مروة، وتحولت إلى الغضب، وقالت بضيق :
- ماشي يا محسن ماشي
أمسكت مروة بهاتفها، وعبثت بأرقامه، ثم وضعته على أذنها، وهي تبتسم ابتسامة عابثة استدار محسن ليشير لها، ولكنها لم تكن منتبهة.

***

صافي بتركيز شديد :
- أنا أعتقد مروة بتحبك بجد، بس أنت بتحب ندى مش مروة ؟!
ضحك محسن بشدة قائلًا :
- إيه التحليل المفاجئ ده ؟!
ضحكت صافي قائلة :
- خد مني بس الكلام، أنا عارفة أنا بقولك إيه
انتبهت كامل حواس محسن، واستشعر الجد في حديثها قائلًا :

- طيب فهميني سبب تحليلك ده ؟!
» الغيرة »
- الشخص اللي بيغير يبقى بيحب ، لو انت بتحب مروة هتغير عليها بس انت غيرت على ندى، وكذلك مروة غارت عليك جدًّا
عاد محسن ليضحك من جديد :
- إسمحي لي أقولك تفكيرك سطحي جدًّا
- إزاي ؟!
- الغيرة عمرها ما كانت معيار للحب، هي آه دليل على وجوده بس مش معيار ، أنا آه غيرت على ندى بس ده لأن وقتها حصل الموقف اللي استدعى إني أغير محصلش مع مروة.
صمتت صافي، ولم تجب فدقق محسن النظر إليها؛ فوجدها غارقة في التفكير، فقال وهو ينظر أمامه :
- عارف انتي بتفكري في إيه ، الغيرة إحساس حب طاغي يكاد يكون الإحساس الوحيد اللي ممكن يأكد لك إنك بتحبي، بس صدقيني الشخصيات اللي زي مروة امتلاكية أوي ما بتحبش تشوف حاجة بتحبها في إيد حد حتى لو هي مش عاوزاها ، الغيرة شعور مقدس لما تحس إن حد بيمد إيده أو بيقرب من شخص انت بتحبه، وتحس إنه ممكن يحبه أكتر منك؛ بيخليك تحس بنار في قلبك نار عاوزة تحرق الدنيا كلها مش حب امتلاك بس امتلاك الحب

صافي بحيرة :
- وأنا أفرق بينهم إزاي ؟!
ابتسم محسن، وقال :
- دي مش مهمتك انتي دي مهمة قلبك والوقت، هما دول اللي يقدروا يفرقوا و يدوكي النتيجة المضمونة
صافي بنفاذ صبر :
- ولما أنت عارف إن مروة مش بتحبك إزاي لسه معاها؟!
محسن بابتسامة أرستقراطية :
- مش لازم الشخص اللي معاك يحبك علشان تفضل جنبه، كفاية إنك بتحبه، وهو هيحب حبك ده في يوم من الأيام ، ثم إن مين زي مروة في المناقشة الشقية، والغيرة المجنونة دي كانت قطتي الشرسة اللي بحبها . كنت بحب أسلوبها، وطريقتها ،الشراسة اللى فيها دي بحبها جدًّا ، ودا اللى خلانى أكمل ، عكس ندى اللي كانت دايمًا محتاجني، وتحسسني إني دايمًا الملجأ ليها، ودا برضه كنت بحبه وبحتاجه .
لم تزد صافي، ولكن عقلها كان يعمل كالترس، كافة أفكارها تتداخل، و نظرت لمحسن الشارد ، كان عقلها يخبرها أنها لِمَ تصدقه؟ ربما يبتدع كل هذة القصة، وتكون هذه إحدى طرق الدعاية لها !! كيف لشخص أن يحب ثلاث فتيات بهذه القوة، وهذا الشعور القوي ، كانت تراه يتمتع بعقل واعي وناضج؛ إذًا فهو

ليس مراهقًا؛ لتنفلت عنه مشاعره بهذه الطريقة ، ولكن رغم أي شيء يبدو صادقًا؛ تلك اللمحة الحزينة في نظراته تخبرها مدى معاناته ، كان مبتسمًا يحتبس حزنًا دفينًا داخل عينيه . نظرت أمامها كانت تقاوم رغبة شديدة في مسح تلك العبرة الثابتة في عينيه، وتخبره أن كل شيء على ما يرام، ولكن مازال هنالك حاجز يخبرها أن لا شأن لها بذلك .

ابتسم محسن، وأمسك بالورقة الجديدة قائلًا :

- جاهزة لشوية دراما من اللي قلبك يحبهم

ضحكت صافي، وقالت :

- دراما إيه بس في قصة الحب الملتهبة دي ، كمل عاوزة أسمعك

ضحك محسن بشدة، وثبت الورقة الجديدة على قدمه .

***

«الاحتواء ليس أن تُطيل البقاء؛ بل أن تُجيد الحضور»

عاد محسن إلى مكتبه، وألقى غمزة لندى التي ابتسمت بخجل، فجلس أمام حاسوبه، وبدأ يتابع عمله، و يختلس من وقت لآخر نظرة لندى التي أحيانًا ما تتصادم مع نظراتها، وأحيانًا لا ، ففتح ألبوم الصور الخاص به في الكمبيوتر وأخذ يشاهد ما بداخله من صور، ثم فتح حسابه الشخصي بجوار عمله فوجد رسالة من

لميس؛ فابتسم بحب، وكتب لها ممازحًا :
- إيه يا قصيرة حد لاحظ وجودك على الكوكب، ولا لسه بتلعبي مع الطفيليات
ضحك محسن، وهو يتخيل رد فعلها الغاضب، حينما يعيبها بقصرها، أو قضم أظافرها ، كانت تشبه الدمية الصغيرة الناعمة؛ فأتاه الرد في الوقت بالكثير من الايموشنات الغاضبة؛ فبادلها بأخرى ضاحكة؛ فرآها تكتب فتكهن الرد قبل أن يصله، وبالفعل أرسلت له رسالة تنص على:
» أنا طولي أنثوي مناسب يا نسيب برج إيفيل انت، بطلوا حقد بقى »
قهقه محسن بشدة متناسيًا أنه في العمل؛ فنظرت له ندى، ووقفت سريعًا ذاهبة تجاهه قائلة :
- إيه اللي بيضحك أوي كده وريني.
اكتسى وجه محسن بالاحمرار من الخوف؛ وأخفى المحادثة سريعًا، وفتح سطح المكتب فوقفت بجواره، ونظرت له؛ فقال بضيق :
- ما ينفعش تشوفي الكلام اللي بضحك عليه
ندى : ليه ؟! كلام عيب
محسن :
- آه ده هزار شباب ما ينفعش تشوفي الكلام اللي فيه ، ما أرضاش

إنك تشوفي حاجة زي دي تخدش حياءك؛ احنا شباب مش كويسين
هزت رأسها بضحك، وقالت :
- عندك حق ، حاضر هرجع مكتبي
هز رأسه، وأمسك بكف يدها، وقبله؛ فخجلت، وعادت سريعًا إلى مكتبها .
دخلت مروة، فنظرت إليهم، وقالت بجدية متناهية :
- اتفضلوا يا أساتذة بريك ساعة المدير جايب مهندس إلكتروني؛ هيعمل check in على الكمبيوترات بتاعتكوا يلا . .
نزل الجميع للأسفل، وأخذوا يمزحون، وصوت ضحكهم ارتفع في الشركة، ولم تنقضِ الساعة، فإذا بالمهندس قد نزل، ومروة خلفه تنزل بهدوء، وأشارت للجميع بالانصراف إلى عملهم؛ فصعد الجميع ما عدا محسن الذي أنهى قهوته، وأقدم على الصعود، فإذا بالمدير يدخل الشركة؛ فنظر لمحسن بتعجب
المدير بنبرة متعجبة :
- إنت سايب شغلك، وقاعد تشرب قهوة ؟!
محسن بصدمة :
- هو مش حضرتك أمرت بساعة بريك صيانة ؟!
المدير بتهكم :
- صيانة ! وفي نص الأسبوع؟! أنت مخك اتلحس ولا إيه يا بشمهندس

محسن بتلعثم :

- أومال. . كمبيوتر و . . . . . .

هنا تذكر محسن الحوار الذى دار بينه وبين مروة:

» الكمبيوتر بتاعها بيعلق وكنت بعمله لها؛ علشان تعرف تشتغل فيه، أي أسئلة تانية يا أستاذة مروة، ولا التحقيق خلص » ترددت الجملة في عقل محسن؛ فعرف على الفور ما تكيده مروة لتنتقم. نظر محسن للأعلى وركض، وأخذ يقفز الدرج كالمجنون، ولم يصل طابقه فإذا بصوت فرقعة شديدة يدوي في المكان؛ فصرخ محسن بشدة :

- نـــــــــــدى !

لا يعرف محسن كيف وصل مكتبه الذي تتصاعد منه الأدخنة، و رشاشات المياه تغرق المكان، وما إن اتضحت الرؤية عند قدمه فإذا بمياه تشوبها الدماء تنساب من أسفل حذائه؛ فحرك عينيه للإمام فإذا بندى ملقاة أرضًا، وعنقها يضخ بالدماء، ووجهها به جروح طفيفة تغطيها الدماء .

شعر ببرودة الفقد تضرب جسده؛ لم يكن ليقوى على فراقها، وقف عقله عن العمل، وكأن كل شيء اختفى من أمام عينيه، وصورتها تضحك معه تشكلت أمام ناظره، كانت تبدو كالملاك، والآن هي جثة ملقاة أرضًا فاقدة لكل بوادر الحياة.

نزع قميصه وطبقه وسدَّ به جرح عنقها، وصرخ بقوة رجت

أرجاء المكتب :

- اطلبوا الإســـــعــــــــاااف

احتضن رأسها، وسالت دموعه على وجنتيه، ونكَّس رأسه ليطبع قبلة مطولة على رأسها، وانهار باكيًا، وهو يحتضنها .

وصل الإسعاف فانتزعوها من بين يديه، فارتدى قميصه الملطخ بالدماء، ونزل خلفهم،وركب معها في الإسعاف التي انطلقت مسرعة تجاه المشفى .

دخلت مروة وهي تبتسم إلى المكتب، ونظرت إلى آثار الدماء بحزن مصطنع :

- تؤ تؤ تؤ يا حرام ربنا يشفيكي يارب يا ندى .

ضحكت مروة متهكمة، وجلست على كرسي محسن، ووضعت قدمًا فوق الأخرى، وأخذت تغني بهدوء، وهي تتذكر كيف رأت محسن يقبل يد ندى، ثم كذب عليها، ولكنها لم تكن لتتركه لغيرها أبدًا، فضحكت، وطرقت بيدها على المكتب؛ فتحرك الماوس الخاص بكمبيوتر محسن فشهقت مروة، وجحظت بعينيها، وهي تطالع الشاشة بصدمة!

******

الفصل الرابع

كانت دهشة مروة كبيرة لم تكن لتتوقع أن ما على الشاشة هي صورتها مع محسن، كان يشاهد الصور التي تجمعهم ، كان يحتفظ بكل لحظاتهم سويًّا، هي نفسها لم تحتفظ بهذا الكم من الصور، فأخذت تشاهد الصورة تلو الأخرى، ثم حادت بعينها وعقلها يعمل كالآلة . إذا كان حقًّا يحبها كيف يقبل يد آخرى؟! وإن كان يحب غيرها لِمَ يشاهد صورًا تجمعهم حينما يكون وحده!! هنالك حلقة مفقودة، و يجب أن تعرفها بأي شكل من الأشكال فأغلقت الحاسوب، وتحركت متوجهة للمشفى .

***

شهقت صافي لم تكن تتصور أن يحدث مثل هذا الأمر .

- هي وصلت لكده! مروة إزاي تعمل كده، ده شروع في قتل، ما تقوليش إنك سكت على كده.

كان محسن صامتًا، وكأنه تذكر كل ما حدث، وكأنه بالأمس ، لم يعرف بما يجيبها، لم يكن ليخسر مروة بعد كل هذا الحب الذي يكنه تجاهها ، حينما يدق القلب لشخص نتقبل منه كافة عذاباته، ونضع صفًّا طويلًا من المبررات والأعذار؛ كي لا نكرهه، وهو ما فعله محسن تمامًا أعطاها مبرر الغيرة المجنونة عليه .

صمت محسن أعطى صافي تأكيدًا لكلامها برأسه؛ فشعرت بغضب شديد وحنق؛ فقالت بضيق :

- انت سلبي ومريض وأناني؛ علشان ما تخسرش واحدة من فساتينك؛ عرضت حياة واحدة للخطر من غير ما تتحرك.

شعر محسن بضيق شديد؛ لنعته بمثل هذه الصفات التي لا يحب سماعها منذ طفولته، لم يسمح لها؛ فقاطعها قائلًا بحزم :

- ما تحكميش على حد متعرفيش إيه قصته الكاملة، مش كل صورة بتوصلك هي صورة كاملة، دايمًا في جانب مظلم، ورا كل حكاية، إنتي متعرفيش عنه حاجة، وده ما يديكيش أي حق إنك تشتميني أو تقولي فيا صفة مش فيا، مش هسمحلك

وقف محسن يضب أوراقه؛ فوقفت صافي على الفور مستشعرة خطأها،وقالت وهي تمسك بالأوراق :

- محسن أنا بعتذر عن اللي أنا قولته، أرجوك سامحني بجد مقصدش نهائي كل الحكاية إني اتكلمت من منطلق الإنسانية مش أكتر بس انت عندك حق كل حكاية وليها أبعادها، وأنا

اندفعت ، ومكنش ينفع أحكم عليك، أو أوصفك بصفات وحشة زي دي » طأطأت رأسها خجلًا » آسفة يا محسن .

نظر لها محسن؛ فشعر بندمها، ولكنه لم يستجب؛ فسحب أوراقه، ورحل مبتعدًا عنها ، جلست صافي وأخرجت قنينة الماء من حقيبتها، وشربت ثم أخذت تفكر كثيرًا لم يكن عليها أن تفعل ذلك؛ شعرت بندم شديد هو ليس بمخطئ، كم منَّا شعر بالحيرة بين أشياء يحبها! هي نفسها مرت بتجربة تشبه شيئًا كهذا، وكان اختيارها صدمة للجميع ، بدأت تسمع بأذنيها كلمات قيلت لها في الماضي :

» انتي اللي زيك ميعرفش المسئولية، شخصية أنانية ومريضة ابعدي عننا، وريحينا من خيرك قبل شرك، علشان تحافظي على شيء مريض بتحبيه؛ هتتخلي عن أغلى حاجة في حياتك انتي مش إنسانة. »

لم تسطع صافي تحمل المزيد؛ فصمّت أذنيها حتى هدأت الأصوات من حولها، ثم نزعتها ببطء فدب الذعر في قلبها؛ حينما سمعت صوت محسن بجوارها يمسك بصفحة جديدة قائلًا بابتسامة :

- جاهزة لشوية دراما

كمان ؟! إيه ده مالك !

مسحت صافي عينيها من أثر الدموع، وأمسكت بيد محسن، وقالت مترجية :

- آسفة يا محسن إني وجهت لك اتهام بشع زي ده، انت عندك حق كان لازم أسمع للآخر قبل ما أوصفك بحاجة زي دي، ومكنش ينفع أسيبك تمشي
قطب محسن ما بين حاجبيه بتعجب شديد :
- لحظة لحظة إيه الكلام اللي بتقوليه ده ، اتهام إيه توصفيني بإيه ؟! ثم أمشي فين؟! أنا مقومتش من مكاني من ساعة ما قعدت معاكي، انتي كويسة ؟!
فغرت صافي فمها بصدمة، ونظرت لمحسن بتشكيك، وقالت :
- انت بتهزر صح !
محسن رافعًا حاجبيه بتعجب :
- لأ ، ده اللي حصل انتي وقفتيني، وقولتيلي ثواني هشرب وبس !
نظرت صافي لمحسن، وصمتت لا تعلم ما حدث، هل كان يخيل لها الأمر؟ أم أنها غرقت فى ذكرياتها أكثر من اللازم ؟! ربما ذلك، ولكن لننظر للجانب المشرق محسن الآن معها، و سيكمل ما بدأه.

***

في المشفى . . .
كان محسن يقف في الخارج يقطع الطرقة ذهابًا وإيابًا، هيئته المغطاة بالدماء مزرية يشعر أن رئتيه متوقفتان عن العمل. يرى

الممرضات يدخلن بقطن نظيف ويخرجن به مغطى بالدماء؛ فيقشعر بدنه من المشهد .
خرج الطبيب فأمسكه محسن، وحدثه بعينيه قبل لسانه؛ فربت الطبيب على كتفه، وقال :
- ما تقلقش الحمدلله قدرنا ننقذها، وتجاوزت مرحلة الخطر، الإصابة كانت قريبة جدًا من شريان رئيسي والإصابة فيه كانت سطحية جدًّا، لو الإزاز كان اتحرك ملم واحد كانت فقدت حياتها ، بس الحمد لله أتكتبلها عمر جديد
لم يتمالك محسن نفسه، واستند على الجدار سامحًا لجسده أن يتهالك أرضًا في راحة ، لم يكن ليسامح نفسه لو أنها أصابها مكروه حتى وإن كانت مروة هي من قامت بذلك؛ فهو المذنب الأول الذي عرضها لذلك ، أتى الطبيب مرة أخرى؛ فاستأذنه أن يرى ندى؛ فرفض تمامًا، وقال :
- معلش إحنا هنحط المدام في الرعاية كام ساعة علشان نطمن عليها، ولما تتحول أوضة عادية تقدر تشوفها براحتك
محسن موضحًا :
- ندى صديقتي في الشغل مش المدام
تنحنح الطبيب معتذرًا :
- احم احم بعتذر أنا من خوفك وقلقك؛ فكرتها مراتك بس خير إن شاء الله معافاة

شكره محسن، وعاد ليستند على الجدار من جديد، فسمع صوت نحيب يقترب و أحدهم ينادي باسم ندى، فإذا بامرأة كبيرة في العمر، ومعها فتاة وشاب صغير في السن . أمسكته المرأة قائلة :

- ندى بنتي فين بنتي بنتي البكرية ، مش طويلة أوي ولابسة حجاب، بيقولوا إن الكمبيوتر فرقع في وشها هي فين.

ربت محسن على كتفها وقال بهدوء :

- اهدي يا أمي هي جوه في العمليات و . . .

الأم بصرخة : عمليات! بنتي!

فقدت الأم وعيها؛ فأسرع محسن بضمها إليه، ونادى سريعًا على إحدى الممرضات لتسعفها، وتم نقلها لغرفة جانبية، وذهبت معها الممرضة، وبقى الشاب مع محسن . فتساءل الشاب قائلًا :

- انت تعرف أختي ؟

نظر له محسن بعينيه المنتفخة من أثر البكاء، وقال :

- أيوه ، ندى زميلتي في المكتب

دقق الشاب النظر إليه، وقال :

- وهو فيه واحد بيعيط كده علشان زميلته !

مسح محسن عينيه، وقال محرجًا :

- آه عادي الناس لبعضها ، وندى صديقة عزيزة عليا و . .

قاطعه الشاب مرة أخرى قائلًا بهدوء :

- مبتعرفش تكدب على العموم، أختي حكت لي عنك كتير

اتشرفت بمعرفتك .
ذهب الشاب ليطمئن على أمه، وترك محسن في دوامة كبيرة من الأفكار، هو يعلم أنه يحبها، ولكن لم يكن يدري أن ذلك واضحًا على ملامحه بهذا الشكل الكبير؛ ربما كان عليه أن يفكر أكثر في طريقة حبه، وتحديد ما يريده تمامًا، ولكنه الآن فهم أنه يحب ندى، ويريدها أن تصبح شريكة حياته فهي أيضًا تحبه، و ربما حديث أخيها كان الإشارة التي ينتظرها من الله؛ فعزم أنه لن يضيعها من يده، ويعترف لها بحبه ما إن يراها وتصبح بخير . .
- محسن . صوت يناديه من خلفه بنبرة يحفظها عن ظهر قلب؛ تشتت عقله أ يلتفت لها أم لا؟ هل سيقتلها إن رآها على ما فعلته أم لا؟ ولكنه حسم أمره، ونظر لها صامتًا.
اقتربت مروة منه، وهي تكتف يديها أمام صدرها، نظرت لدموعه؛ وأطلقت ضحكة ساخرة، وقالت :
- كل دي دموع علشان حبيبة القلب !دا حب بجد بقى!
كان محسن صامتًا بطريقة مريبة لا تعرف مروة فيما يفكر ، على الجهة الأخرى محسن الذي تدور بين قلبه وعقله ملحمة دامية متعادلة الطرفين؛ عقله لديه سبب، و قلبه لديه سبب أيضًا هو يحب الحب الذى تعطيه مروة له ، ولكنه يحب ندى ، هو لديه أسباب كافية لأن يقتل مروة الآن، ولكن لا يستطيع ،ويريد أن يعترف بحبه لندى ، لم يستطع أن يحدد من سينتصر؛ فأغمض

عينيه منهيًا هذا الصراع، وأمسكها من يدها متحركًا من المكان على الفور .
وصلا لحديقة المشفى الخلفية، ودفعها برفق لتكون أمامه، وصمت فصرخت فيه قائلة :
- انت إزاي تمسكني جامد كده وجعتني ! كل ده علشان خاطر ست ندى بتاعتك و . . . . .
محسن بغضب كاسح :
- مرووووة !
ابتلعت مروة ما تبقى لديها من حديث؛ لم ترى محسن بهذا الكم من الغضب من قبل . أخذ شهيقًا طويلًا أغلق عينيه يجمع شتات عقلة، ويرتب حديثه بشكل ثابت فتح عينيه، ونظر لها .
محسن بثبات نفسي، وملامح متأثرة :
- اللي عملتيه مرعب ، أذيتي إنسانة، وعرضتي حياتها للخطر والموت ، الدكتور بيقول كان بينها وبين الموت خطوة واحدة بس ليه ؟! عملتي كده ليه ؟!
مروة بتحدٍ سافر :
- أنا قلتهالك قبل كده يا محسن، وهقولها لك تاني أنا مش هسمح إنك تخوني، مش أنا اللي تخوني مع دي انت فاهم ! أنا شوفتك بعيني وانت بتبوس إيدها في المكتب، وسكت بس عمري منسيتش وكان لازم انتقم

محسن مضيقًا عينيه :
- أخونك ! أنتي مدركة حجم الكلمة دي ! بوست إيدها فبخونك ! مش كده ! لأ يا مروة ده طبع فيا لما أسلم على أي ست ببوس إيدها كاحترام مش أكتر وعايزك تعرفي إني يوم ما قولتلك إني بحبك وأنا قاصد الكلمه دي ، وعمري ما قولتها كدب أو ادعاء، و بحبك من قلبي، أنا معرفكيش من شهر ولا اتنين أنا حبيتك من يوم ما شوفتك، واتعاملت معاكي بقيتي في كل وقتي وبفكر فيكي، حتى وأنا بشتغل، حتى صورك عندي على كمبيوتر الشغل علشان لما توحشيني وأنا بشتغل أفتح صورك، و أشوفك انتي مش فاهمة ولا عارفة أنا بحبك إزاي .
تذكرت مروة صورها التي كانت على جهاز الحاسوب الخاص بمحسن؛ فابتلعت ريقها، و صمتت . تركها محسن، وجلس على مقعد قريب، دفن وجهه بين كفيه بحزن؛ فنظرت له، و اغتاظت من حزنه عليها
مروة وهي تكتف يديها أمام صدرها من جديد، وتوجه إليه اتهامًا جديدًا :
- هنفترض إنك جنتل، وماشي كنت بتبوس إيدها من باب الاحترام ممكن أفهم إيه الحزن ده كله ، فكرتني بالأميرة اللي أكلت التفاحة المسمومة و، الأمير يا حرام زعلان عليها ، تفسر حزنك ده بإيه رد ؟!

محسن بغضب، وهو يصرخ فيها واقفًا :
- فيها إن ده شروع في قتل، ولو ندى اعترفت عليكي حبل المشنقة، هيتلف حولين رقبتك واخسرك فهمتي ولا لسه بتحاولي تلاقي مبرر إنك تثبتي إني بحب واحدة تانية ؟! انتي مدركة المصيبة اللي هتحصل لو ندى حكت اللي حصل، والمدير نفى إنه أمر بالصيانة ! دي جريمة !
شعرت مروة بفداحة الأمر، ربما غيرتها وتملكها أعماها عن رؤية الأمر من مختلف الجوانب؛ فدبت البرودة في أطرافها، وابتلعت ريقها في توتر، ونظرت لمحسن الغاضب؛ فاقتربت منه، وأمسكت بيده قائلة :
- محسن أنا غيرتي عامية محستش بحاجة غير وانا بعمل كده؛ مقدرتش أشوفك مع واحدة غيري حسيت إني خسرتك؛ فاضطريت أتصرف كده ، محسن انت أكيد هتحميني صح !!
- مش هعرف أحميكى من نفسك
نظرت إليه مروة باكية : لا مش نفسي من اللي هيحصلي ،أنا عملت كده من حبي ليك ومحسبتش أي حاجة بسبب غيرتى ، أنا مرعوبة يا محسن !
شعر محسن برغبة عارمة في بث الاطمئنان بها لا يعلم سببه، ولكنه اتبع قلبه؛ وجذبها إليه، وحاوطها بذراعيه، وقبَّل رأسها قائلًا :

- ما تخافيش أنا جنبك ، مش هسمح إن حاجة تصيبك طول ما أنا موجود يا مروة صدقيني، بس عاوزك تختفي الفترة دي مش عاوزك تظهري في الصورة لحد ما الموضوع ده ينتهي .

مروة بتوتر :

- إوعدني إنك هتحميني

محسن مطمئنًا إياها :

- ما تخافيش أنا فداكي لو لزم الأمر . سيرتك مش هتتجاب في الموضوع أوعدك .

نظرت له بابتسامة تشوبها الدموع، وقبلته من خده بجرأة شديدة، وقالت :

- ربنا يخليك ليا يا حبيبى

- ويخليكى ليا، و يهديلى عقلك دا

- طيب أنا همشي قبل ما حد من الشركة يجي ويشوفني .

محسن بسعادة من هذا القرار؛ فقلبه يتلهف للاطمئنان على ندى :

- ماشي يا حبيبتي لما توصلي طمنيني إنك وصلتي

مروة بحب : حاضر يا حبيبي

رحلت مروة، وما إن ابتعدت حتى تحولت ابتسامتها الملائكية لضحكة متملكة، وتمتمت فى نفسها :

- مغفل بس بحبه .

ما إن غادرت مروة مبنى المشفى حتى صعد محسن على الفور إلى طابق ندى، ودفع بعض النقود لإحدى الممرضات لتسمح له بالدخول لندى الرعاية .

كانت نائمة تشبه الملائكة بوجهها الأبيض ،رأى لأول مرة خصلات شعرها البني من خلال غطاء الرأس الخاص بالمشفى الشفاف، ورموشها الطويلة كانت حقًّا كالأميرة النائمة، فالتقط كف يدها، وطبع قبلة رقيقة داخل كف يدها؛ ففتحت ندى عينيها ببطء، ثم أغلقتهما ، ثم بدأت في فتحهما مرة أخرى ببطء والرؤية مشوشة ، حاولت التركيز أكثر، وبدأت تفتح عينيها بقوة أكثر، وتحاول التركيز ، ودارت بها في المكان؛ فرأت محسن بجوارها يبتسم لها رأت حالته المزرية، ودموع عينيه فابتسمت له، واتسعت ابتسامته؛ فقبّل يدها مرة أخرى، وقال بحب :

- وحشتيني ووحشتني ضحكتك دي

خرج صوتها ضعيفًا :

- هو إيه اللي حصل !

- ششششش مش عاوزك تتكلمي، ومش مهم اللي حصل أنا جنبك و معاكي، ومش هسيبك أبدًا اللي حصل ده أثبت لي حاجة كبيرة مكنتش واخد بالي منها لحد اللحظة اللي حسيت فيها بالخوف عليكي.

ندى بوهن :
- حاجة إيه ؟!
محسن، وهو يحتضن كفها والدموع تغرق وجهه :
- أنا بحبك يا ندى أيوه بحبك أوي ، يمكن كلمة حب دي مش بتعبر عن إحساسي ناحيتك كنت خايف أعترف لك، وقررت إن الحب ده يكبر جوايا ليكي لحد ما اتأكد من مشاعري ومشاعرك بس النهارده، لما حسيت إني هخسرك؛ قررت أطلع من سكوتي، وأقولك كل اللي جوايا أنا بحبك.
تحركت عبرة تلألأت في عين ندى، ورسمت ابتسامة سعيدة على وجهها قبل أن تغلق عينيها غائبة عن الوعي؛ فشعر محسن بالفزع وهزها بلطف؛ فنهته الممرضة التي دخلت فجأة، وقالت :
- كفاية كده يا أستاذ سيب المريضة ترتاح علشان ما يحصلهاش حاجة أرجوك
محسن بقلق :
- حاضر حاضر
وقف محسن وألقى نظرة أخرى على ندى، وقبل يدها بقوة، وظلت أنظاره معلقة بها حتى خرج .

***

أنهى محسن الورقة التي في يده، وضمها للأخريات التي انتهى من قراءتهم . . تنهدت صافي، وقالت وهي مبتسمة :
- الحب شيء جميل أوي يا محسن، جميل إنك تكون بتحب حد أو محبوب من حد ما يسيبكش في أصعب أوقاتك يقدر ميولك وهوايتك، وحبك لحاجات معينة، زي مروة مثلًا رغم إنك عارف ميولها العدوانية مستمر في حبها .
محسن مبتسمًا :
- لأ أنا مش بحبها »رغم« ميولها العدوانية أنا بحبها »بميولها« العدوانية حرف الجر يفرق في معنى الجملة تمامًا ، الحب مفيهوش (رغم كذا) لو بجد حبيتي شخص هتحبي عيوبه قبل حسناته، هتعشقي تصرفاته مهما وصلت درجة جنانها أو سوئِها.
ابتسمت صافي، ولكن سرعان ما اختفت ابتسامتها، بعدما رأت محسن تتبدل ملامحه للغضب، ويشير إليها بالسبابة وتغير صوته تمامًا، ومن خلفه يقف أناس آخرون ملامحهم مألوفة لها، فأتاها صوته غليظ:
- » حبيتك بس مكنتش أعرف إنك كده انتي طلعتي أسوأ شخص في الدنيا كلك عيوب ، جشعة ، متسلطة انتي لا يمكن تكوني الشخص اللي أنا حبيته ، انتي الملاك البرئ! أنتي ولا حاجة بكرهك
- كفاااية . . غطت أذنيها وأغلقت عينيها، ثم فتحتهما سريعًا؛ لترى محسن ينظر لها بتعجب شديد، ويمد يده تجاهها، ويهزها

بروية . .
- صافي أنتي كويسة ! مالك حاسك مش طبيعية فيه حاجة، أنا قولت حاجة ضايقتك ؟! وكفاية إيه ؟ قصدك على الرواية يعني خلاص هوقف قراءة . قالها محسن بقلق عليها.
هزت صافي رأسها بالنفي، وقالت سريعًا، وهى تلتقط أنفاسها بخوف وتوتر، و محاولة تغيير الأجواء :
- لأ لأ قصدي كفاية رومانسية بقى قلبي الصغير لا يتحمل وكده ضحك محسن فضحكت صافي، وهي تمسح حبات العرق عن جبينها، وتبتلع ريقها بتوتر. ماذا يحدث؟ هل أثر حديث محسن بها أم أن هناك شيء خاطئ يحدث؟ أيعقل أن يرى الشخص شيئًا لا يحدث ؟ تكاد تجزم أنها رأت محسن يقول هذا ، أغمضت عينيها و نفضت تلك الأفكار عن رأسها، لأن لا تجعلها تسيطر عليها، ثم قامت بتمارين الشهيق والزفير لتسترخي .
أمسك محسن بورقة جديدة تحمل عنوانًا جديدًا، توقف عنده لثوانٍ نظر أمامه، ونطقه عن ظهر قلب :
» قد تظن أن اليوم لك وغدًا لك، ولكن تأتي ضحكة القدر؛ لترَيك كم أنت ساذج . «
نظرت له صافي نظرات ذات معنى؛ فهز رأسه بنعم فأشارت للورق كي يكمل .

***

خرج محسن من المشفى رأسه مثقلة بالهموم ، لا يريد الآن سوى صديق يضع رأسه على كتفه، ويغمض عينيه مفرغًا كل ما في عقله له؛ ليشاركه حزنه .

ابتسم محسن لامتلاكه ذلك الصديق؛ فأخرج هاتفه، وأجرى مكالمة، ثم أخذ تاكسي إلى منزله، استحمَّ وبدل ملابسه، ثم أخذ سيارته، وتوجه للمكان المنشود . دخل الكافيه المطل على النيل مباشرة، ووقف أمام المياه يتابعها بعينيه المرهقتين، كم هو عظيم النيل يرسم الابتسامة على وجهه في كل مرة! ربما يبدو اعتياديًّا لأي أحد ، إلا الكاتب هو وحده من يعرف أهميته .

شعور بأصابع ناعمة باردة تغطي عينيه؛ فاتسعت ابتسامته، وقال بحب :

- عمرك ما اتأخرتي عن معادك .

أجابته لميس بصوت حنون :

- وقتي من دهب يا فندم، مقدرش أهدره كده وخلاص

ضحك محسن، والتفت لتشتد ضحكته، وهو يراها تقف على كرسي؛ كي تستطيع وضع يديها على عينيه تهالك من الضحك، فنزلت عن الكرسي، ووضعت يدها في خصرها فلف ذراعه حول عنقها وقال بمزاح :

- يابنتي صدقيني انتي مكانك في ديزني لاند مش ممكن كده

ضحكت لميس، وضربته في جنبه قائلة :

- ملقوش في الورد عيب ، وبعدين أنت جايبني هنا علشان تتريق عليا ؟! انجز يا أفندي وقتي بفلوس . .

ابتسم محسن، وأمسك بيدها وقال :

- انتي عارفة يا لميس إنك صاحبتي الوحيدة. والوحيدة اللي معاها سري وتعرف كل حاجة عن حياتي، واللي حصل النهارده كان فوق مستوى تحملي، ولازم أحكيلك اللي حصل .

لميس بقلق، وهي تضع كف يدها على وجنة محسن :

- محسن انت كويس ! إيه اللي حصل احكيلي . .

محسن مغمضًا عينيه بألم :

- مروة حاولت تقتل ندى علشان شافتني وأنا ببوس إيديها .

- نعم!. . . صدمت لميس مما سمعت و فغرت فمها عن آخره

- محسن !

جحظ محسن بعينيه دون أن يلتفت لاسمه الذي نطق الآن من صوت يألفه عن ظهر قلب، فترك يد لميس على الفور، والتفت بصدمة :

- مروة ! إنتي بتعملي إيه هنا !

******

الفصل الخامس

لم يصدق محسن أن من أمامه هي مروة وخشي كثيرًا أن تفهمه بشكل خاطئ، أو أن تأذي لميس كما فعلت مع ندى . تلعثم في الحديث، ولاحظت لميس تعرقة وارتباكه؛ ففهمت على الفور هويتها، فمدت لميس يدها بذكاء وابتسامة سعيدة :

- الله هي دي مروة خطيبتك يا محسن ! حرام عليك دي أحلى بكتير من ما وصفتها لي دي ملكة جمال يا بني

رفعت مروة حاجبها، ونظرت ليد لميس الممدودة؛ فمدت يدها وسلمت عليها بغرور وتساءلت :

- آه أنا مروة خطيبته اللي حكالك عنها، انتي بقى تبقي مين ياللي هو محكاليش عنك

ابتسمت لميس بسعادة وقالت :

- ليه حق احنا صحاب طفولة، ولسه متقابلين قريب ، بس اسمحيلي أقولك محسن طلع بيحبك جدًّا؛ طول ما احنا قاعدين

ملوش غير سيرتك، وإنه يوصفك ويتغزل في جمالك، ومش مراعي سنجلتي خالص.
التصقت مروة بمحسن، ولفت يدها حول ذراعه وقالت :
- طبعًا إحنا قصة حبنا ملهاش مثيل، وأنا كمان بحبه بس أكتر ما هو بيحبني .
نظر لها محسن، وابتسم مقبلًا كف يدها؛ فتنحنحت لميس، وقالت :
- احم احم لأ أنا كده مش هقدر طب على الحكاوي ومقدور عليها، لكن كمان أشوف حبكوا لا كده هنهار فاسمحولي أنا
انزعج محسن، وكاد أن يمنعها، ولكن بادرت مروة قائلة :
- لأ خليكوا مش هقطع سهرتكوا أنا كنت جاية مع صحابي، و ماشيه هم مستنيني بره .
اقتربت مروة من محسن وطبعت قبلة على وجنته أمام لميس، وهي تنظر لها، ثم نظرت لمحسن وقالت بأنوثة :
- هستناك تكلمني بالليل مش هنام غير لما اسمع صوتك .
ابتسم مرة أخرى :
- أكيد يا حبيبتي هكلمك .
أشارت له بأصابعها، وكذلك للميس، ثم استدارت ورحلت في هدوء؛ فتنفس الصعداء، وأمسك بيد لميس وقبلها قائلًا :
- أنقذتيني بجد حسيت إحساس الطفل المراهق اللي بيشرب

سجاير، وأبوه مسكه
ضحكت لميس بهستيريا، وتوقفت لتلتقط أنفاسها، ثم واصلت الضحك، ومحسن مبتسم يشاهدها، وهي تضحك وبعد أن انتهت من نوبة الضحك، أشار لها بحاجبيه فضحكت من جديد؛ فسألها محسن مغتاظًا :
- لميس قولي بتضحكي على إيه ؟!
أشارت بشكل دائري على وجهها، وقالت :
- كان نفسي أجبلك مراية وتشوف وشك، وهي بتقول مين انتي هو محكاليش عنك ، ياربي يا محسن بجد كنت تهلك من الضحك
ضحك محسن وأمسك بعنقها بين ذراعيه وقال بمزاح :
- بقى كده يا أوزعة بتضحكي عليا
أخذا يتشاجران بطفولة لمدة، وهم يضحكان بصوت مرتفع متجاهلين نظرات الناس من حولهم، وبعد أن انتهيا جلسا؛ فنظرت لذراعها قائلة :
- إيدك زي المرزبه إيه ده ، بتتغدا حديد
أشار لها بضحك :
- يا ساااتر على النق الله أكبر
ضحك محسن، ونظر أمامه فابتسمت لميس، واستندت على يدها، وأخذت تطالعه بنظرات عميقة تتغلغل إلى أدق تفاصيله؛ فنظر لها محسن، وابتسم قائلًا بمزاح :

- بفكرك بأنهي قتيل فى عيلتكم ، انتى بصالي كدا ليه ؟
ضحكت لميس، ثم قالت بود :
- انت طفل أوي يا محسن ، مهما حصل جواك طفل برئ أوي مبتعرفش تكره حد قلبك تايه، بس خليك متأكد دايمًا إن نوره هيدلك على المكان الصح
قال محسن بابتسامة صفراء : أنا طفل ؟! أنا جوايا شخصيات كتيبير ،أنا مش زي ما بتقولي
- لا طبعًا ،انت بيتهيألك ده، كل واحد فينا جواه جانب مظلم ، كل واحد فينا جواه تاريخ من الانكسارات والهزائم والآلام ، كل واحد جواه حاجات كتير مستحيل يوريها للناس،بس مش معنى كده إن هو يكون وحش أو متعدد الشخصيات ، بس طبيعي التاريخ الطويل ده يسيب جوانا أثر، و ميبقاش سهل تمحيه، وبالتالى هتوه جواك لحد ما تعرف باب الخروج فين .
- وممكن مانلاقيهوش ،ونعيش ونموت، ومنعرفش نلاقي لنفسنا الدواء ، ونبقى موتنا جوه متاهة الألم والانكسار .
- فرضًا حتى لو حصل على الأقل هتكون اتعلمت حاجة، هتكون حتى قدرت متكررش أخطاء كسرت شيء جواك ، هتبقى على الأقل ميت، وانت بتحاول ودي لوحدها نهاية شرفية .
ابتسم محسن، وانتهى حديثهم، ثم أخذها أوصلها لبداية شارعها حيثما تنزل دائمًا؛ فقال وهو ينظر لها :

- بردو مش هتخليني أوصلك لحد البيت !
ضحكت لميس، وهي تلملم أشياءها وقالت :
- يابني انت كل شوية تسألني السؤال ده، وأجاوبك نفس الإجابة؛ أنا والدي متشدد وملتزم أوي، ومش معترف بالصداقة بين الشاب والبنت خالص، فهنزل بقى علشان ما اتأخرش أكتر من كده سلام, قبل أن تنزل التفتت لمحسن وابتسمت له، وبود أمسكت بكف يده، وقالت بحب :
- مش عاوزة أشوفك متضايق أبدًا يا محسن ممكن ! أنا بجد مبقدرش أشوفك متضايق ، وفداك الدنيا كلها مقابل بس ضحكتك اللي كنت بسمعها من شوية دي
اختفت ابتسامة محسن وعصف به سيل من المشاعر الجارفة دق قلبه للوهلة الأولى؛ كانت مرته الأولى التي يراها بقلبه كامرأة جميلة نظر لعينيها، كأنها مرته الأولى التي يراها مرر عينيه على ملامحها؛ كانت جميلة بشكل جذاب بريئة هادئة لا يعلم لِمَ شعر بتلك الرغبة ، لا يمكن؟! هل يحبها؟! أم يحب شيئًا بداخلها ؟! ماذا تفعل يا قلبي ؟ إلى أي سبيل تريد ؟ من تريد حقًّا، ومن تحب ؟ لم يترك لنفسه وقتًا ليجيب، وترك العنان لقلبه، و مال تجاهها، وبمنتهى الهدوء طبع قبلة على جبينها؛ توهجت وجنتي لميس بشكل واضح كأنثى، فنزلت من السيارة سريعًا تحت أنظار محسن التي تفيض عشقًا، ثم ابتسم لها من خلف الزجاج

الأمامي، وعاد بالسيارة عائدًا من الطريق الذي جاء منه . وقفت لميس تطالع السيارة لمرتها الأولى، حتى اختفت من أمام ناظريها. رفعت أناملها وتحسست مكان القبلة، وابتسمت بسعادة، ثم تحولت ابتسامتها لضحكة سعيدة، وأخذت تقفز كالأطفال من السعادة والبهجة، ثم انتبهت أنها في الشارع فتنحنحت، وأكملت طريقها في هدوء إلى منزلها.

كان يقود سيارته مبتسمًا قلبه يدق، وهو يستمع إلى ألحان رومانسية هادئة، لم يكن يرى الطريق كانت عينيه لاترى سوى ملامح لميس؛ لدعمها الدائم له، لفهمها المتواصل دون الحاجة للكلام ، تهتم بما يحب ويكره، ودائمًا كانت موجودة من أجله ، فأخذ يدندن مع الأغنية بسعادة حقيقية

***

ابتسمت صافي، وقالت بحب :

- بس تعرف أنا حبيت لميس أكتر حاجة

نظر محسن أمامه، وابتسم :

- وأنا كمان حبيتها . . أووي

نظرت صافي إلى محسن الشارد بعيدًا، هل ما تراه على وجهه هي دموع ؟! هل يبكي محسن حقًّا ! مدت يدها، والتقطت تلك العبرة التي سقطت سهوًا؛ فانتبه لها، ومسح فورًا بظهر يده

جميع دموعه وصمت؛ فسألته صافي بفضول شديد :
- اتوجعت يا محسن !
تنبأت بتلك الابتسامة التي يبتسمها كلما اقترب سهم سؤالها أن يصيبه في مقتل وابتسمها بالفعل، فنظر للسماء بأعينه الزجاجية المتلألأة، وحدث نفسه حديثًا صريحًا متألمًا :
- أنا أكتر حد أتوجع يارب ، أكتر حد خسر كل حاجة في إيده في غمضة عين ، لحظات الحزن بتخلي قلوبنا عجوزة و ضعيفة، بس مش دايمًا بيتحكي، ولا عمر حد هيحسه، وحدك بس يارب أعلم بمدى وجعه جوانا وتأثيره علينا »
كانت عينا صافي تتابعانه يدق قلبها حزنًا لأجله؛ تريد أن تواسيه بأي طريقة كانت؛ فمدت يدها ووضعتها على يده نظر محسن للأسفل؛ فسقطت دموعه على كف يدها؛ فنظر تجاهها، فأخبرته بصوت هادئ :
- حاسة بيك وبكل حاجه عاوز تقولها، محدش فينا ما اتوجعش، كلنا اتأذينا وشيلنا فوق طاقتنا، اتعلمنا و عيطنا، وممكن اتكسرنا بس احنا عايشين وبنستمر في الحياة »
سحب محسن يده من أسفل يدها، وأمسك بورقة جديدة، وقال بابتسامة مراوغة :
- إحنا قلبناها دراما ليه يلا نكمل .
كانت عيناه تهرب بعيدًا لم يكن من النوع الذي يظهر حزنه

بشيء من السهولة كان يبدو الحزن جليًّا، ولكن ابتسامته تخفي حزنه بمهارة؛ كان بشوشًا تحب أن ترى ابتسامته ، اهتز جسدها حينما لمس طفلًا صغيرًا قدمها؛ فنظرت له، وابتسمت، ومالت لتطبع قبلة على وجنته، وتساءلت بحب :

- فين ماما ؟!

فتمسك بها أكثر وقال » مامي » فاقشعر بدنها ونظرت حولها لتبحث عن والدته، ولكن كأن الحديقة أصبحت خالية من البشر، ونظرت بجوارها فلم تجد محسن؛ فدب الذعر في قلبها، وسألت الطفل مرة أخرى :

- مامتك فين يا حبيبي وأنت جيت منين ؟!

» مامي » فاحتضنها بقوة وشعرت صافى بإحساس قوي بالأمومة لا تعلم من أين اكتسبتها؟ وحملت الطفل، وأخذت تبحث عن والدته ولم تجدها ، فشعرت بالطفل يغفو بين يديها، وفجأة دون سابق إنذار، أمسك رجل غليظ الصوت شديد البنيه يدها، وانتزع الطفل من حضنها؛ فصرخ الطفل بقوة فتلهف قلبها عليه، ولكنه ردعها قائلًا :

- انتي واخدة ابني ورايحة بيه على فين ؟!

- حـ حضرتك هو جه ومسك فيا و و و أنا كنت بدور على مامته و . . . .

- شكرًا . . قطع الرجل حديثها، وتركها راحلًا فضحك لها الطفل مرددًا » مامي » شعرت صافي بيد توضع على كتفها؛ ففزعت، ونظرت بجوارها؛ فإذا بمحسن ينظر لها فى اندهاش !
أين كان؟ ومن أين أتى؟ ماذا يحدث !!
قالت بتوتر شديد وتعرق :
- مـ محسن إنت كنت فـ فين ؟!
نظر لها محسن بتعجب :
- أنا قاعد مكاني من وقتها انتي قومتي لعبتي مع الطفل ده
ثم أشار بيده إلى أحد الأطفال التى تلعب بالحديقة، ثم أردف:
-و فجأة سمعت الراجل ده بيزعق فجيت أشوف فيه إيه ؟! انتي كويسة !
نظرت صافي أمامها، وحدثت نفسها بتعب :
- لأ مش كويسة خالص، ومبقتش فاهمة إيه اللي بيحصل ده الطفل جالي، ولا أنا اللي روحتله وإيه تفسير اللي بشوفه ده، أنا حاسة إني في دنيا تانية خالص، بس أنا شوفت الموقف ده فين قبل كده ، حاسة إني بحلم لا ده كابوس !
هزها محسن برفق، ونظر لها باستفهام؛ فابتسمت بوهن، وقالت مغيرة مجرى الحديث قائلة :
- مش هتكمل لي إيه اللي حصل في الرواية ولا إيه ؟!

ضحك محسن وعادوا ليجلسوا في مكانهم، فأمسك محسن ورقة جديدة تحمل عنوانًا جديدًا:
» الحب هو حرب مسلوبة الراء ؛ فكن دائمًا على أهبة الاستعداد للمواجهة «

***

مرت الأيام وتيرة على محسن، وهو بجوار ندى في المشفى كانت السعادة تغمره؛ حين يشاهد ندى، وهي تتعافى بشكل تدريجي ، كانت الأيام تسير كالأمواج بين ندى في المشفى، ومروة وغيرتها الكبيرة، ولميس ومزاحها، كان قلب محسن يعيش مع كل تلك الفساتين بألوانها ، كان قلبه كالخُطاف يتعلق بأبسط الأشياء العاطفية، وازداد تعلقه بالفساتين أكثر، ظل مع ندى حتى تعافت بشكل كامل، وسعد قلبه لرؤيتها تقف على قدميها من جديد .
محسن بسعادة، ولمعة عينيه تفضحه :
- حمد لله على سلامتك يا حبيبتي نورتي الدنيا كلها من تاني.
أمسك بكف يدها وقبّله.
- قلقتي قلبي عليكي أوي يا ندى
ابتسمت ندى بخجل، وقالت :
- الله يسلمك يا محسن مش عارفه أقولك إيه على وقفتك جنبي طول الفترة دي كانوا بيقولولي إنك بتفضل قاعد بره لحد معاد

الزيارة، وتفضل مستني بعدها. بجد أنا مش عارفة أوصف إحساسي إيه لما بشوفك .
ابتسم محسن وهو يرى نظراتها، والتي تفضح ما تريد قوله، فقبَّل يدها التي ما تزال في يده لا يتركها وقال :
-ما تقوليش أي حاجة، أنا مش عايز أي حاجة من الدنيا غير إني أشوفك بخير وبتضحكيلي كده، لازم تاخدي بالك من نفسك علشان خاطري أنا
تغيرت ملامح ندى، وقالت بضيق يشوبه الغضب والثأر :
- والظاهر إننا محتاجين ناخد بالنا من اللي حولينا كمان، مش بس ناخد بالنا من نفسنا
ابتلع محسن غصة مريرة في حلقه، وقال بتوتر :
- قـقصدك ايه ؟!
نظرت له ندى، و كانت على وشك الحديث حينما دق باب الغرفة؛ فابتعد محسن عنها قائلًا :
- دي أكيد مامتك
فتَّح باب الغرفة فوقف محسن مصدومًا مما رآه، وجحظت ندى بعينيها، وهي ترى مروة تقف أمامها بكامل أناقتها، وتنظر لها بنظرات انتصار وكبرياء . خلعت مروة نظارتها الشمسية، ومالت بعنقها، وتساءلت بحب مصطنع يظهر به نظرة التشفي :
- ألف ألف سلامة عليكي يا ندوش زعلت جدًّا علشانك ربنا

يشفيكي يا حبيبتي، طبعًا شركتنا زعلت جدًا من اللي حصل؛ وعلشان كده المدير قرر يصرفلك شهرين مكافئة، وشهر إجازة مدفوعة من الشركة احنا يهمنا إنك تكوني كويسة.
نظرت لها ندى بغضب شديد، كان يثور بركان عظيم داخلها؛ تعلم أنها سبب كل ما حدث معها، لكنها لا تعلم لما فعلت ذلك؟! كان الأحرى لها أن تظل صامتة حتى تتأكد من السبب؛ ولكنها لم تكن لتترك لها مساحة لتتشفى بها؛ فقالت بصوت حذر غاضب :
- جاية تشتري سكوتي بالفلوس يا مروة !
صدم كل من مروة و محسن بشكل كبير ونظروا لها، فأكملت ندى حديثها وهي تضغط على أسنانها :
- إوعي تفتكري مثلًا إني عبيطة أو هبلة إني معرفش إنك ورا اللي حصل لأ أنا متأكدة إن انتي السبب، بس ليه يا مروة أنا عملتلك إيه ؟!
- اسمي الأستاذة مروة . . . قالتها مروة صارخة بها . . انتي باين الحادثة أثرت على مخك، انتي إزاي تتهميني اتهام زي ده أصلًا أنتي مجنونة ! المهندس اعترف إن الخطأ كان منه وأخد جزاؤه أنا مالي ! أنا عذراكي؛ شكل الحدثة ضيعت عقلك على الآخر يا حرام
وقفت ندى، و أشارت لمروة بسبابتها، وقالت والغضب تفاقم لديها :

- لأ انتي، أنا متأكدة من اللي بقوله صيانة إيه اللي بتبقى في نص اليوم دي ؟! من امتى والصيانة بتبقى في نص اليوم؟! انطقي و من امتى وده مهندس الصيانة بتاع الشركة أمال محمود فين؟! كل حاجة ضدك، وأقدر أثبت ده فورًا . .

نفخت مروة وارتدت نظارتها الشمسية، وقالت :

- أنا مش عارفة واقفة أتكلم معاكي ليه لحد دلوقتي، وأستحمل كلامك الفارغ ده أظن إنك محتاجة دكتور مخ وأعصاب علشان مخك لسع أنصحك تشوفي واحد، سلام !

نظر محسن لندى بعد أن خرجت مروة، وقال :

- إيه اللي انتي قولتيه ده يا ندى استني لما أصلح الموقف ده.

نظرت له ندى بضيق، وجلست على فراشها، وقلبها يشتعل من الغيظ . ركض محسن خلف مروة ثم أمسكها، وتوجه بها إلى الحديقة، وأوقفها قائلًا :

- انتي إيه اللي جابك يا مروة مش أنا قولتلك مش عاوز أشوفك في محيط المستشفى. اتفضلي أديها عرفت إنك انتي السبب ومعاها أدلة ضدك هتتصرفي إزاي ؟

نظرت له مروة بغضب قائلة :

- ما تقوليش إيه اللي جابك جيت علشان حضرتك مش بتتحرك من جنبها، وأربعة وعشرين ساعة في أوضتها؛ كان لازم آجي يا محسن وأشوف اللي بيحصل هنا بعيني، و أشوفك مع الهانم

بتهبب إيه.
محسن مغتاظًا :
- أظن انتي عارفه أنا هنا ليه وبعمل إيه ؟!
- ليه ؟! علشان ما تعرفش إن أنا السبب ؟! اتفضل أديها عرفت يبقى انت هنا ليه ؟! . قالتها مروة وهي تنظر في عين محسن؛ تقرأها وتستشف ردود أفعاله، كانت تنتظر فقط أن تظهر عينيه شيئًا من الحب أو الشفقة في حديثه عن ندى
تأفف محسن، ونظر لها وقال بقلق :
- يا مروة أنا مش عاوز حاجة تأذيكي ،أنا هنا علشان ما اخليهاش تقول اللي هي عارفاه علشان اقنعها إنك ملكيش يد، افهمي انا بعمل كل ده علشانك !
لم يكن يكذب هو بالفعل خائفًا أن تتحدث ندى بأي شيء قد يأذي مروة أو يعرضها للمسائلة القانونية، ورأت مروة ذلك الصدق في عينيه، فنفخت، واقتربت من محسن، وتعلقت بجاكيته؛ فنظر حوله ودفعها برفق عنه، وقال :
- بتعملي إيه احنا في مكان عام
نظرت له بامتلاك كأنه شيء خلق باسمها هي فقط و رفعت بيدها رأسه؛ لينظر في عينيها، وتساءلت بحب :
- أنت بتحبني أنا يا محسن صح !
ابتسم محسن ابتسامة ساخرة :

- طبعًا بحبك وبحبك أوي أوي كمان يا مروة، ده مش سؤال تسأليه يا مروة.

ابتسمت مروة من الإجابة التي حصلت عليها، ربما كانت تتوقع أن يغضب عليها، أو أن يعنفها، ولكن كان دائمًا لسانه لا يقول سوى ماهو جميل؛ فنظرت له بحب، واتسعت ابتسامتها، وقالت:

- ماشي يا حبيبي ، أنا همشي دلوقتي طالما أنت شايف كده وأنا واثقة فيك وهعمل كل اللي تقوله .

قبل أن ترحل ناداها محسن؛ فنظرت له فقال بحب :

- بالليل هعدي عليكي، ونخرج عاوزك في موضوع مهم

شعرت بفرحة عارمة وتساءلت :

- على ١١ ماشي ؟!

ابتسم وهز رأسه بنعم؛ فابتسمت هي أيضًا، وقالت :

- هستناك

تحركت مروة من أمام ناظريه للخارج ، ومحسن يرتب داخله قرارات حاسمة سيقوم بها في خطواته القادمة، وقبل أن يقرر أي واحد منهم رفع نظره للأعلى؛ ليرى ندى تشاهد كل ما حدث الآن، وتنظر له بصدمة!

***

وقف في الحديقة ينظر إلى الطيور، ويدقق النظر؛ ليحفظ أشكالهم عن ظهر قلب، وبيده كتاب يحوي أسماءهم وصور لأشكالهم ،كانت تلك عادته الدائمة والتي يحبها جدًّا . أمسك الصفحة وبأصابعه الناعمة الصغيرة قام بشقها عن الكتاب، وطواها ووضعها في جيبه الصغير .

» كريم وائل: طفل في الخامسة من عمره ، كريم طفل أبيض البشرة، هادئ الملامح، بشعر أسود كثيف، وعيون بنية لؤلؤية بنظرة منها كفيلة أن تقع في غرامها ، حاد الطبع، و ذكائه يفوق عمره بكثير «

خرج كريم من الحديقة، ودخل المنزل وكالعادة كان صراخ والده ووالدته يملأ المكان، فتجاهله، واتجه إلى غرفته جلس في خيمته الصغيرة التي صنعها مع والده، ثم أمسك بقلمه، وبدأ يرسم صورة الطائر التي شقها من الكتاب، وبدأ في تلوينها بشكل مبعثر غير عابئ بحدود الصورة، وكأنه يفرغ من داخله شحنة ذلك الصوت الذي أصبح في حياته اليومية بشكل دائم .

فتح باب حجرته فقفز، وقام بتمثيل دور النائم، فنادته والدته بصوت باكي :

- كريم قوم يلا اصحى، احنا هنروح بيت جدو

دخل خلفها زوجها، وقال بصوت هادر :

- يا هيام بطلي تحولي كل نقاشاتنا لخناقات بالشكل ده، أنا عاوز

مصلحتك انتي مراتي وأنا بحبك
صرخت فيه هيام قائلة :
- إنت غيران من نجاحي اللي هحققه، والمكانة اللي هوصلها، والمجد اللي هشوفه
قال مزمجرًا :
- نجاح إيه يا أم نجاح انتي ابنك كان هيتخطف النهارده في النادي، ولولا إني أخدته من إيد الست، ولا كنتي هتحسي بحاجة؛ انتي مش ناجحة كأم لما هتنجحي كدكتورة.
دفعته هيام، و أمسكت بابنها، وقالت وهي تعدل له هندامه :
- والله انت كمان كنت موجود ما تحطش اللوم عليا لوحدي، وبعدين أنا رايحة عند بابايا هو اللي هيقدرني وهيشوفني صح في كل اللي بعمله، ما هو أصل كده اللي بيحب حد بيحبه زي ما هو مش بيفضل يغير فيه على كيفه وزي ما يحب ويشكله ده مش حب ده امتلاك، وغيرتك من نجاحك دي شيزوفرينيا و. . .
اندفع إليها زوجها وأمسك بها من عنقها بغضب بالغ و ألصقها في الجدار؛ وكريم بينهم مذعور مما يرى ويحدث أمام حدقتيه الصغيرتين الخائفتين، كانت عينا هيام تذبلان و وجهها يتلون بزرقة مخيفة، وقبل ان تغلق عينيها تركها زوجها فسقطت أرضًا تسعل بقوة شديدة؛ فزمجر وتركها على وضعها ورحل عن المكان فورًا . أخذت هيام تلتقط أنفاسها، وتنظمها من جديد وبلل

الطفل سرواله من الفزع؛ فنظرت له والدته وأخذته بين أحضانها، وبكت بقوة . كانت أعين الصبي تتساءل مئات الأسئلة، ولكن لم يكن ليحصل على شيء مما يدور في باله؛ فآثر السكوت .

***

كان محسن يصعد الدرج وقلبه مشغول ، ماذا رأت ندى؟ كان يخشى من مثل هذة اللحظة بشدة، تنفس الصعداء، ودخل غرفة ندى كانت تنظر له بصدمة ، نظراتها تذبحه، وسكوتها يكمل مهمة نظراتها، فاقترب منها؛ فرفعت كف يدها لتوقفه؛ فنظر لها بصدمة، وقال :

- ندى، فيه ايه؟!

امتلأت عيناها بالدموع، ونظرت له بصدمة قائلة :

- ما قولتليش ليه يا محسن !

- أقولك إيه أنا مش فاهم حاجة ؟!

قالها محسن بقلق شديد ، كاد محسن يشعر أنه قد خسر العالم بأكمله؛ لم يكن ليسمح بخسارتها أبدًا

احمرت وجنتا ندى غضبًا، وهي تصرخ فيه :

- ما قولتليش ليه إنكوا بتحبوا بعض؟! ما طبيعي لما تحس إنك ميال ليا، وإن أنا بقيت خطافة رجالة تعمل فيا كدا . ليه أنا مقولتلكش حبني؟ أنا ما استاهلش كده يا محسن.

سقط قلب محسن فى أخمص قدميه ، اختفى كل شيء من أمام عينيه ، انشق قلبه من أثر دموعها ونظراتها، ورهف قلبه لحزنها ، ألقى باللوم واللعنة على نفسه أنه كان سببًا في كل هذا الحزن الذي تشعر به؛ فاقترب منها فدفعته؛ فقال مدافعًا :

- مش صح ،أنا بحبك انتي يا ندى، أنا بحبك صدقيني مفيش بيني وبينها حاجة، بالنسبة ليا دي مش أكتر من مديرة عندي في الشغل.

- كداب ! هي مديرتك في الشغل تمسكك من الجاكيت بتاعك، وتقرب منك أوي كده؟ إيه بتقولك شغل سر لحسن حد يسمعه، هتقولي مبرر إيه يا محسن! وأنا اللي غبية بدأت أحبك، وقولت ده اللي هيعوضني عن كل حاجة شوفتها إزاي أنا صدقتك ؟! . . قالتها ندى وهي غارقة في بكائها.

دق قلب محسن من اعترافها للتو أنها تحبه لم يصدق أذنيه؛ فقال بصدمة :

- انتي انتي قولتي إنك بتحبيني ؟! بتحبيني
يا ندى !

- كنت . لحد ما شوفت كل حاجة بعيني، وانت عمرك ما حبيتني، انت هنا بس علشان ما تخلنيش أعترف على الهانم . قالتها ندى بنبرة تحسر وحزن.

لم يشعر محسن بشيء سوى بالفرح؛ لقد اعترفت ندى للتو أنها تحبه؛ كان يشعر برغبة في أخذها في حضنه ويدور بها من السعادة، ولم يتمهل، وبالفعل بخطوة سريعة احتضنها، ورفعها عن الأرض وأخذ يدور بها في المكان، وهو يضحك بسعادة، ويردد « بحبببك »

توقف، ولكن لم يخرجها من حضنه، واستكانت ندى، ثم بكت بحرقة مرددة كلمة واحدة « ليه ؟! »

أمسكها محسن من كلتا كتفيها، ونظر في عينيها، ومد يده ومسح دموعها، ثم نظر مباشرة في عينيها، وقال بلهفة :

- « تتجوزيني ؟!»

كفت ندى عن البكاء، وتحولت لصدمة، و نظرت له كالبلهاء لا تفهم ما يجري، ثم عمل عقلها لتحاول أن تفهم؛ ثم أشارت للنافذة وقالت :

- و . . . . مروة !

قال محسن بنظرات حانية :

- أنا بحبك يا ندى كل الحكاية إن مروة اعترفت لي بحبها، بس أنا مش بحب غيرك، و بسايرها علشان أكل عيشي و عملت فيكي كده؛ علشان بتغير منك مش أكتر، علشان حست إني بحبك بجد ، يا ندى أنا من يوم ما شوفتك واتعاملتِ معايا وأنا حاسس إنك ليا بنتي الصغيرة اللي لازم أكون ضلها علشان بتحتاجني طول

الوقت، راجلك اللي أفديكي بروحي، بحبك يا ندى
ابتلعت ندى ريقها، و أحست بصدقه جدًّا؛ فتساءلت بقلق :
- بجد يا محسن !
- ورحمة أبويا جد الجد كمان أنا بحبك يا ندى بحبك انتي وبس . . قالها محسن بحب يفيض من عينيه
ابتسمت ندى ابتسامة مترددة، فدق باب الغرفة؛ فتنحنح محسن، وابتعد عنها ففتح الباب، ودخل إخوتها ووالدتها التي سعدت كثيرًا برؤية ابنتها معافاة، وتقف على قدميها واحتضنتها بسعادة كبيرة . سلم محسن على أخيها وابتسم له، ونظر لندى وهي بين أحضان والدتها بسعادة وغمز لها؛ فابتسمت بخجل
سعل محسن لتنتبه والدتها لوجوده؛ فرحبت به بسعادة فرحب بها، وقبَّل رأسها وقال :
- طيب أنا هستأذن بقى واسيبكوا مع ندى شوية
سلم عليهم، وقبل أن يخرج وقف على باب الغرفة، وفكر لدقائق ثم عاد، ووقف بجوار والدتها، وتساءل بصوت مسموع للجميع وخاصة ندى :
- طنط هو أنا لو طلبت منك إيد ندى للجواز هتبقى الشبكة امتى؟!

******

الفصل السادس

لم تصدق ندى ما سمعته للتو، وجحظت بعينيها وهي تنظر لمحسن؛ فنظر لها وابتسم وأغمض عينيه؛ ليؤكد لها عن صدق كلامه فارتسمت ابتسامة سعيدة على وجهها أظهرت كامل أسنانها من خلالها؛ فسعد كثيرًا لسعادتها وقبّل يد والدتها بحب و كرر السؤال مرة اخرى؛ فنظرت له والدتها نظرة رضا كتلك التي تشع من وجه أي أم مصرية حنونة، نظرة سعادة لقدوم نصيب ابنتها الكبيرة؛ فربتت على كتفه بحنو وقالت :

- هنستناك يا بني في بيتنا الجمعة الجاية، وتجيب معاك الوالد والوالدة، ونتفق على كل حاجة.

اختفت ابتسامة محسن من على وجهه، شعر بشعور طاغي بالرحيل ولكنه قاومه قائلًا :

- أنا والدي ووالدتي متوفيين ، معنديش غير عمتى

حزن الجميع من أجله، واعتذرت والدة ندى منه مرتين، و لكنه كرر أن الأمر ليس مهمًا ثم وقف واستأذن قائلًا :

- بعد إذن حضرتك ممكن أتكلم أنا وندى كلمتين على انفراد.

نظرت إلى أخيها فهز رأسه موافقًا؛ فسمحت لهم بذلك فخرجت ندى وخلفها محسن . وقفوا في حديقة المشفى كانت نظرات محسن متوترة وتعرقه يثبت ذلك؛ فاقتربت منه ندى وتساءلت بحذر :

- محسن انت كويس مالك ؟!

نظر لها محسن وأمسك يدها؛ فتوترت بشـدة ظل يحاوط عينيها بعينيه لفترة حتى استطاع التقاطهما، ولم تستطع الهرب من حصارهم ، حدثها بعينيه بث فيها حبه وشبقه بها لو العيون تتحدث لأسبلت كل بحور الشعر والحب، واختفت الكلمات من العالم نهائيًا، ظل يبثها بنظرات ذات معنى حتى خجلت، وأبعدت عينيها؛ فتنحنح محسن بخشونة، ثم قال بهدوء :

- عاوز أتكلم معاكي في موضوع مهم، وأتمنى إنك تسمعيني للآخر وتفهميني ، أنا أكتر سبب حبيتك علشانه إنك بتفهميني

نظرت له ندى وحاولت سبر أغوار عقله ، لم يكن يومًا بتلك الجدية، خطوط جبهته المنقبضة توحي كم هو جادٌّ؛ فهزت رأسها بجدية فهز رأسه بالنفي قائلًا :

- سمعيني صوتك عاوز أسمع صوتك يا ندى

كان دائمًا يملك سحرًا خاصًّا في مناداتها باسمها، وكأنه يعزف إحدى أكثر معزوفات الحب جمالًا؛ فقالت بهدوء خجل :

- سمعاك وأكيد هفهم اللي عاوز تقوله، عاوز تقول إيه؟

- وعد !

- أفندم؟! قالتها ندى مستنكرة.

فهز محسن رأسه، وأكد عليها قائلًا :

- إوعديني إنك تفهميني يا ندى.

- أوعدك يا محسن .

تنفس محسن الصعداء، ثم قال بهدوء :

- دلوقتي أنا وانتي محتاجين شغلنا جدًّا وأنا مليش مصدر رزق تاني غيره، ومش هقدر أسيبه على الأقل لحد ما اخلص توضيب الشقة علشان جوازنا ولحد ما ده يتم أنا مش عاوز حد في المكتب يعلم بموضوع خطوبتنا، وخاصة مروة لأن هي زي ما شوفتي كدا. و ده مش هيستمر كتير عدي اللي حصل وأنا في الوقت اللازم هجيبلك حقك.

صُدمت ندى من حديثه، لم تكن تتوقع أن يطلب منها محسن هذا الطلب، فضيقت عينيها قائلة :

- يعني انت دلوقتي بتطلب مني إني أوافق عادي إن واحدة معايا تكون بتحب خطيبي وبتغير عليه، وأنا ابقى لابسة دبلته، وأقول مخطوبة لحد تاني وكمان أتنازل عن حقي، مش كده وده

اللي عاوزني أفهمه.
صمت محسن ودمعت عيناه وقال بحزن دفين :
- صعب أنا عارف و أنا آسف لو بطلب منك طلب زي ده بس أنا بجد محتاج الشغل ده جدًّا، وبحبه أوي ده كياني وإني أخسره معناها إني انكسرت يا ندى، وحقك هيجيلك لحد عندك، بس أنا محتاج الشغل علشان أقدر أجهز بيتنا، وأعملك فرح يليق بيكي يا أميرتي ودنيتي.
شعرت ندى بتخبط شديد لا تعرف ماذا تفعل؟ وكأنها بين الجنة والنار لا تعرف كيف سيكون مصيرها؟ لم تستطع تحديد جوابها نظرت له واستشعرت الحب في عينيه، ولكن عقلها يلجم فمها عن النطق ويجلد كرامتها أن لا تسمح لأحد أن يهينها؛ فأغمضت عينيها منهية الجدال :
- إديني فرصة أفكر وأقولك رأيي في الموضوع ده أظن من حقي وقت ولا إيه ؟!
حاول محسن قراءة تعابير وجهها؛ ليستشف إجابته ولكن دون جدوى؛ كانت ملامحها جامدة خالية من الحياة، وكأنه للتو كمن قام بنزع سعادتها وترك محلها أثرًا غائرًا معرض لسيل من الحزن والألم فمرر أصابعه على وجنتها وقال بود :
- خدي كامل وقتك وفكري وخليكي واثقة إني بحبك وبحبك بجد، واتمنى الموضوع ده ميأثرش على خطوبتنا.

ابتسمت ندى ولم تضف، وتحركت عائدة للغرفة وهو من خلفها.

***

كانت صافي قد قامت لتسير مع محسن داخل الحديقة، وهي تستمع للرواية التي يقصها ومندمجة بشكل كبير مع كافة تفصيلها، ثم توقفت وأوقفته قائلة :

- بس انت فعلًا جيت عليها وعلى حقها أوي يا محسن، الست مش هين عليها تعرف إن فيه واحدة بتشاركها في حبيبها وخطيبها؟!

كان محسن يعلم أنها محقة ولكنه قرر أن يضع مبررًا؛ ليواري موقفه الخاطئ

فقال :

- كنت محتاج وقت وفرصة أقرب فيها أكتر وأشوف الصورة بشكل أوضح و. . . .

- مبرر ضعيف أوي يا محسن . . قالتها صافي ضاحكة؛ فضحك محسن فقد باتت تفهمه جيدًا.

نظر لها محسن ضاحكًا وقال :

- هو أنا ليه حاسس إني نايم على الشازلونج، و موسيقى شغالة في الباك جراوند، و بتقوليلي كمل يا ابني

ضحكت صافي بقوة وقالت :

- هو الحق كده دايمًا بيزعل

- ممكن معاكي حق، وأنا مكنتش هطلع نفسي غلطان بس هو فعلًا أنا ظلمتها، ولكن فكرك كده كيد النساء هيسكت على الموضوع ده . . . قالها محسن وهو يضحك ضحكة فاقدة للأمل.
فنظرت له صافي بصدمة :
- لأ متقولش إيه اللي حصل !
- قصدك تقولي إيه اللي محصلش؟
نظرت صافي إليه بحماس شديد قائلة :
- كمل كمل.

***

» لا يوجد أسهل من معرفة أين خبأ يهودي محنَّك مخطوطة حرب سرية مقارنة بمعرفة ما تخطط له امرأة تغار «
وقف محسن أمام المطعم في حلته الرسمية السوداء وأخذ ينظر في ساعته حتى لمح سيارة تقترب فابتسم، ونظر داخلها ليلمح مروة بفستانها الأزرق اللامع كانت فاتنة، وعطرها ملأ صدره بمجرد اقترابها.
نزلت فقبّل يدها فابتسمت له و تأبطت ذراعه، ودخلا سويًّا حيث طاولتهم المعتادة. تحرك محسن وسحب الكرسي من أجل مروة وتأكد أنها جلست، فدار حول الطاولة وهو يفتح زر الجاكت وجلس على الكرسي المواجه لها.

نظر لها بسعادة فدائمًا تبهره بجمالها وأناقتها ، تابع تفاصيلها: حركة يدها، ورمشة عينيها. كان غارقًا في حبها بكل ما تحمله الكلمة من معنى ، تسارعت نبضات قلبه حينما تصادمت نظراتهم؛ ربما هذا التوتر هو ما يؤكد له شدة حبه لها

» العاشق سيظل يرى محبوبته بمشاعر أول لقاء مهما تتعدد اللقاءات إلى ما لانهاية » التقط كف يدها وطبع قبلة رقيقة عليه؛ فابتسمت له وقالت بشيء من الخجل :

- قولتلي إنك عاوزني في موضوع مهم ؟!

- أنا يا بنتي ؟!. مستخدمًا تعابير وجهه لتنفيذ الكوميك.

ضحكت مروة ضحكتها المعتادة ضحكة مرحة مرتفعة فابتسم على إثرها و نظر لها بحب وقال وعيناه متلألأتان :

- تتجوزيني !

لحظة ماذا قلت ؟! كان ذلك رد فعل مروة الصامت ، هل أذنها تنصت بشكل صحيح لما قال ؟ هل حقًّا عرض عليها الزواج الآن ؟ لم تصدق فطلبت منه أن يعيد ما قاله، فكرر الطلب عليها مرة أخرى ففغرت فمها بصدمة؛ إنها المرة الأولى التي يعرض بها رجل عليها الزواج رغم جمالها وسلطتها إلا أن الجميع يسعون لمغازلتها أو الزواج بها عرفيًّا في الخفاء فدمعت عيناها؛ كانت تشعر لمرة أن لها وضع كأنثى بل كملكة فهزت رأسها بالموافقة.

سعد محسن كثيرًا،ولم يتمهل ومد يده فمدت يدها؛ فأخذها

ووقف بها في وسط المطعم؛ فنظر لهم الجميع، ولم تفهم مروة ماذا يريد أن يفعل؟ ولكنه لم يترك سبيلًا لمزيد من التعجب؛ نزل على إحدى ركبتيه وأخرج من جيب جاكيته علبة قطيفة سوداء، وفتحها ليخرج منها خاتمًا هادئًا يحرك الأنظار تجاهه فقال بصوت مرتفع:

» تتجوزيني ؟ «

هزت رأسها بالموافقة فهلل كل من في المطعم، و أطلق أحدهم صفارة عالية؛ فقام محسن بإلباسها الخاتم وقبَّل يدها، ووقف فانطلقت مروة لتستقر بين أحضانه وهي تقفز من السعادة ، قام المطعم بتشغيل موسيقى هادئة؛ أخذوا يتمايلون عليها لفترة لتتراقص قلوبهم قبل أجسادهم فى فرح وحب كبير، ثم عادوا ليجلسوا في مكانهم .

ظلت مروة تعبث بالخاتم وتشاهده عن قرب وابتسامتها لا تفارق وجهها بل كانت تتسع ، كان محسن يعد حديثًا مهمًّا كان متوترًا لا يستطيع أن يقرر؛ فنظرت له مروة وقالت بصورة مفاجئة :

- أنا مش عاوزة حد في الشغل يعرف إننا ارتبطنا .

سقط فم محسن من هول المفاجأة، ربما لو انتظرت لدقيقة أخرى لكان قال نفس الجملة تلك ، فنظرت له وقالت بحزن :

- عارفة إنك ممكن تضايق يا حبيبي بس صدقني ده الصح؛ أنا

لو اتقال إننا اتخطبنا أو فيه بينا حاجة، أي حاجة هتحصل في الشغل هتتفسر إني بحامي لخطيبي، أو تحصل مشاكل إحنا في غنى عنها.
تصنع محسن الحزن وقال :
- كنت حابب علاقتنا تبقى في النور بس انتي صح يا حبيبتي، واللي تقوليه هو اللي هيمشي .
- ربنا يخليك ليا يا حبيبى.
أنهى محسن ومروة سهرتهم وأوصلها حيث منزلها، وقبل أن تصعد التفتت له وطبعت قبلة على وجنته اختبأ نصفها داخل ذقنه، ثم قالت :
- بحبك أوي
ابتسم محسن وقال بحب :
- وأنا بحبك أكتر يا حبيبتي أو يا خطيبتي بقى.
ضحكت مروة بخجل وخرجت من السيارة، ثم دخلت منزلها و أشارت له بالوداع؛ فانطلق محسن في طريقه .

***

كان ينام على مقدمة السيارة يديه خلف رأسه ويطالع النجوم فسمعها تضحك بقوة؛ فالتفت تجاهها وأخذ يتطلع إليها وهي تضحك؛ كانت كجوهرة حمراء نادرة تلمع في عينيه، ولكنه صرف

نظره وعاد لينظر إلى السماء من جديد.
- بردو غدر الصحاب وحش بتضحكي عليا يا سنفورة ماشي ماشي.
قالها محسن بمزاح.
لكمته لميس في كتفه قائلة :
- بطل سنفورة دي، وبعدين آه بضحك عليك فيه حد مجنون يخطب بنتين في نفس اليوم لا وفي نفس المكتب لا حول ولا قوة إلا بالله كنت طيب يا بني .
اعتدل محسن في جلسته، وقال مغيراً مجرى الحديث :
- سيبك مني قوليلي فيه إيه ؟! مالك ؟
- بابا يا سيدي . قالتها لميس بضجر
- تاني ؟! يا بنتي اتأكدي كويس إن الراجل ده مش لاقيكي قدام باب جامع؛ ده مش بيسيب فرصة من غير ما يستغلها وينكد عليكي.
تحركت لميس وجلست على المقعد العام وقالت بضجر :
- بحس إنه مش طايقني في البيت وعاوزني أخرج منه بأي طريقة، وبيرميني لأي حد يتقدم واللي يدفع أكتر ، آخرهم جايبلي عريس أكبر منه هو شخصيًّا؛ بس علشان وعده بإنه هيسكني في فيلا، وهيديله مبلغ وقدره و بيحاول يضغط عليا بكل الطرق المتاحة قدامه.
- طب ما تطلعي فيه كل عيوب الدنيا ، قولي لأبوكي اعتدى عليا

أو اتعرض لي اتبلي عليه يعني . . قالها محسن بنظرات شر
ضحكت لميس وقالت :
- هيقولي يصلح غلطته أبويا وأنا عرفاه
ضحك محسن ساخرًا :
- إيه يابنتي ده مفيش منه أمل خالص.
أنهت لميس الحديث، وهي تنظر في هاتفها قائلة :
- أنا مضطرة أمشي علشان بابا ما يزعقليش
- طيب استني هوصلك
- مش مشكلة هاخد تاكسي لحد البيت انت خليك في خُطابك يا عيني صعبان عليا.
ضحك محسن، وأمسك بها من ياقة ملابسها :
- يلا يا أوزعة قدامي ، اركبي.

***

كان جالسًا على الدرج يراقب طائره المفضل من النافذة حينما شعر بحركة في الأسفل؛ فنزل ببطء فوجد والدته دخلت إلى المنزل، ولكنه ارتعش خوفًا من منظر الدماء على ملابسها، وظل يراقبها وهي تركض تجاه غرفتها، ولكن ناداها زوجها فوقفت في مكانها .
وائل بصوت مرتفع :

- رايحة فين يا هانم ، لفي كدا وبصيلي
- أنا راجعة تعبانة وعاوزة أنام . . قالتها هيام بتهرب
اقترب منها زوجها وأدارها تجاهه ونظر إليها؛ فصدم من هيئتها كانت ملطخة بالدماء بصورة كبيرة وبشكل مقزز؛ فتملكه الغضب، ودفعها من كتفها بقوة وصرخ غاضبًا :
- يعني بردو اختارتي شغلك يا هيام، بردو اختارتي تفضلي في القرف اللي انتي فيه ده! أنا تعبت كلام معاكي تعبت انتي إيه ؟!
وقفت هيام وأخذت تهندم ملابسها ثم قالت بصوت صاخب مرتفع :
- قطع إيدك ، أنا قولتلك يا وائل ده شغلي اللي مؤمنة بيه ومش هسيبه، وعارفة أنا بعمل إيه كويس أوي بطل انت غيرة وغل بقى
- اخرسي . . قالها وائل قبل أن يهوى بكفه على فكيها؛ فسقطت أرضًا من قوة الضربة
ركض كريم تجاه أمه واحتضنها وكأنه يحميها؛ فهوى والده عليه، وعلى والدته بضرب مبرح حتى شعر أنهما فقدا الحياة فتركهم،و رحل و أغلق باب المنزل بقوة هزت أرجاءه.
بعد وقت استطاعت هيام أن تقف على قدميها، وحملت ابنها بين أحضانها ودخلت به إلى الغرفة وأخذت تداويه، وهي تبكي

بقوة ثم قبلته ودثرته في الفراش، وجلست بجواره، و ازداد نحيبها وأخذت تحدث نفسها قائلة :

- خوفت من إن الناس تقول عانس علشان دراستي، ووافقت أتجوز صالونات، علشان أقدر أأمن مستقبلي قولت أتجوز دكتور و هحبه بعد الجواز، وطلع كله ضحك على الدقون ، الشخص الغبي هو اللي يستعجل الحب ويقرر إنه يتعلق، والحب هيجي بعدين والتفاهم هيجي لوحده، حسبي الله.

نظر لها كريم لا يفهم عما تتحدث؛ مازال عقله لا يترجم أي شيء مما تقول، وقبل أن يسمع المزيد غط في نوم عميق .

فتح الطفل عينيه فوجد والدته تجلس على الأرض ومعها حقيبتها السوداء؛ فقرر أن يتحامل على وجعه و يقوم؛ ليذهب إلى غرفته ليتركها تعمل؛ لأنها لا تحب الإزعاج . لمعت عينا الطفل قبل أن يخرج من الغرفة بنصل حاد يبرق أمام عينيه، وتلته آلات حادة تخرج الواحدة تلو الأخرى؛ فاقشعر بدنه خوفًا وعاد ركضًا إلى غرفته، وجلس في خيمته الصغيرة محتضنًا صديقه القطني وهو يرتجف خوفًا.

***

بعد أيام عديدة. . .

جلس محسن على مكتبه يعمل و يصب كامل تركيزه في عمله

سمع صوتًا مرتفعًا في الأعلى، ثم صوت خطوات تقترب منه فرفع نظره لثوانٍ ثم نظر من جديد إلى حاسوبه، ولكن تصلبت حركته فوقف ونظر لندى التي تقف أمامه في كامل أناقتها وابتسامتها الخلابة.

- حبيبتي نورتي مكتبك ! وأنا أقول المكتب منور ليه !

ضحكت ندى وتحركت لتجلس على مكتبها، و أخذت تدور بكرسيها بسعادة، وهو يتابعها في صمت حتى توقفت وتحركت؛ لتقف أمامه وأمسكت بكف يده وقالت بهدوء :

- أنا فكرت في كلامك كويس أوي، وفعلًا معاك حق أنا و انت محتاجين الشغل ده أكتر من أي حاجة تانية. وأنا موافقة على كل اللي قولته يا حبيبي.

- حبيبي ؟! . . لم يشعر محسن بالراحة بعد كلمات ندى الأخيرة، ولكنه سعد بعودتها من جديد للعمل وأنها وافقت على طلبه؛ فأمسك بكف يدها وقبّله، وأجلسها على كرسيها و جلس على حافة المكتب قائلًا :

- أهو كده الواحد يجيي الشغل بنفس . وحشتيني حقيقي وحشتيني

ابتسمت له بحماس، وقالت وهي تنظر للحاسوب الجديد الموضوع على مكتبها :

- ياترى كده كل الشغل القديم بتاعي راح ولا إيه ؟ وفيه شغل

أشتغله النهارده ولا يوم فري.

ضحك محسن وقال :

- انتي هنا النهارده دلع، من بكرا وراكي شغل قد كده

- طب يلا فطروني وحشني فطار الشغل و. . . .

دلفت مروة بكبريائِها المعهود بتنورة قصيرة سوداء و قميص رسمي أبيض وحذاء أحمر و إسكارف أحمر يزين عنقها، وشعرها مفرود يغطي كامل ظهرها ، نظرت لندى نظرات استعلاء كمن وثقت أخيرًا أنها المنتصرة؛ لأن محسن اختارها هي .

لم تشعر ندى بالارتياح من نظرات الانتصار التي قرأتها في أعين مروة، ولكنها تشعر بالشفقة عليها لا تعلم أن محسن فضلها عليها واختارها شريكة له بجانب ما تخطط له؛ فبادلتها نظرة تحدي حادة . . . كان محسن يقف في المنتصف يرى تلك النظرات، ويعلم أنه هدوء ما قبل العاصفة، ولكن العاصفة كانت مجرد فكرة أطاح بها إعصار هدد بقاء كل شيء من حوله .

- محسن !

لم يكن ذلك النداء من مروة أو ندى بل من لميس التي وقفت على باب المكتب فمها يضج بالدماء، فاندفعت بقوة، وألقت بنفسها بين ذراعي محسن وهي تبكي بقوة؛ ارتد محسن خطوتين للخلف من أثر اندفاع لميس عليه، واستند بذراعه على المكتب و بذراعه الأخرى حرك يده حول لميس بتلقائية كي لا تقع أمام

أنظار كل من مروة وندى !

***

فغرت صافي فمها بصدمة، ونظرت لمحسن وهي لا تصدق ما تسمع، وظلت على هذا الوضع لدقائق حتى حرك محسن يده، وأغلق لها فمها المفتوح عن آخره .

- محسن أنت انتهيت !

نظر محسن أمامه وقلب الورقة، وضمها لكومة الأوراق التي انتهى منها، وضم يديه إلى صدره وصمت؛ فنظرت له بعدم فهم، لِمَ لمْ يكمل قراءة ؟ مالت برأسها وحاولت أن تستشف فيما يفكر؛ فهزته بلطف؛ فنظر لها وتساءل :

- لو أنتي مكاني تعملي إيه ؟! قدامك اتنين بتحبيهم وحاسة إن قلبك ميال ليهم، وصديق فاهمك كويس أوي وبتحبيه بس لسه مشاعرك مش أكيد، تختاري مين ؟!

نظرت له صافي وفكرت لفترة من الوقت وتعرق جبينها، حاولت أن تحسم قرارها، ولكن كان الأمر شاقًّا؛ فنظرت له باستسلام قائلة :

- مش عارفة.

- لا تعرفي . . » نظر لها محسن نظرات قوية خافت منها » . . عاوزة تفهميني إنك ما اتحطتيش في موقف مشابه قبل كده ؟!.

هزت صافي رأسها بالنفي؛ فأتاها صوت محسن غليظًا والأوراق تتطاير من حوله . . كدابة ، نسيتي يحيى ولا سيف الأسماء دي غريبة ولا مألوفة بالنسبة ليكي ؟!

ابتلعت صافي غصة مريرة في حلقها، وحاولت أن تبتعد في جلستها عن أعين محسن، ولكن أينما نظرت ترى نظراته أمامها؛ فأغمضت عينيها بقوة، وكررت جملتها :

- مش عارفة يا محسن، مش فاكرة.

- مش فاكرة إيه ؟! . . قالها محسن وهو ينظر لها بتعجب شديد ، ماذا يحدث لها أو معها؟ لِمَ ابتعدت؟ ماذا رأت ؟! لِمَ تبدو خائفة إلى هذا الحد؟!

حركت صافي يدها ببطء عن وجهها؛ فوجدت نظرات محسن الهادئة تستطلع حالها وبيده أوراقه كما هي! فكرر سؤاله من جديد فابتلعت ريقها مرارًا و تكرارًا، ونشفت عرقها بطرف كمها، ونظرت نظرات متوترة حولها، وتصنعت ابتسامة شبه مستهلكة وقالت :

- مش فاكرة إذا مر عليا موقف زي كده ، لا مش معايا أنا مع حد أعرفه، أو ما مرش عليه حاجة زي كده خالص بصراحة.

هز محسن رأسه بتفهم وقال :

- أيوه أكيد مواقف زي دي مش بتحصل في العادي عارف . . . نكمل؟!

ابتسمت صافي بوجه مصفر وهزت رأسها بالإيجاب . أمسك محسن بورقة جديدة، وضحك مما دونّ أعلاها:
» قال أحد العظماء: من لديه امرأة يحبها؛ فقد مُنح الحياة، ومن امتلك امرأة يحبها، وامرأة تغار عليه؛ فقد عاش نص الحياة ، ومن امتلك: امرأة يحبها، و امرأة تغار عليه، وامرأة ذكية فلا حياة لمن تنادي . . . اهرب »
ضحكت صافي بتعجب وقالت :
- ده مين العظيم اللي قال كده ده ؟!
ضحك محسن نصف ضحكة ساخرة وقال :
- أنا !

***

جلس محسن في غرفة الانتظار ومعه لميس؛ يحاول أن يهدئ من روعها، وندى ومروة يقفان يطالعانه في غل يوشك أن يحرق الشركة بمن فيها .
- واقفين بتعملوا إيه هنا ؟!. قالها المدير بصوت فج ومرتفع انتفضت كلٌّ من ندى و مروة؛ فقالت مروة بتلعثم :
- آآ كنت آ بلف في الدور اشوف الموظفين وشوفت الأستاذة ندى، وكنت بقولها الله يرحمك آآ قصدي حمدلله على السلامة.
- »حمدلله على سلامتك يا أستاذة ندى، الحمدلله إنك تعافيتي

الشغل كان ناقص من غيرك كتير؛ كويس إنك قطعتي أجازتك وجيتي . . أستاذة مروة فين ورق الصفقة ؟!» . . . قالها المدير بجدية

ابتسمت مروة بثقة، وقالت :

- خلصته كله يا فندم وموجود على مكتبي.

- «أفندم ؟! ورق بالأهمية دي ترميه على مكتبك ؟! انتي عارفة لو الورق ده أصابه خدش إيه المبلغ اللي ممكن نخسره ؟!» . . قالها المدير بتهكم.

فقالت مروة بثقة أشد :

- متخافش يا فندم أنا عارفة أنا بعمل إيه ؟!

- طب اتفضلي قدامي افتحي أوضة الاجتماعات وجهزيها؛ الوفد خلاص على وصول، وبعدين تاخدي الملف، وتحطيه قدام الكرسي بتاعي فهماني ؟!

- حاضر يا فندم

تحرك المدير من أمام أعينهم؛ فتحركت مروة تجاه غرفة الاجتماعات؛ لتنفذ ما أخبرها به المدير .

ببطء قاتل ارتسمت ابتسامة لا ملامح لها على وجه ندى التي نظرت إلى مكتب مروة، ثم نظرت إلى غرفة الاجتماعات . .

محسن بملامح قلق وخوف شديد :

- كفاية عياط يا لميس أرجوكي فهميني اللي حصل، أنا مبقتش

فاهم حاجة ؟ إيه اللي عورك كده ؟! حادثة ؟! حد اتعرضلك ؟! ضربك ؟!
علا نحيب لميس عقب كلمته الأخيرة؛ فتساءل :
- أبوكي ؟!
هزت لميس رأسها، وتعلقت في ملابس محسن من جديد؛ فنفخ محسن بغضب شديد تجاه ذلك الرجل المسلوب المسئولية، وكأنه يفعل كل شيء؛ ليدفعها لتنتحر. فبهدوء ربت على ظهرها، ومسح عليه برفق وهو يردد :
- طيب اهدي يا حبيبتي أنا جنبك أهو . .
ظل على هذا الوضع حتى هدأت لميس كثيرًا، ثم رفعت رأسها، ونظرت لمحسن، وقالت معتذرة :
- أنا آسفة . أنا جيت بوظت لك الدنيا
- هي كده كده خربانة . . المهم عندي دلوقتي إهدي خالص مفيش حاجة هتحصل انتي مش موافقة عليها فهماني . . قالها محسن بهدوء فابتسمت لميس من حديثه، وابتسم هو أيضًا لابتسامتها، ثم قال :
- أنا الهدوء ده قالقني ما تيجي نشوف ريا وسكينة بيعملوا إيه، و أحاول أصلح الموقف.
هزت لميس رأسها، وتحركت مع محسن تجاه المكتب، فوجد ندى تجلس على مكتبها تعمل في هدوء؛ فضيق عينيه من تصرفها

يعلم كم هي غيورة؟! ولكنه اقترب منها قائلًا :
- ندى تعالي لما أعرفك. دي لميس صديقة الطفولة المقربة لقلبي
ابتسمت ندى نصف ابتسامة مجاملة، و نظرت ليد لميس الممدودة، وعادت لعملها من جديد. فأخذ محسن يعرض المكتب على لميس ويريها أغراضه أمام أعين ندى الغيورة، وأخذ لميس ونزل ليوصلها أيضًا أمام ناظريها، ولكن ندى لم يكن شاغلها محسن بل تنتظر بشغف شيئًا آخر ليحدث، وبالفعل لم يمر الكثير من الوقت حتى سمع الجميع صوت المدير يهدر باسم مروة بصوت مرتفع، و متوجه إلى مكتبها؛ فركض الجميع خلفه ليعلموا ما الأمر؟!
وقفت ندى وهي تحاول كتم ضحكتها، ولكن لم تستطع فضحكت بقوة، وأخذت تتمايل بجسدها وهي تضحك .
فتح المدير باب المكتب ودخل، فوجد مروة تجلس خلف مكتبها تعمل بجد، فألقى الملف في وجهها وصوته يملأ المكان بالسباب والإهانة .
فتحت مروة الملف، وهي لا تفهم ماذا يحدث؟ وصدمت صدمة عمرها حينما وجدت أوراقها التي عملت عليها لشهر كامل مطموسة بالكامل بالحبر لا يُرى منها كلمة واحدة .
- مش قادرة تشتغلي قولي بس مش تفضلي تخرجي وتسهري، وشغلنا واقف و تيجي تقوليلي الحبر وقع على الورق، وهصدق

يا مديرة يا عاقلة !
تلعثمت مروة، وظهر في عيونها الدفاع عن نفسها فلم يعطها فرصة قائلًا :
- أظن هتقوليلي حد عمل في الورق كده، و هعتبر نفسي مصدقك بردو دي غلطتك؛ لأن ورق بالحجم والأهمية دي ما يترميش على المكتب، و انتي المذنبة قدامي والأمر كله مسئوليتك انتي ، انتي المسئولة قدامي و هتتجازي وجزاء كبير أوي .
خرج المدير من المكتب، وكافة الموظفين يقفون يشاهدون ما حدث، وينظرون إليها نظرات اختلفت ألوانها؛ فصرخت فيهم قائلة :
- خلاص الشو انتهى. كل واحد يرجع على شغله . .
وأغلقت الباب في وجوههم بقوة شديدة، وعادت إلى المكتب تشعر أنه كابوس ولن ينتهي، نظرت في الورق تحاول أن تفهم .ماذا حدث؟ لم يكن يعلم أحد بالورق سوى هي والمدير و . . .
فغرت مروة فمها بصدمة هزت بكيانها، واكتسى وجهها بحمرة الغضب، و صرخت بقوة شديدة وفتحت خزانتها، وأخرجت سلاحها المرخص، وقامت بشد جزئه العلوي، وخرجت كالمجنونة من مكتبها، وعلى وجهها شيطان تخشى النظر إليه . . .
أوصل محسن لميس إلى حيث طلبت منه، ثم عاد فقابله عم فتحي بفنجان من القهوة فابتسم محسن بسعادة قائلًا :

- يااااه عليك يا عم فتحي لما تفهمني يااااه.
- اشرب يا أستاذ محسن اشرب ، كويس إنك كنت برا وما شوفتش المعركة اللي كانت فوق دلوقتي . .
لسعت القهوة محسن في فمه من الفزع، ونظر لعم فتحي، وظن أن مروة وندى قد تعاركا، وقبل أن يسأل عما حدث؟ فإذا بصوت إطلاق ناري يصم آذان كل من في الشركة !

******

الفصل السابع

شعر محسن أنه يحلم؛ لا يمكن أن يكون ما سمعه صحيحًا، رأى العمال يركضون إلى الأعلى؛ فتسارعت قدميه يدفعهم بعيدًا، وقلبه يخفق بشدة، حتى وصل إلى باب المكتب، و سقط على ركبتيه، وهو يرى مروة ترفع يدها للأعلى ممسكة بالسلاح لا يرى ندى من خلالها ، ناداها محسن فالتفتت نص التفاتة؛ استطاع من خلالها أن يرى ندى الجالسة أرضًا غارقة في بكائها سليمة لم يصبها شيء ، فاستند بظهره إلى الباب، وتنفس الصعداء بعد أن شعر أن روحه سلبت منه.

كانت نظرات كلٍّ من ندى و مروة مسلوبة الحياة فتحامل محسن على نفسه ووقف وتحرك تجاه مروة، وأخذ السلاح من يدها بسهولة، وأمسكها من يدها ودفع الموظفين بعيدًا، وذهب بها إلى مكتبها

وأغلق الباب من خلفهم ، أجلسها على الأريكة الوثيرة التي تحتل يسار مكتبها، وجلس على ركبتيه ليصبح مساويًا لها. نظر

لملامحها كانت واجمة هادئة، ولكن حركة عينيها غير الثابتة توحي باضطرابها . . احتوى وجهها بين راحتيه، ونظر لها عن قرب ناداها بنبرة دافئة :

- مروة . حبيبتي انتي سمعاني

توقف تحرُك عينيها، ونظرت له وتساءلت والدموع في عينيها :

- حبيبتك !

- طبعًا حبيبتي ونور عيني كمان عندك شك في كده ؟! . . قالها محسن بتروي وحب.

- جميل أوي ، مادام أنا حبيبتك ، ليا عندك طلب

-طلب إيه يا حبيبتى اؤمرينى ؟

- نتجوز . . يلا نتجوز يا محسن . . تفاجأ محسن.

من طلبها المفاجئ؛ لم يكن يتوقع مثل هذا الطلب في هذة اللحظة، ولكنه أرجع ذلك لشعورها القاتل بالغيرة.

ظهرت على ملامح محسن ابتسامة مطمئنة، وقال بحب :

- تحبي الشهر ده يشهد على توثيق حبنا، ولا نبدأ الشهر الجديد مع بعض !

- يعني إيه . . قالتها مروة وهي تمسح دموعها بظهر يدها مستفهمة.

اتسعت ابتسامته وقال بسعادة :

- يعني مفيش مجنون يرفض عرض جواز زي ده ! ده ال HR ،

والمدير التنفيذى هتبقى مراتي يا نااااس.
قطبت ما بين حاجبيها وتساءلت :
- طب وندى ؟! هنعزمها !
تحرك محسن وجلس بجوارها على الأريكة، وضمها إليه وقال متهكمًا :
- ندى معدش ينفع تتواجد معاكي في نفس المكان يا مروة؛ حاولي تخليها تمشي من الشركة بأي طريقة وأنا هحاول أقنعها بـ ده؛ لإن الانفعال ده غلط عليكي يا حبيبتي.
نظرت له مروة نظرات استطلاعية؛ تحاول أن تطمئن نفسها، وتستمد منه الصدق فاقتربت منه، ونامت على صدره القاسي؛ تستمع لدقات قلبه بثبات فمسح على شعرها ببطء؛ فحملت حقيبتها ثم نهضت وقالت :
- أنا هروح لماما في الصبا واروق أعصابي؛ مش هقدر أكمل يومي في الشغل كده، هروح أستأذن من المدير وامشي.
حملت مروة حقيبتها، وقبل أن تخرج من باب المكتب، التفتت لمحسن وتساءلت مكررة :
- محسن أنت بتحبني
صح ؟ وهنتجوز آخر الشهر وهبقى عروستك، و هلبس الفستان الأبيض ليك صح ؟؟
- بحبك يا عروستي . . قالها محسن مطمئنًا فابتسمت ابتسامة

اختفت من على وجهها، وهي متجهة إلى مكتب المدير !
وقف محسن يجوب المكتب يفكر في خطواته القادمة بدقة و عناية، وفي دوامة الأفكار المدوية تذكر ندى تلك الحبيبة التي غزت كيانه وسبرت أغوار قلبه وعقله؛ فخرج من مكتب مروة وتوجه إلى مكتب ندى ودلف ببطء، وأغلق باب المكتب، وكانت ندى تقف بثبات أمام النافذة لم تشعر بدخوله؛ كان عقلها في معزل عن عالمها . . اقترب منها تاركًا مسافة بعض السنتيمترات بين صدره وظهرها؛ فشعرت بدفء يغطي كامل ظهرها فاستندت بثقلها عليه، ولف ذراعيه حول ذراعيها، وطبع على رأسها قبلة حانية.
ندى بصوت متهدج :
- إيه اللي بيحصلنا ده يا محسن ؟!
ركز محسن على نقطة واهية في الفراغ، وقال بحزن :
- سامحيني يا حبيبتي أنا السبب في كل اللي حصل ده، عارف إن ده مش المفروض يحصل أنا آسف.
أبعدت ندى يده، والتفتت إليه، ونظرت في عينيه؛ فسقطت دمعة على وجنتها وقالت :
- محسن أنا بحبك ومش عاوزة أخسرك؛ بلاش تراهن على وجودي في حياتك علشان وظيفه زي دي.
نظر لها محسن، وقال بارستقراطية :

- خلاص يا ندى سيبي الشغل وأنا هتكفل بكل حاجة، والناقص هجيبه، بس أنا مش هضحي بيكي على إيد واحدة مجنونة زي دي، مش هقدر أتحمل كده أو إن يجرالك حاجة؛ أنا مش هآمن عليكي هنا أبدًا.

نظرت له ندى نظرة غضب كان واضحًا صدمتها، وقالت بغضب :

- انت عاوزني أسيبك هنا معاها، وأنا نايمة على ودني في البيت، أكيد لا مش هيحصل، انت واعي انت بتطلب مني إيه يا محسن؟؟

أمسك محسن بكلتا يديها، وقال محاولًا السيطرة على الموقف :

- ممكن تهدي ؟! أولًا وجودي هنا شيء مؤقت لحد ما أخلص تجهيزات الشقة والفرح، وبعد كده ياستي أوعدك إني هشوف شغلانة في شركة تانية، بس المرتب اللي باخده هنا مش هلاقيه في مكان تاني، وهو اللي هيتكفل بكل المصاريف.

نظرت له ندى وبدا عليها التفكير؛ فحاول أن يطمئنها بعينيه، فأغمضت عينيها حاسمة القرار قائلة :

- ماشي النهارده ٢٥ في الشهر هخلص الشهر وأمشي من هنا يا محسن، مش هكون موجودة، وأنا بثق فيك وفي رأيك، وأما اشوف الأمور هترسى على إيه

- تتجوزيني ! خلينا نتجوز الشهر الجاي يا ندى، وتبقي في بيتي وحلالي يلا قولتي إيه ؟ أعتقد ده أسلم حل لينا إن حبنا ينتهي ببدلة وفستان، ومكان يشهد فرحتنا مع حبايبنا

لم تصدق ندى ما تفوه به فكرره على مسامعها من جديد، وهو يطبع قبلة حانية على يدها أذابت ما تبقى من حصونها؛ فابتسمت له وابتسم لها بحب، ثم ابتعد قليلًا تجاه مكتبه وقال :

- أنا هروح استأذن من المدير، وأروح أشوف الناس اللي هتظبط الشقة، و أشوف هعمل فيها إيه وكده، علشان ده هياخد وقت، وننزل أنا وانتي نختار الفرش الجديد، وما تقلقيش من مروة هي مشيت من الشركة من شوية، وانتي ساعة كده وروحي على طول ماشي يا حبيبتي ؟!

- محسن أنا حبيتك أوي . . قالتها ندى بدموع

قطب محسن ما بين حاجبيه، و لم يفهم فتساءل :

- حبتيني ؟! يعني بطلتي تحبيني، آه قلبي

فمسحت دموعها، وضربته في كتفه وهي تضحك :

- حبيتك وبحبك أكيد يعني.

فوضع يده خلف رأسها وقربه منه، وطبع قبلة على جبينها وابتسم ثم خرج. عادت ندى لمكتبها، ثم نظرت لحاسوب محسن و ظلت تفكر لدقائق، ثم عزمت على تنفيذ ما يجوب في عقلها؛ فقامت وأغلقت باب المكتب وجلست أمام حاسوبه وأخذت تفتش داخله .

تحرك محسن تجاه مكتب المدير، ودق الباب الخارجي ودلف، ثم تساءل باهتمام وهو ينظر لضوء الاجتماعات الأحمر المضاء

أعلى مكتب المدير :
- هو فيه وفد النهاردة ولا إيه ؟!
- لأ يا أستاذ محسن ، بس الأنسة مروة جوه وعلى ما أظن إن فيه موضوع مهم بيتكلموا فيه؛ لإن المدير طلب مني محدش يقطع اجتماعهم . . قالتها السكرتيرة برسمية.
- »امممم طيب أنا هستأذن ساعة بدري علشان عندي شغل مهم بره، لما المدير يخلص الإجتماع المهم ابقي بلغيه ». قالها محسن بتأفف ثم خرج خارج الشركة وعقله لا يتوقف عن العمل وصعد في سيارته بإنهاك شديد ثم أخرج هاتفه وعبث في أرقامه ووضعه على أذنه :
- لميس إنتي فين ؟!. . . طب انا جايلك خليكي !

***

وقف كريم في الفصل خلال فترة الاستراحة وأخرج علبة غدائه؛ ليأكلها في صمت، لم يحاول يومًا أن يصنع أصدقاء أو يتعرف على طفل جديد .
دلف اثنين أشداء البنية عنه وأخذوا يتغامزون عليه، ثم ضحكا، وركضا تجاهه و أخذوا منه صندوق طعامه، وركضوا خارج الفصل؛ فنظر لهم بحزن شديد ثم نظر أرضًا، ودمعت عينيه فدلفت نرمين صديقته في الفصل وما إن رأته يبكي حتى جلست

بجواره، وتساءلت بطفولة :
- كريم بتعيط ليه ؟!
نظر لها كريم وشفتاه ملتوية للأسفل، ومسح دموعه وهز رأسه قائلًا :
- مش بعيط.
قالت نرمين بحزن :
- كريم مش تكدب أنا شوفتك بتعيط.
نظر كريم للباب، واغرورقت عيناه بالدموع وقال :
- شادي و نائل أخدوا اللانش بوكس بتاعي كله وجريوا.
حزنت نرمين كثيرًا وقالت :
- هم أصلًا وحشين وهيروحوا النار؛ ماما قالتلي اللي بيثرق بيروح النار.
هز كريم رأسه، ومسح عينيه فتحركت نرمين إلى حقيبتها وأخرجت صندوق غدائها، ووضعته أمام كريم وفتحته وقالت بحب :
- يلا ناكل مع بعض، ماما حطالي ثاندوتشات كتير أوي.
نظر لها وشعر بالخجل أن يأخذ منها فقالت بسعادة :
- مش عاوزة آكل لوحدي كل معايا وأنا بحبك وعاوزاك تآكل معايا
فابتسم كريم وتساءل بلهفة :
- بجد بتحبيني يا نرمين ؟!

هزت رأسها وقالت بسعادة :
- طبعًا مامي قالتلي أحب كل اللي معايا في الفثل، وانت طيب أوي يا كريم، ومش بتضايقني زي ما شادي ونائل بيعملوا؛ علشان كده بحبك وبحب أقعد معاك
اتسعت ابتسامة كريم وأخذ ساندوتش وبدأ في أكله، فدخل كل من شادي ونائل مرة أخرى، و هم يأكلون ساندوتشات كريم ويضحكون ببلاهة.
وقفت نرمين غاضبة ويدها في خصرها وقالت بغضب :
- مش هتبطل يا نائل انت وشادي الثرقه اللي بتعملوها دي هتروحوا النار، وأنا هقول للمثتر ثيد إنكوا بتثرقوا، و كريم مرضيش يرد عليكوا علشان هيدخل الجنه
اضطرب شادي وقال :
- لا يا نرمين ما تقوليش للمستر سيد، واحنا مش هنعمل كده تاني.
أخذ نائل الساندوتش من يد شادي، ووضعه في الصندوق وأعطاه لنرمين ثم ركضا خارج الفصل؛ فضحكت بسعادة وأعادت لكريم صندوق غدائه وقالت :
- بث بردو هتاكل معايا من ثندوتشاتي
قضى كريم يومه الدراسي وقبل الذهاب للمنزل رأى نرمين تقف مع الفتيات؛ فذهب تجاهها كي يشكرها، وما إن ناداها حتى

تحركت راكضة بعيدًا وقالت :
- بعدين يا كريم بعدين
حزن كريم كثيراً؛ كان فقط يريد أن يشكرها، فخرج من المدرسة، وظل جالسًا ينتظر والده أو والدته ليأتوا ويأخذوه، ولكن تأخر الوقت ولم يأتِ أحد؛ فظل جالسًا مكانه لمدة ثلاث ساعات وحينما أتى السائق الخاص بوالده، فوجده مستندًا على الجدار ويغط في النوم؛ نزل وحمله بحزن ووضعه في المقعد الخلفي، وعاد به إلى المنزل .
دخل كريم إلى المنزل وهو منهك للغاية، فنظر لوالده الذي يجلس أمام الحاسوب ويبدو أنه منكب على العمل، فوقف بجواره وقال:
- أنا مخلص مدرسة من الساعة واحدة.
نظر وائل للساعة فوجدها الرابعة والنصف، فقال بلامبالاة :
- لما اتأخرت بعتلك السواق يجيبك، المفروض الست هانم مامتك كانت عدت عليك جابتك، المهم إنك جيت، ادخل للدادة خليها تحميك و تغير لك، و تحطلك تآكل.
نظر كريم نظرات عتاب لوالده وألقى بحقيبته أرضًا، وركض تجاه غرفته خلع ملابسه، ودخل إلى حمامه الخاص، وملأ البانيو بالمياه ودخل ليجلس داخله، وهو يحتضن قدميه ويبكي حاله، كانت المياه تصل لعنقه و دموعه هي مصدر الصوت الوحيد، والتي تتساقط بكثرة داخل المياه؛ فشعر كريم بالنعاس يضرب رأسه؛

فأغمض عينيه، وهبط برأسه داخل البانيو .
دخلت هيام المنزل مهرولة وهي تنادي الخدم؛ فأجابوها فتساءلت بلهفة :
- أنا اتأخرت على كريم هو جه ؟! حد راح جابه ؟!
فأجابتها الخادمة :
- أنا ما شوفتوش
- ولا أنا . . قالتها الدادة بجهل
نظر لها زوجها، وقال بتهكم :
- طيب والله كويس إنك افتكرتي إن ليكي ابن وإنك المفروض تسألي عليه وتروحي تجيبيه من المدرسة، الساعة بقت خمسة إلا ، وانتي عارفة إن ابنك بيخلص مدرسة الساعة واحدة كنتي فين كل ده ؟!
- كان عندي شغل . . قالتها هيام بتهكم . . ولما انت عارف إن ابنك بيخلص الساعة واحدة مروحتش تجيبه انت ليه ؟!
- علشان النهارده يومك والمفروض إنك انتي اللي تجيبيه مش أنا يا هانم . . . قالها وائل بتحدٍ.
نظرت هيام أرضًا فوجدت حقيبة كريم؛ فتنفست الصعداء وقالت :
- ابني فين دلوقتي ؟!
قال وائل بلامبالاته المعتادة :

- قولتله يروح للدادة تحميه وتأكله.
نظرت هيام للدادة، فقالت بتعجب :
- بس كريم مجاليش، وما شوفتوش.
دفعتها هيام من كتفها ونفخت في ضيق، وتوجهت إلى غرفة كريم فتحتها ونظرت داخلها فلم تجده، نظرت حولها فوجدت ملابسه ملقاة أرضًا؛ فنظرت للحمام وتحركت تجاهه ودقت الباب برفق؛ فلم يأتها رد ففتحت الباب بروية، ونظرت في زواياه قبل أن تسقط عينيها على البانيو، وابنها مستكين داخله لا يتحرك؛ فتصلب جسدها وأطلقت صرخة مدوية هزت أرجاء المنزل الخاص ركضت و بخوف كبير انتزعت صغيرها من مسبحه الصغير؛ فوجدت جسده بارد و حركته ساكنة؛ فسحبت المنشفة و دثرته بها، وهي لا تقوى على الحراك من هول الصدمة. فتحت بيد مرتعشة جفنه فوجدت بؤبؤ عينيه مستقران أعلى عينيه؛ فدب الذعر في قلبها وأخذت تضغط على بطنه؛ فيخرج الماء من فمه كثيرًا . . وصل وائل والخدم أمام الحمام؛ فصرخ وائل باسم ابنه بذعر . . مالت صفية وأخذت تنفخ في فم ابنها محاولة جعله يتنفس صناعيًّا ، وتدفع المياه من داخله للخارج، واستمرت على هذا الوضع لفترة كبيرة. خارت قواها وهي تبكي، ولكنها لم تتوقف أبدًا عن المحاولة، فوقف وائل وهو يدفعهم للخارج وبأعلى صوته :

- براا كلكم مطرودين اطلعوا بره، مش عاوز أشوف وش واحد فيكوا؛ لو شوفت واحد فيكوا قدامي هضربه بالنار.
- كريم قوم يا قلب مامي ما تسبنيش يا كريم أرجوك . . قالتها هيام وهي منهارة، وأخذت تحاول وتحاول حتى بدأ اليأس يضرب قلبها؛ فبكت بإنهيار وهي تدفع بطنه للأعلى وفمه يخرج الكثير من المياه، حتى صدر صوت ضعيف؛ توقفت هيام أثره على البكاء، وانتفضت محاولة مرة أخرى جعله يتنفس صناعيًّا حتى سعل الطفل؛ فجذبته والدته من ذراعه قلبت وضعيته ليصبح فمه للأسفل فسعل بشدة وأخرج باقي المياه من فمه، وما إن هدأ حتى أخذته والدته في حضنها وهي تبكي بحرقة ، ابنها الذي كان سيضيع من بين يديها في لحظة واحدة
جلس وائل أرضًا، ووضع يده على رأس ابنه، فدفعت هيام يده بعيدًا وقالت بصوت جهوري غاضب :
- مكلفتش خاطرك تبص على ابنك لحد ما أرجع، أهو ابنك كان هيضيع من إيدينا، وكله شغل شغل شغل.
- شوفوا مين بيتكلم عن الشغل ، أنا اللي اتأخرت على ابني ٣ ساعات في الشارع الله أعلم كان حد خطفه أو أذاه ؟! انتي بالذات ما تحاوليش تبعدي الاتهام عنك، انتي الأم وانتي المسئولة الأولى والأخيرة عن ابنك ياهانم.

حملت هيام طفلها وخرجت به من الحمام، وضعته برفق على الفراش وأخرجت ملابسه وبدأت في تلبيسه، ثم دثرته جيدًا داخل الغطاء وقبلته من جبينه، وسحبت زوجها من يده وخرجت مغلقة كلًّا من النور والباب . ثم انتفض جسد الصغير من صوت والدته ووالده المرتفع أمام باب غرفته؛ فترك الفراش، وركض تجاه خيمته الصغيرة دفن نفسه بين ألعابه و احتضن دبدوبه البني الفرو الصغير،وهو يسمع صراخهم الذي لا ينتهي إلا بصوت صراخ والدته من ضرب والده لها فظل الصغير يبكي حتى غط في النوم .

***

أنهى محسن الورقة التي يحملها وضمها لسابقها من الأوراق، وصافي تتابعه باهتمام فتساءلت باهتمام :

- طيب انت ما فكرتش إنهم الاتنين ممكن يعرفوا ؟!

نظر لها محسن وهز رأسه بجهل :

- مش فاهم.

- ده جواز يا محسن يعني فرح وهيصة إزاي مفكرتش إن ممكن ندى تعرف إنك بتتجوز غيرها أو العكس، بالنسبة لمروة تبقى ساذج جدًّا لو مفكرتش إن موضوع زي ده عادي يتكشف، وزي ما انت عارف مروة مش سهلة

نظر محسن أمامه، وقال بتهكم :

- قال يعني كانت هتفرق وبعدين أنا فكرت في كل اللي بتقوليه ده، وكنت هامشي بمبدأ الاكتفاء.

- يعني إيه مش فاهمة !

- يعني لو اتجوزت مروة ولقيت بجد إن هي الشخص اللي هرتاح في حياتي معاه، وإن عندها الحب اللي يغطي علاقتنا ويجملها كنت هكتفي بيها . . قالها محسن موضحًا

قطبت صافي ما بين حاجبيها وتساءلت :

- طيب وندى اللي انت وعدتها، مفكرتش إن قلبها هيتكسر لما ترفضها بعد ما وعدتها بالجواز؟!

نظر لها محسن، ولاحت ابتسامة حزينة على وجهه، ثم نظر أرضًا وقال بتهكم صريح :

- كان لازم ينقلب السحر على الساحر يا صافي.

- يعني إيه ؟!

- الورقة دي هتقولك بالظبط قصدي إيه.

نظرت صافي للورقة الجديدة التي التقطها محسن بين أنامله، وحاولت أن تقرأ الجملة التي تعتلي الورقة الجديدة، حتى أراحها محسن؛ ونطقها بطريقة غريبة، وكأن كل حروفها تضغط على جروح عميقة داخله.

النهاية

» حينما تعد جيوشك، وتنظم خطة حرب مُحكمة، وتظن أنك منتصر لا محالة، فانظر خلفك لمرة واحدة قبل الهجوم؛ لعل العدو بين صفوف جيشك ويفصله عنك خطوة واحدة فقط. »

شعرت صافي بخوف من هذه الجملة ودب الذعر في قلبها وابتلعت ريقها، عن أي حرب يتحدث؟ و عن أي عدو يقصد ؟!

لم يمهلها محسن وقتًا للتفكير، وبدأ في قراءة ورقته البيضاء التي تحمل حبرًا أحمر أعلاها بصورة مبعثرة.

***

جلس على ضفة النيل وبين يده زجاجة مياه و قميصه مفتوح لمنتصف صدره، والهواء يتخلل القميص ليضرب صدره بقوة وهي تجلس بجواره وتنظر له؛ منتظرة منه أن يبدأ بالكلام؛ ولكنها أرادت تهوين الوضع قليلًا فقالت مازحة :

- تصدق اتأثرت، الموضوع طلع مؤثر جدًّا

نظر لها محسن من جانب عينه وألقى عليها زجاجة المياه، فالتقطتها ضاحكة وقالت :

- ماهو بص أنا مكنتش ساحرة قبل كده، ومش بشم على ضهر إيدي علشان أخمن أو اعرف مالك، اتكلم ياعم الصامت.

ضحك محسن بتهكم،

وقال :

- أنا هتجوز يا لميس.
فغرت لميس فمها بصدمة وقالت :
- نعم يا قلبي تتجوز ؟! تتجوز أنهي واحدة إن شاء الله، مين اللي ربح في المعركة؟!
- هزري هزري . . قالها محسن مغتاظًا فابتسمت لميس ببلاهة فأجابها محسن قائلًا . . هتجوزهم هما الاتنين.
سقط فك لميس السفلي وقالت مهللة :
- الله أكبر أقنعتهم إزاي يا جهبز ، معقول حبوا بعض كإخوات، وتقبلوا الموضوع وكده لا إيه اللي تم ، دانا لازم آخد منك البركة بقى، انت طلعت فيك شيء لله.
- لميييييس . . قالها محسن محذرًا إياها كي تتوقف عن المزاح فرفعت يدها متفهمة وقالت :
- تمام تمام احكيلي بالتفصيل إيه اللي حصل من بعد ما مشيت من الشركة لحد ما كلمتني علشان افهم بس.
قص محسن كل ما حدث معه للميس، وهي تستمع باهتمام شديد لما يقوله، وتحاول أن تجمع الأحداث داخل رأسها الذي يشبه
» ثمرة الشمام الصغيرة» كما يخبرها محسن دائمًا وما إن انتهى قالت لميس بغضب :
- ليه عملت كده يا محسن؛ انت كده لبست نفسك في الحيطة،

انت أصلًا مش متأكد إنك بتحبهم.
- إيه الكلام الفاضي ده امال أنا معاهم وخاطبهم إزاي، لا انا بحبهم ومن كل قلبي كمان، أنا بعشقهم هم الاتنين يا لميس، ومش عارف إزاي ده حصل؟! بس حصل.
قالت لميس بعد أن شعرت بالغضب :
- و مروة كانت عند المدير بتعمل إيه ؟ واللمبة الحمرا شغالة ؟! اجتماع! بس سري لدرجة إنكوا متعرفوش عنه حاجة صح؟!
- قصدك إيه يا لميس ! رفع محسن حاجبه، وانتظرها تجيبه
قالت لميس بعند وتحدٍ :
- قصدي وصلك كويس يا محسن.
ودون أي سابق إنذار لطمها محسن على وجهها؛ فصرخت متألمة من جرحها القديم وعليه كف محسن؛ أدى لشرخ في لثتها وأصبحت تضخ الدماء ضخًّا، استفاق محسن لما فعله للتو؛ واهتز بدنه لرؤية سيل الدماء الذي يخرج من فم لميس فاقترب منها؛ فمنعته بيدها ووقفت لتقول :
- شكرًا يا محسن على المكافأة دي وعلشان أنا كنت بعزك؛ فحاولت أنبهك للي بيحصل من ورا ضهرك وانت رافض تصدقه؛ علشان قلبك مسيطر عليك، وندى كمان مش بتحبك هي بس شايفة فيك ضل راجل ولا ضل حيطة لا نظرتها ولا كلامها بيقولوا

إنها بتحبك. سلام يا محسن وياخسارة بجد.
رحلت لميس من أمام محسن، وهي تضع يدها على فمها محاولة إيقاف الدماء، وهي تبكي بقوة أخذ محسن يركل الرمال في غضب شديد، ثم سقط على قدميه وهو يصرخ بشدة محاولًا إخراج كم هذا الغضب من داخله، وما إن هدأ قليلًا حتى عاد إلى منزله سيرًا على قدميه، لا يعلم كم المسافة التي قطعها أو الزمن الذي مضى وهو يمشي بغير هدى؟! دخل شقته وارتمى على فراشه، وغط في النوم بثيابه دون أن يبدلها .
في صباح يوم مليئ بالأحداث استيقظ محسن متأخرًا، فاستحمَّ وبدل ملابسه ونزل متوجهًا إلى عمله، فقابله المدير مكتفًا يديه أمام صدره وقال بسخرية :
- نموسيتك كحلي يا أستاذ محسن، ياريت ما نكونش قلقنا منامك بس.
- ما سمعتش المنبه والله يا فندم أنا آسف حاسس إني تعبان جدًّا. قالها محسن بتعب
- خصم ٣ أيام يا أستاذ؛ علشان تاخد شغلك بجد شوية إحنا مش في حضانة هتقولي عذر وأقبله؛ ده شغل يعني فلوس يعني بيوت مفتوحة. اتفضل على مكتبك.
تأفف محسن وصعد إلى مكتبه دون أن يضيف كلمة واحدة، وأصبح اليوم من بدايته مشئومًا. دخل مكتبه وألقى حقيبته

وسلم على ندى فلم تجبه؛ فنظر لها بتعجب وناداها مرة أخرى، فانتبهت لوجوده.

- أهلًا حبيبي إزيك اتأخرت كده ليه؟ بحاول أكلمك من امبارح وتليفونك مقفول.

وضع يده في جيبه وأخرج هاتفه فوجد بطاريته فارغة؛ فعلم لِمَ لم يدق المنبه. فأوصله بالشاحن بضيق وجلس على حاسوبه، فدخل المدير وقال بصوت جهوري آمرًا :

- المشروع الجديد دلوقتي على أجهزتكوا يا أساتذة، والمشروع ده في غاية الأهمية واحنا داخلين فيه بمعظم أسهم الشركة، ولو حصل أي غلطة صغيرة مش هرحم حد انتوا فاهمين .

خرج المدير من المكتب فتأفف محسن من طريقته الفظة في الحديث، وفتح إيميله الخاص، وبدأ في العمل هو وندى، وبعد مرور وقت طويل تساءل محسن وقال بغضب :

- لا بقى الإيميل ده فيه حاجة غلط؛ أنا هطبعه وأروح أعرضه على المدير.

فهزت ندى رأسها موافقة فطبع محسن الإيميل، وأخذه وتوجه إلى مكتب المدير فلم يجد السكرتيرة، فنظر إلى مكتب المدير، ليجد الضوء الأحمر مضاء من جديد؛ فلوى فمه بضيق وجلس على مكتب السكرتيرة منتظرًا انتهاء الاجتماع، وهو يقرأ الإيميل من جديد سمع صوت ضحكة يعملها جيدًا بل ويحفظها عن

ظهر قلب، رمش بعينيه بصورة متفاجئة، و تردد على مسامعه جملة لميس :

- »و مروة كانت عند المدير بتعمل إيه ؟ واللمبة الحمرا شغالة؟! اجتماع ! بس سري لدرجة إنكوا متعرفوش عنه حاجة صح؟!«

تحرك محسن وألصق أذنه على باب المكتب؛ فسمع ضحكاتها من جديد وبدون أي تردد قام بفتح الباب بصورة مفاجئة؛ لتجحظ عيناه بصدمة شديدة وهو يرى حبيبته وخطيبته مروة تجلس بين ذراعي المدير بملابس كاشفة تكشف أكثر مما تستر؛ فنظرت له مروة- وهي تبتلع ريقها-بصدمة شديدة؛ لم تكن لتظن أن يحدث ذلك، فشدت ثيابها من على المكتب ووضعتها على جسدها؛ لتغطيها وهي تحاول ارتداءها.

وقف المدير وعلى وجهه سيل من الغضب وقال بصوت آتٍ من الجحيم :

- انت مين سمحلك تقتحم عليا المكتب بالطريقة الوقحة دي ؟! إزاي تدخل من غير ما تخبط ؟!

- اللي سمحلي آجي هو قدري ساقني لحد عندك برجلي؛ علشان أشوفك وانت مع خطيبتي في الوضع القذر ده يا سيادة المدير.

قالها محسن وهو يضغط على أسنانه، وتلون بياض عينيه بخطوط حمراء غاضبة.

لوى المدير فمه وقال ساخرًا :
- هأوأو خطيبتك مين يا ابو خطيبتك ، مروة دي مراتي عرفي، وبقالنا سنة ونص واحنا متجوزين يا أفندي، وانت اللي جيت اقتحمت علينا خلوتنا، ودلوقتي اتفضل من غير مطرود.
وكأن دلوًا من المياه الباردة قد سُكب للتو أعلى ظهر محسن، و أخذ الصفعة تلو الأخرى وكانت آخر صفعة هي الأقوى؛ فحرك عينيه تجاه مروة التي وجدها تبتسم بتشفٍ كبير، وهي تجلس على كرسي المدير وتضع قدمًا فوق الأخرى.
نهره المدير قائلًا :
- شيل عينك من على مراتي يا بني آدم انت ، انت شايفني كيس جوافة اتفضل برا بقولك
دفعه المدير فسقط محسن أرضًا خارج باب المكتب وأغلق المدير الباب، وكان آخر شيء رآه محسن هي ضحكة مروة الشيطانية.
ظل على الأرض لفترة طويلة لا يعلم ماذا يفعل؟ يكاد يجزم أن ذلك كابوس مفزع، ولكن إن كان كذلك فلمَ لم يستيقظ إلى الآن ؟ وقف محسن كالتائه الضال الذي لا يعلم ماذا يدور من حوله؟ وتحرك بخطوات ثابتة تجاه مكتبه، وتهالك على مقعده؛ فوقفت ندى وركضت تجاهه، ونظرت إليه عن كثب :
- محسن محسن إنت كويس ؟! مالك إيه اللي حصل ؟!

لم يشعر محسن بنفسه، وهو يلف ذراعه حول خصرها وقربها منه دافنًا رأسه داخل بطنها، وبكى كالطفل الصغير تهالك من البكاء، وندى تمسح على رأسه حتى هدأ وفك قبضته عنها، ونظر لها بعيون منتفخة حمراء من أثر البكاء؛ فمدت يدها ومسحت عنه دموعه.

لم يدع لها فرصة لتسأله فقال بصوت متألم :

- أنا مش قادر أكمل شغل يا ندى أنا مروح متعمليش حاجة غير لما آجي تاني، وهشيل الشغل عنك
بكره أو معرفش هاجى تانى ولا لا.

نظرت له ندى بتوتر وقالت : طب فهمني بس مالك حصل إيه ؟

محسن دامعًا :- ما فيش ، بعدين هتعرفي.

- متقلقنيش عليك أرجوك فهمني.

-أرجوكي سيبينى أمشي دلوقتي وبعدين نتكلم

هزت ندى رأسها بتفهم وقالت :

- مش هضغط عليك؛ انت محتاج ترتاح من ساعة ما جيت وباين عليك التعب، قوم روح يا حبيبي، ونام وارتاح ولو لقيت نفسك الصبح أحسن تعالى.

هز محسن رأسه وأخذ مفاتيحه وهاتفه وخرج من المكتب، وندى تنظر له بحزن يشوبه البكاء، وجلست على مقعد مكتبه و انخرطت في البكاء الشديد.

صعد محسن إلى سيارته واتصل كثيرًا بلميس، ولكنها لم تجبه نهائيًّا؛ فبكى وقاد سيارته كانت الرؤية مشوشة أمام عينيه من البكاء حاول أن يمسح عينيه كثيرًا، ولكن دون جدوى فركن سيارته بعد أن خارت قواه عن القيادة؛ وركب في تاكسي حتى منزله ، ترجل وصعد إلى غرفته، احتضن قدميه كالأطفال، وظل يبكي بقوة من الألم الذي يجتاح قلبه وقسماته، ظل يبكي حتى غفا وجسده ينتفض من البكاء.

مرت ساعات، ومحسن غافيًا لا يشعر بشيء من حوله، والهاتف يواصل الرنين بصورة متواصلة حتى انتبه محسن له أخيرًا وتحرك؛ فتألم من وجع جسده ولكنه أجاب، فأتاه صوت مديره قوي :

» خمس دقايق وتكون قدامي في الشركة يا محسن، بدل ما أبعت البوليس يجيبك من قلب بيتك «

انتفض محسن مفزوعًا لا يفهم ما الأمر؟ فتحرك من على فراشه، ونزل أخذ تاكسي حتى مقر الشركة، ودخل ليجد كافة الموظفين متجمعين في القاعة السفلية للشركة، وينظرون له بشفقة، فظهر المدير من بين الموظفين وخلفه مروة وطالع محسن بنظرات غاضبة قائلًا :

- انت مدرك خطورة اللي انت عملته ده ؟ انت دمرت الشركة وانت اللي هتشيل المسئولية كاملة لوحدك.

قطب محسن ما بين حاجبيه قائلًا :
- عملت إيه أنا مش فاهم حاجة ؟! إيه اللي حصل ؟
قالت مروة بكبريائها المعهود والهادئ :
- فيه إن حضرتك وقعت سيستم المشروع الجديد كله، وخسرت الشركة تقريبًا ٨٠ ٪ من الأسهم ،الشركة هتعلن إفلاسها بسببك يا . . . يابشمهندس
صدم محسن مما يسمعه كيف يمكن لذلك أن يحدث؟! هو لم يكمل المشروع حتى؛ لأن الإيميل كان خاطئًا فقال محسن :
- لأ أنا مدخلتش على السيستم أصلًا لإن الإيميل كان غلط، وأنا جيت أوريهولك.
- أنا ما شوفتش منك حاجة . قالها المدير بغضب شديد
بلع محسن ريقه، وقال بصوت أجش غاضب ثائر :
- وقت ما جيت أوريك الإيميل لقيت مروة خطيبتي في حضنك يا حضرة المدير.
رنت جملة محسن في الشركة بأكملها، وصُدم الجميع، وأخذوا يتهامسون بصوت واضح نظر محسن حوله فلم يجد ندى فأغمض عينيه حامدًا؛ فقال المدير بصوت قوي :
- قولتلك مروة تبقى مراتي وده مش موضوعنا، انت خربت الشركة علشان تنتقم مش كده ؟!

جن جنون محسن وقال غاضبًا :
- وليه ما يكونش انت و . . . . المدام اللي عملتوا كده؛ علشان تلبسوني تهمة؛ علشان كشفتكوا على حقيقتكوا.
قالت مروة بتحدٍ :
- مفيش رجل أعمال هيبوظ شغله، ويوقع شركته علشان تافه زيك يا محسن، دي مش مبادئ راجل أصلًا.
- إنتي تخرسي خالص ياعديمة الشرف تعرفي إيه عن المبادئ علشان تتكلمي عنها، انتي اللي زيك لا يعرف شرف ولا يعرف أي مبادئ، اللي تكون مع راجلين اتنين و مفهماهم إنها بتحبهم هما الاتنين دي تبقى إيه ؟! أظن عرفتي.
قالت مروة بتهكم صريح :
- بتعلم منك يا . . . يا محسن
ابتلع ريقه وفهم ما ترمي إليه مروة لقد عرفت علاقته بندى؛ فعلم أنها مَن فعلت هذا لتنتقم منه ، سقط كل ما خطط له محسن، تحطم ما تبقى من أحلامه والمدير يقول بلهجة فظة :
- اتفضل يا أستاذ محسن انت مطرود، مش عاوز أشوف خلقتك دي مرة تانية ولو بالصدفة برااا.
خرج محسن من باب الشركة وهو يسمع همهمات النميمة و تحسر الموظفين؛ فمحسن هو الموظف المثالي للشركة منذ أول شهر عمل بها، والآن مصيره مطرودًا من الشركة مثل النكرة .

تحرك محسن يجر أذيال الخيبة من خلفه منكسرًا ذليلًا، رفع عينيه ليودع الشركة للمرة الأخيرة، ودار حوله، فالتقطت عينيه ندى تقف على مسافة منه ومعها رجل لا يستطلع ملامحه وكان صوتهما مبهمًا؛ فاقترب محسن بحذر فرأى ملامح الشاب إنه » شريف » المهندس الإلكتروني
للشركة ، اقترب أكثر حتى بدا صوتهم واضحًا له ، لكنه توقف عندما سمع ذلك الحديث .
- » تمام كده ياشريف حقك وصلك كامل بعد شغلك ما عجبني قدرت تخترق كمبيوتر محسن، وتوصل للسيستم وتوقعه بالكامل وفي وقت قياسي، يعني ساعة تواجد محسن في الشركة؛ وبكده محدش أبدًا هيشك إن مش محسن اللي عامل كده »
تساءل شريف بتعجب :
- بس انتي ليه خلتيني أعمل كده يا ندى ؟! ده المدير طرد محسن زي الفار من الشركة . . انتي كنتي قايلالي إنه خطيبك، وإنك بتحبيه.
نظرت ندى أمامها فرأت محسن؛ فرفعت صوتها كي يسمعها وقالت بمنتهى القسوة :
- آه كان خطيبي وآه حبيته، بس كان لازم أنتقم لكرامتي كست لما اعرف إن خطيبي معشم واحدة تانية غيري بالجواز، و مفهم كل واحدة فينا إن علاقته بالتانية مجرد تظاهر علشان قضية، أو

علشان وظيفة وفلوس، لولا الحقيقة اللي عرفناها أنا و مروة كنا فضلنا مخدوعين طول حياتنا فيه و فاكرينه الملاك البريء، وهو كلب ولا يسوى.

ظل محسن يتلقى الصدمة تلو الأخرى ، ظل ثابت النظر إلى ندى وهي تبادله النظر بانتصار وتشفي ، كان لا يعرف ماذا يفعل؟! تدور الأرض من تحت قدميه من صدمته؛ فشعر ألا طاقة له بسماع المزيد؛ فخرج من باب الشركة على الفور، وألقى بنفسه داخل تاكسي، ودق مرة أخرى على لميس فلم تجب؛ فأرسل إليها رسالة تنص على :

»قابليني جنب النيل يا لميس محتاجك أوي سامحني أنا آسف «

أوصله التاكسي إلى حيث يريد ونزل عند ضفة النيل مكانهم المعتاد. ضم ساقيه إلى صدره، وأخذ يشاهد الماء وعيناه تفيض بسيل من الدموع لم تشهده عيناه ولا قلبه من قبل، انتفض جسده وهو يرثي حاله لنفسه.

ظن أن الحب طوق نجاتِه؛

ألقى المرسى على ضف الحبيب، و اقترب علَّه يرى، ولكنه لم يرى إلا هلاكَه

تكسرت عظامه كمن يُجلَد وقصد الطبيب

فقال له أي يا بُني علتك في القلب ونارِه.

فبكى الشاب حاله، وسأل طبيبه هل من دواء؟

ربت الطبيب على قلبه، وقال هنا أعظم بيوت الداء.
يا بُني ارحم قلبك علَّه يجد في الخلاء شفاء.
قلبي يالله ينزف ينتظر من رحمتك قطرة ماء.
قاطعه صوت لميس الغاضب :
- أديني جيت نعم خير، عاوز تكمل ضرب فيا أنت كمان يلا ما هو أنا بقيت ملطشة للي رايح واللي جاي.
- لميس
- لا يا محسن مش هسامحك انت متخيل إنك ضربتني بالقلم على وشي علشان خاطر واحدة زي دي ؟! أنا كنت بوعيك بدل ما قلبك يتكسر؛ احنا ستات زي بعض ونفهم بعض من مجرد نظرة و . . . .
- لميس
انتبهت لميس لصوت محسن الواهن؛ فاقتربت منه وأصبحت أمامه جحظت بعينيها، وهي ترى حالته و دموع عينيه، عروق وشرايين عنقه المشدودة؛ فمررت يدها ببطء على عنقه وعينيه، فجذبها إلى حضنه وسحقها بين ذراعيه وهو يصرخ من الألم يصرخ ويصرخ ويصرخ، ولميس تنتفض على أثر صرخاته.
- محسن مالك فيك إيه ؟ مالك بس اهدى حصل إيه ؟
ظل محسن يصرخ ويصرخ ويزداد في بكائه وآلامه
لتقول لميس فى حنان، وهي تربت على ظهره فى حنان

-محسن مالك ؟! محسن بطل صريخ وقولي مالك ؟! إيه اللي حصل ؟! محسن إنت كويس ! حبيبي.
تركها محسن؛ فعادت لتحتضن وجهه المتهالك من جديد وتساءلت بخوف :
- مالك ؟! إيه اللي حصل؟!
نظر لها محسن، وهدأ وحكى لها كافة ما حدث معه، وهو يبكي بقوة وهي تستمع بصدمة كبيرة كانت تعلم أن كافة شكوكها في محلها وأنها لا تهذي؛ فأخذت رأس محسن بين ذراعيها و أراحت رأسه على كتفها وقالت له بصوت هادئ :
- سامحني يا محسن إني مردتش على تليفوناتك، بس كان العريس قاعد وبابا بيتفق معاه على كل حاجة، سامحني يا صديقي حتى أنا هبعد، بس أوعدك إني هكون معاك على التليفون كل ما قدرت.
أمسك بها محسن من ذراعيها، وهز رأسه نافيًا :
- لأ لأ لميس ما تسيبينيش يا لميس؛ أنا محتاجلك معايا، أرجوكي يا لميس أنا بحبك، انتي الوحيدة اللي أنا حبيتها بجد ما حبتكيش علشان حاجة نقصاني، أنا حبيتك لشخصك يا لميس، أرجوكي اوعي تبعدي عني.
هزت لميس رأسها ودموعها تتساقط على وجنتيها :
- أنا كمان حبيتك من كل قلبي يا محسن انت حبيبي وصاحبي

وكل ما ليا، بس حكم القوي بابا خلاص هيتجوز يوم الجمعة، وحدد إن فرحي بعد بكرة آسفة يا محسن مش هقدر أكون جنبك.
وقف محسن كالتائه وجذبها من يدها؛ ليبحث عن تاكسي وقال لها :
- لا مش هتسيبينى.
- صدقني مش بإيدي ، أنا عايزة أفضل جنبك بس أعمل إيه ؟
-تفضلي جنبي و متسيبنيش.
- وبابا واللي هيجوزني
دا ؟ صدقني غصب عني.
قال محسن ومازال فى حالته المزرية ويمسح دموعه:
- يلا بينا على بيتكوا
جذبها من يدها دون أن ينتظر الإجابة، وأوقف تاكسي و دلفا إليه، ثم قال لها:
- قولي عنوان بيتك للسواق يلا
لم تفهم لميس ما يحدث، ولكنها نفذت ما قاله لها، وأوصلهم التاكسي إلي وجهتهم، ونزل محسن وهي أمامه تدله على المنزل، وهي تتساءل :
- ناوي على إيه يا محسن فهمني؟
ولكنه لم يجب أبدًا عليها، وصلا شقة والد لميس؛ فدق محسن

الجرس ففتح له والد لميس، ونظر له ولابنته التي تمسك بيده وقال بصدمة :

- انت مين ؟! و إزاي تمسك بنتي كده ؟! انطق.

دخل محسن ولميس خلفه وقال بقوة :

- أنا بحبها وعاوز أتجوزها وبكره الصبح

- انت مين يا عدمان يا كحيان انت علشان تتجوز بنتي و. . .

- شيك بربع مليون جنيه كويس ؟! . . قالها محسن بثقة

فنظر له والدها بصدمة وفكر لدقائق قائلًا :

- كاش، مليش في الشيكات

- وهو كذلك الصبح هسحب الفلوس، وآجي استلم بنتك، ويكون المأذون موجود

- وأنا موافق . . قالها والد لميس بسعادة

مد محسن يده خلفه وأمسك بلميس، وسلمها لوالدها وقال :

- دي عروستي وحبيبتي بسلمها لك بكره الصبح هاجي استلمها منك

نظرت إليه لميس، وهى فاتحة فمها بدهشة وتقول

- محسن انت بتقول إيه ؟ انت بتعمل إيه ؟

- أيوه أنا عايزك تفضلي معايا ، يبقى أتجوزك واخليكي معايا.

- انت مجنون ، انت مدرك حالتك ؟

- وإيه الجديد ماانا من يوم وعيت على الدنيا، وبعمل كل حاجة

مجنونة
ظلت تنظر لميس إلى محسن غير مصدقة ، هل ما يفعله حقيقي؟
هل هو مدرك لتلك الخطوة التي فعلها ؟
لم يزد محسن بل مرر يده على وجه لميس بحب وخرج وعقله لا يعمل ، فقط هو يفعل ما يتوجب عليه فعله ، إن لميس هي من تبقت إليه الآن ، يجب أن يفعل أي شيء من أجلها؛ إنها الوحيدة التي مَن كانت بجانبه وقت أزمته وكانت تفهمه من نظراته ، خرج وذهب إلى منزله، ثم نظر إلى صورته فى المرآة ثم ذهب إلى سريره وغط في نوم عميق .

صباح اليوم التالى . . .
استيقظ محسن مبكرًا، ثم خرج متوجهًا إلى البنك سحب كافة المال الذي يملكه، وفي سرعة ومهارة جدد كافة فرش شقته بآخر جديد، وجهز مال والد لميس، وما إن انتهى حتى ذهب ومعه المال، وتوجه إلى حيث منزل لميس دق الباب؛ ففتح له والدها مهللًا ومرحبًا، وأدخله فوجد لميس تجلس خجولة في فستانها الأبيض الهادئ، وحولها الكثير من الفتيات، ويجلس مأذون ومعه شاهدين من الرجال، فتحرك تجاه لميس، وقبل يدها وسط ضحكات الفتيات الخجولة وقال في حب :
- مبروك يا عروستي.

ابتسمت لميس في سعادة، وجلس محسن لينهي كافة إجراءات الزواج، حتى أتمها على صوت المأذون :

- الآن أعلنكما زوجًا وزوجة، وبارك الله لكما، وبارك عليكما، وجمع بينكما في خير.

انطلقت أصوات الزغاريد تملأ المكان، وتم توزيع المشروبات على جميع الموجودين وسط أجواء هادئة فرحة ضحك فيها محسن من قلبه، وهو يحمد الله على هذا الجبر والعوض السريع الذي أعطاه له في صديقته الوحيدة

وقف محسن، وهو ممسك بزوجته وقال لوالدها :

- اتفضل يا عمي ده كل المبلغ اللي اتفقنا عليه تقدر تعده قبل ما آخد مراتي وأنزل

- وأنا مش هعد وراك يا أبو نسب، ألف مبروك عليك عروستك.

أخذها محسن بين ذراعيه، وقبَّلها على رأسها، ثم طوق خصرها وخرجا سويًّا وسط أصوات الزغاريد المرتفعة. . . أخذها محسن إلى قفصهم الجديد الذي عهد أن يبدأ فيه حياته مع عروسته الحبيبة التي ترجاها من الله أن تملأ عليه حياته وبيته بالأولاد.

دلف محسن إلى شقته، والتي انبهرت لميس كثيرًا بجمالها وذوقها وفخامتها، وسعدت كثيرًا؛ فتعلقت بعنق زوجها وهي تقفز في سعادة، وهمست في أذنه بأنوثة :

- بحبك أوي يا حبيبي

فلم يمهلها محسن، وحملها بين يديه وهو دافن رأسه بين خصلات شعرها، ودلف بها إلى غرفة نومهما، وأغلق الباب بقدمه ثم أنزلها على فراشهم الوثير ارتمى بين أحضانها، وهو يشعر بالراحة والسكينه، وكأنه طفل وضل طريق والدته ووجدها بعد بحث طويل ومرهق؛ فداب بين أحضانها، وتسللت يده لسحاب فستانها، وبدأ ينهل من سحرها فذابا سويًّا في عالم آخر، عالم تتحد فيه الأجساد والأرواح ليصبحا كيانًا واحدًا، حتى استفاق محسن من هذا العالم بضربة شديدة في منتصف رأسه؛ فقام عنها سريعًا لا يصدق الذي يحدث ! أيعقل هي الأخرى تكون سببًا فى صدمة جديدة ؟ نظر لها وهي تغطي جسدها العاري، وتنظر له بخوف شديد، فتمتم محسن قائلًا :

- يعني إيه ؟! يعني . . يعني إيه جاوبيني ؟! انتي كمان كنتي بتـ بتضحكي عليا و بتستغليني ؟! انتي . . . انتي مش مش عذراء !

انهال عليها محسن، وأخذ يضربها ضربًا مبرحًا، حتى خارت قواه، فقام عنها وجلس على طرف فراشه، وهي خلفه تئن من ألمها الجسدي، وقلبه يصرخ من ألمه الداخلي!

******

الفصل الثامن

كان يجلس على حافة الفراش، وكأنه بعالم آخر يلهث نفسه القصير وكأنه ركض لمسافة طويلة ، بدأت الأضواء الصغيرة تدور حول رأسه وكأنها تحاول أن تثير فضوله لينظر إليها، وصوت صرير مزعج يضرب أذنه؛ يجعله يضغط على أسنانه مضطرًا كي يتحمله، فأتى صوتها من خلفه ليزيد من حدة انزعاجه.

- » كنا بنحب بعض لـمدة ٤ سنين كان حنين جدًّا عليا و كان دايمًا بيكون موجود وقت ما أكون حزينة، و بيقولي إزاي أتجاهل بابا وقسوته عليا ، كان بيجيبلي كل حاجة نفسي فيها، بس كنا صحاب عمره ما قالي إنه بيحبني أو إنه حابب يكون فيه بينا حاجة رسمي، و في يوم كنا في رحلة تبع الجامعة و سيبنا الدفعة، وروحنا مكان منعزل، وقعدنا نهزر ونلعب ومعرفش إزاي كل شيء اتحول لحب، وحصل بينا اللي حصل، ولما صحينا اتخض و

قالي إنه اللي حصل ده كان غلط، ومكنش ينفع يحصل وإن احنا الاتنين غلطنا، ولازم نتحمل النتايج، ودي كانت آخر مرة شوفته فيها حتى الامتحانات مجاش، وأجلها للسنة اللي بعدها »
حرك محسن عينيه بعيدًا عن تلك الحشرات المضيئة التي تداعب أنفه، وتساءل بهدوء يشوبه الانكسار النفسى :
- ليه أنا ؟ كنت صيدة سهلة توقعيها و تخليها تشيل وزر غيرها مش كده ؟! وفي مخيلتك علشان كنت خارج من تجربتين فاشلين؛ هوافق مش هتكلم ولا أعارضك صح.
قالت لميس بزهد :
- أنا اللي بعت رسايل لمروة وندى وعرفتهم كل حاجة؛ علشان تجيلي أنا وتكون من نصيبي أنا ، أنا استحملتك وسمعت مشاكلك للآخر، أنا اللي أقرب ليك منهم، وهم كمان كانوا بيستغلوك لمصلحتهم، ندى كانت محتاجاك علشان الشغل وإنك بتساعدها وبتعمل عنها كل حاجة و بتعملها كل حاجة هيا عايزاها من الآخر الحيطة بتاعتها، و مروة بعد عمر بتجري في المكاتب وكل مدير تشتغل معاه يطلبها عرفي، وتروح أول مرة تقابل واحد يحبها حب المراهقة بتاع زمان ويطلبها للجواز وكده فقالت تفرح لها شوية، وتعيش وتعوض اللى اتحرمت منه فى حب المراهقة .
- وانتى كنت واخدانى ستارتك عشان تدارى بيها فضيحتك !

قالها و نظر لها محسن لا يصدق ما يسمعه، يا الله ألم ينتهِ الكابوس بعد؟ لماذا يحدث كل هذا ؟ لماذا هو ؟! كل ما أراده هو الحب ؟ فابتلع محسن ريقه وحاول التحدث، فنظرت له لميس وهي تحكم الغطاء حولها وقالت :

- ما تستغربش انت من وقت ما حكتلي كل حاجة عن ندى ومروة وأنا متابعاهم وعارفة طريقة حياتهم الكبيرة والصغيرة ، بس تعرف حاجة أنت صعبان عليا أوي يا محسن؛ كنت فاكر إنك ذكي ومسيطر على الوضع و ال ٣ بنات تحت إيدك، وهتنقي منهم اللي يعجبك أو تاخدهم كلهم وحاسس بالحب ناحيتهم هم ال ٣ قد بعض في حين إنك انت اللي بيتلعب بيك وسطهم وانت المخدوع فيهم هم التلاتة، حقيقي إنت صعبان عليا .

وقف محسن مزمجرًا لا يريد أن يسمع المزيد، وكأن ما سمعه زاد وغطى عن المحتمل؛ فقال لها وهو يحرك يديه في الهواء :

- خلاص مش عاوز أسمع كلمة تانية قومي اطلعي من أوضتي مش عاوز أشوف وشك لحد النهار ما يطلع ونروح للمأذون، وكل واحد يروح لحاله.

- بس . . . .

- بقولك اطلعي من اوضتي . .

لملمت لميس نفسها وغطاءها، وسحبت حقيبتها المغلقة كما هي خارج الغرفة، فذهب محسن خلفها وبكامل غضبه أغلق

باب الغرفة بقوة والتفت ليلصق ظهره إليه . هاجمت محسن ذكريات كثيرة كافة مواقفه مع كل من مروة وندى، وكيف ألبس كل واحدة منهن خاتم خطبتها وكيف نظر للميس على إنها حب جميل يبدأ في الإنبات ثم ماذا ؟! لا شيء .

بعد أن امتلك العالم بأجمعه امتلك الاهتمام والشعور الكامل بالسيطرة مع ندى، و الجنون والغيرة الشديدة والامتلاك مع مروة، و الصداقة والقرب الذي يشوبه الحب مع لميس ، أضحى كل شيء عبارة عن سراب، وتبخر في مكانه، لا يبقى سوى الألم والفراغ.

كل منا يبحث عن الحب ،ويختلف تعريفنا عن الحب

لكل منا تعريفه عن الحب وعلى نهجه تُرى مشاعره ، تلك النظرة هي المرآة التي نستطيع من خلالها معرفة كيف ستكون حياتنا العاطفية فيما بعد . إصقل بلورتك السحرية لتصبح الرؤية واضحة، وإلا سقطت في خطأ تشوش الرؤية وظننت أنك ترى ما وجدته وما إن تصل ستُفاجأ بأنك كنت ترى سرابًا !

تحرك وجلس على الفراش وضم ساقيه إليه كان يظن أنه وحده في الشقة، ولميس في الغرفة المجاورة، ولكنه تفاجأ بباب الغرفة يُفتح لتدخل مروة في تروي وهي تنظر له نفس النظرة المتشفية التي رآها في عينيها في آخر مقابلة في الشركة.

- اطلعي برا . انتي هنا بتعملي إيه ؟!

ضحكت مروة، وبدأت ضحكاتها تتعالى شيئًا فشيئًا فوضع محسن يديه على أذنيه كي لا يسمع ضحكاتها المتتالية المستفزة . شعر محسن بحركة خلفه فالتفت ليجد ندى في ملابس نوم فاضحة تكشف أكثر مما تخفي، ونادته » سونة » كما اعتادت أن تناديه حينما تتدلل عليه؛ فغض بصره عن جسدها وقال بتلعثم :

- انتي كمان اطلعي برا . . ازاي انتي بالمنظر ده ! انتوا هنا ليه ؟!

- محسن !

- قولتلكوا اطلعوا برا حياتي أنا بكرهكوا سيبوني ابعدوا عني . . أنا بكره الحب، وبكره العلاقات، وبكره كل الستات ابعدوا عني، أنا مش عاوزكوا في حياتي .

- محسن اهدى !

- براااااااااااا ،، بكرهكوا كلكووا

- محس اهدى أرجوك وامسك أعصابك !

نظر محسن بعينيه المنتفختين من البكاء، فوجد صافي بجواره تحاول أن تهدئ من روعه وهى تحاول أن تمسكه بذراعها، وفي عينيها خوف وقلق كبير عليه؛ فأغمض عينيه ونظر جيدًا حوله فلم يجد أيًّا من مروة أو ندى أو لميس كان المكان هادئًا حيث صافي الحسناء التي تجلس أمامه وعيناها تعكسان ما بداخلها،

ثم نظر مرة أخرى إلى يده فوجد نفسه ممسك بورقة بيضاء دون في نهايتها كلمة.

تمت بحمدالله

فابتسم بعد أن تذكر أنه فقط يرويها، وأن ذلك مر منذ مدة ولكن ؟! كيف مر عليه الوقت ! كيف قضاه وأين لا يعلم؟! تذكر ذلك الأمر شاق جدًّا.

- أستاذ محسن ! مش معقول اللي حضرتك بتعمله فيا ده ! مش أنا قولتلك كذا مرة وأنت نازل الجنينة تبلغني الأول ؟ أهو دكتور سيد جه ولما دور عليك ولقاك مش موجود قلب الدنيا جوا، اتفضل معايا علشان هو عاوز يشوفك دلوقتي ضروري !
رفع محسن عينيه على تلك المرأة ذات الرداء الأبيض، ونظر بذعر حوله فبدا كل شيء طبيعي بعض المرضى يجلسون في دوائر مع ذويهم، أو مع طبيب، أو ممرض، فنظر مرة أخرى للمرأة التي تحدثه والتي عرف هويتها أخيرًا، كانت الممرضة الخاصة به، ولكن ماذا يفعل هو هنا ؟! تذكر كل شيء الآن ، تذكر الصدمة العصبية التي أودت به إلى مستشفى الأمراض العقلية ، تذكر جلساته النفسية العلاجية مع الأطباء ، تذكر أنه مريض نفسي

ويقطن داخل المشفى
وتلك الحديقة ما هي إلا حديقة المشفى ، هل هو مريض ، أم تناسى أنه مريض ؟
نظر بجواره وهو يتلعثم :
- صافي. أنا . أنا فين ؟!
وضعت صافي يدها على يده وقالت بهدوء محاولة السيطرة على الموقف :
- إهدى يا محسن انت معايا هنا ما تقلقش ، انت في مستشفى الأمراض العقلية لإن نفسيتك تعبت شوية، و حد جابك هنا علشان ترتاح من البشر اللي برا دول.
صدم محسن مما سمع وأخذ ينظر حوله، والصدمة لا تفارقه؛ المرضى النفسيين يحاوطونه من كل جانب الرداءات البيضاء كثيرة أمام عينيه ، الاضطرابات النفسية كثيرة من حوله ، ارتعد محسن عندما تذكر حالته فحمل أوراقه واحتضنها جيدًا، وشعرت صافي بارتباكه فقالت موجهة كلامها للممرضة :
- روحي انتي دلوقتي يا كريمة، وقولي للدكتور سيد إن محسن معايا.
- حاضر يا دكتور صافي !
كانت تلك الصدمة هي الأشد على محسن فنظر لصافي بدهشة، وأخذ يتمتم ، فتفهمت صافي تشتته و أمسكته من ذراعه وجعلته

يعود للجلوس من جديد، ولكنه ابتعد عنها فاقتربت هي وقالت:
- محسن أنا مقدرة صدمتك، بس انت هنا بقالك فترة بعد اللي حصلك عقلك مقدرش يستحمل كم الصدمات اللي عاشها وبدأ يتخيل حاجات، وانت حاولت الانتحار أكتر من مرة؛ علشان كده جابوك على هنا ، وطول الفترة اللي فاتت وانت ساكت ومش بتتكلم بس دايمًا بتكتب ، كنت دايمًا بتخرج للجنينة هنا وبرضه بتكتب ، كنت دايمًا بشوفك من بعيد ونفسي أعرف بتكتب إيه؟ والنهاردة بس حالفني الحظ وقابلتك وعرفت انت بتكتب ايه، وواضح إن حالتك اتحسنت، وكمان خلينا نبص للجانب الإيجابي: انت لما اتكلمت عقلك بدأ يستوعب اللي بيحصل حوليه؛ مسكنا طرف الخيط للدوشة اللي حاصلة جواك، وده معناه إنك هتبقى كويس .
نظر لها محسن محاولًا أن يرى الصدق في عينيها وبالفعل وجده ، ملامحها المبتسمة الجميلة أعادت له هدوءه النفسي من جديد؛ فعاد ينظر في أوراقه فقالت صافي بحماس شديد :
- بس إسمحلي أقولك إنك كاتب متميز جدًّا يا محسن موهوب، ودي نعمة مش عند أي حد
لم يجبها محسن ولم يتحدث ولكن دموعه أعطتها إجابته؛ فاقتربت منه بصورة كبيرة، وربتت على ذراعه وقالت محاولة مواساته :
- صدقني يا محسن اللي حصل ده مكنش مقصود منك، انت

للأسف جوعك الشديد للحب خلاك تآكل من زبالة العلاقات، مش أي قرب أو تفاهم هو حب، ومش أي شخص لقينا فيه صفة نقصانا يبقى هو الشخص المناسب اللي ينفع نبني معاه حياة كاملة علشان صفة واحدة أو اتنين، انت استعجلت يا محسن حسيت إن حظك في الحب مش كبير قولت تصنع حظ بإيدك، و تقبله بسيئاته قبل حسناته؛ وبالدليل إنك كنت شايف عيوب مروة وبردو كملت وكنت بتحب كل واحدة فيهم لسبب إنها بتعوض جواك حاجة، فا بالتالى خسرت كل حاجة. الحب هو إن شخص تشوفه وتحبه زى ما هو مينفعش تحب حاجة واحدة بس فيه، يا محسن العلاقات لا بتتقاس بالطريقة دي، ولا المشاعر ينفع نجبرها تتحول لحب. وانت طيب أوي يا محسن ما تشبهش للعالم اللي برا ده في حاجة، علشان كده اللي حصل ده هيكون درس كامل ليك في الثقة ، أما من حيث التعب فانت هتكون كويس جدًّا ومعندكش أي حاجة هي كانت الصدمة ولكن انت دلوقتي ابتديت تكون كويس وأنا هتابع مع دكتور سيد واستلم حالتك مكانه.

نظر لها محسن مستنجدًا؛ فابتسمت متفهمة فقال محسن مترددًا:

- ليا . . . ليا طلب واحد ! مم. . ممكن ؟!

- أكيد يا محسن قول إيه هو ؟!

احتضن محسن أوراقه وقال :
- مح. . محدش يعرف أي حاجة عن ال ٣ فساتين كإني مح . . محكتش حاجة مش عاوز حد يعرف إن حصل معايا كده.
ابتسمت صافي وقالت مؤكدة :
- أكيد ده اللي هيحصل وأنا واثقة إن هيجي يوم و تنشرها بنفسك و هتكون رواية كبيرة، وتكسر الدنيا، و ناخد معاد علشان التوقيع والصور يا أستاذ
ضحكت صافي بسعادة، ولكن لم يشاركها محسن الضحك، استمر في النظر لأوراقه و مطالعة المكان من حوله، حتى وقفت صافي ومدت يدها الناعمة وقالت بحب :
- يلا ندخل قبل ما دكتور سيد يجي يفترسنا؛ أنت لسه تحت رعايته تعالى اوصلك اوضتك وهروح أتكلم معاه.

***

أصبح المنزل شبهَ مهجور؛ لا خدم ولا مساعدين ولا أحد في المنزل الذي خلا من الحياة إلا من كريم الصغير الذي لم يعد يفارق غرفته، و هيام التي حولت إحدى حجرات المنزل إلى مكان خاص تستقبل به الوافدين لتمارس عملها الخاص به دون علم زوجها .
خرج كريم في الصباح ليلحق بأتوبيس المدرسة الذي أصبح وسيلته الجديدة إلى مدرسته، وما إن جلس حتى جاءت نرمين

وجلست بجواره؛ فنظر لها بسعادة وابتسامة طفولية وبادلته إياها فتساءل :

- عاملة إيه ؟ وحشتيني.

ابتسمت نرمين بخجل وقالت :

- الحمدلله وانت كمان وحشتني يا كريم ، المث قالتلي إنك تعبان علشان كده كنت غايب بقالك أيام كتير

سعد كريم كثيرًا لأن نرمين تهتم لأمره و لغيابه عن الفصل، وسألت عنه في غيابه .

بحماس واجه كريم يومه الدراسي مع نرمين وأصبحا متقاربين جدًّا ويقضيان كافة أوقاتهم سويًّا، وكان عادة يحكي لها ما يحدث مع والده ووالدته، و بمنتهى التلقائية والبراءة يحاولان وضع حلول صغيرة تناسب المشكلة من وجهة نظرهم.

وبحماس قالت نرمين :

- لقيتها بث بعد المدرثه هننزل عند بيتك ونروح نشتري ورد، ونخلي عمو يكتب عليه كارت لمامتك كأنه من باباك أنا شوفت بابي بيثالح مامي كده، ومامي كانت بتفرح أوي ونعمل نفث الموضوع مع باباك إيه رأيك ؟!

تحمس كريم كثيرًا وقال مهللًا :

- موافق ، خلاص نروح بكرة بعد المدرسة، وأنا هحاول أجيب معايا فلوس كتير علشان تكفي.

اتفقا على كل شيء وفي اليوم التالي وبعد انتهاء اليوم المدرسي، نزلا من باص المدرسة أمام محل لبيع الزهور، وحكيا قصتهم للفتاة التي تعمل في المحل فسعدت كثيرًا، ووافقت على مساعدتهم وكتبت بطاقة رومانسية لكل باقة زهور، وتم التوصيل للمكان كما هو مدون داخل بطاقة تعريف كريم الخاصة، ثم ساعدتهم في إيقاف سيارة أجرة لتوصل نرمين إلى منزلها .

دخل كريم إلى المنزل على عكس عادته سعيدًا ونشيطًا؛ فنظرت له هيام بتعجب ولكنها فرحت لفرحه، وأخبرها أنه تعرف على صديقة في المدرسة وأنه يحبها كثيرًا؛ فسعدت من أجله و احتضنته وطبعت قبلة هادئة على جبينه وقالت :

- يلا كوكي الشطور هيروح يغير لحد ما مامي تخلص الشغل اللي في إيديها و نتغدا مع بعض إيه رأيك ؟!

هز كريم رأسه بالموافقة، وركض تجاه غرفته بسعادة. بعد وقت دق جرس المنزل ففتحت صفية الباب فإذا به عامل توصيل يحمل في يده باقة زهور بها بطاقة، فأخذتها وشكرته ونظرت داخل البطاقة والتي دوِّن داخلها:

» حبيبتي استنيني النهاردة هنقضي يوم مختلف، ونكسر الروتين بتاع حياتنا التقليدي ده » » وائل »

اتسعت ابتسامة هيام و أخذ قلبها يقفز من السعادة وكأن اليوم عيد ، كانت تأمل كثيرًا أن يتفهمها ويدعمها لتصل إلى ما تحلم

به يومًا؛ فعكفت على أن تنهي عملها مبكرًا لتستعد لذلك اليوم المميز .
في مقر إحدى الشركات المتوسطة كان وائل منكبًّا على العمل حينما وصله طرد مع عامل توصيل يحمل باقة زهور بيضاء، وبها بطاقة، فتحها وقرأ ما دون داخلها فابتسم ابتسامة هادئة وأغلقها، ثم انكب على إنهاء عمله، وما إن انهاه حتى أخبر السكرتيرة أنه سيعود إلى المنزل مبكرًا، التقط مفاتيحه وخرج من الشركة قاصدًا منزله .
وصل وائل إلى منزله فصف سيارته، وتوجه إلى باب منزله الذي فُتح أمام عينيه ورأى رجلًا يخرج منه مشعث الشعر، ملابسه مهربدة وكأنه كان يحارب ألف رجل، وما إن اقترب من وائل حتى أمسك به الأخير وتساءل بغضب :
- أنت مين وبتعمل إيه هنا ؟!
نظر له الرجل بإنهاك ودفعه من كتفه، وأكمل سيره للخارج فاستشاط وائل غضبًا ودخل منزله، فوجد زوجته تجلس على الأريكة وهي تتحرك بتألم، وتدلك عنقها وظهرها؛ فصرخ فيها لتقفز على أثرها من الفزع :
- والله عال يا هيام هانم يا محترمة ، آخر حاجة كنت أتوقعها إني أشوف رجالة طالعة من بيتي، ومراتي نايمة في وسط البيت ومنهكة وبتدلك جسمها، تقدري تقوليلي أفهم إيه من اللي شوفته ده؟!

وقفت صفية لا تستطيع تصديق ما يرميها به زوجها من أفعال غير شريفة فقالت مدافعة :

- إيه اللي انت بتقوله ده ؟! انت أكتر واحد المفروض حتى لو شاف ده بعينه ما يصدقش أنا. أنا مراتك حبيبتك

- إيه اللي يضمنلي ؟! انتي آخر فترة تصرفاتك محدش بقى متوقعها ولا يعرفها ! بقيتي بتخبي وتسهري برا، وكل ما أكلمك شغلي رسالتي مهنتي، وانتي مدوراها وماشية على حل شعرك مش كده؟!

لم يتمهل وائل، وأصبح يذيق زوجته من العذاب ألوانًا وهي تستنجده و تخبره أنها مظلومة ولكنه لم يكن يستمع لها، وعلى بعد خطوات كان الصغير يقف ويشاهد و أفرغ كل ما تحويه مثانته في سرواله، وهو يشاهد هذا القدر من العنف أمام عينيه يُمارس على والدته . تحطمت كافة أحلامه الصغيرة للحصول على بيت هادئ مليئ بالحب والتفاهم . أمسك وائل بزوجته وألقاها خارج منزله، وأغلق الباب بقوة من خلفها مصدرًا صوت ارتطام يصم الآذان؛ فجلس الصغير على الدرج ودموعه تغرق وجهه؛ يشعر بعدم الأمان وكأن كل شيء تآمر ضده . بعد ساعات سمع الصغير جرس الباب يضرب بشكل متواصل؛ فظن أن والدته قد عادت ، فذهب إلى الباب ليفتحه فإذا بـ » نرمين »

تقف أمامه فابتسم لها، ولكن لاحظ ذلك الرجل الذي تتمسك به.
- انت بقى كريم ؟! باباك فين يا كريم ناديله .

خرج وائل من مكتبه ونظر له قائلًا :
- تبقى مين حضرتك ؟!
- أهلًا بحضرتك أنا علاء والد نرمين، وهي زميلة كريم ابن حضرتك في المدرسة، وفي الحقيقة حصل حاجة النهاردة وبنتي حكتلي عليها، هي من وجهة نظرهم صح بس هي غلط كبير جدًّا .
جلس علاء مع وائل في المكتب، وجلست نرمين بجوار كريم وقالت بحزن :
- إيه اللي حثل ؟!
قص عليها كريم الذي حدث، فحزنت كثيرًا من أجله ثم قالت :
- أنا حكيت لبابا وهو قالي هيثاعدنا ما تقلقش

انتهى اجتماع وائل بعلاء والذي حمل ابنته ورحل على الفور، فنظر كريم لوالده ليجد عينيه تطق بشرر غريب؛ فابتلع ريقه من الخوف ليتساءل والده :
- مش هحاسبك على كل اللي حصل لكن انت تمد إيدك في جيبي من غير ما اعرف وتسرق فلوس ؟! واضح إن أمك فعلًا معرفتش

تربيك كويس، بس أنا هعوضك.
ضرب وائل ابنه بشدة حتى أصبح جسده مغطى بالكدمات والعلامات الزرقاء والحمراء، وحبسه في غرفته وأغلق عليه بإحكام

***

» كلما اشتد الألم كلما أصبح الشفاء منه قوة لا يضاهيها شيء آخر ، وكلما اشتد الظلام قحالة كان الضوء قريب الانبثاق «

خرجت صافي من مكتب الدكتور سيد الفظ كما تسميه دائمًا؛ فحديثه دائمًا صريح بشكل زائد عن الحد ومخترق لحدوده الشخصية، ولكنها كانت تفعل المستحيل لتستطيع الحصول على حالة محسن؛ لتصبح تحت رعايتها، وبالفعل بصعوبة استطاعت إقناعه بالأمر . دخلت مكتبها وجلست على كرسيها الوثير، وهي تشعر بالحماس لتلك الحالة الجديدة والمميزة، وبعد دقائق دق المساعد الخاص بالدكتور سيد الباب ودخل ليضع ملفًا على مكتبها والتفت مغادرًا؛ فنادته وهي تطالع الملف :
- أنت يااااا . . أنا عاوزة ملف الحالة٩٩٤
- ماهو ده يا دكتورة اقلبي الملف هتلاقي الرقم الناحية التانية.
ففعلت وتأكدت من الرقم؛ فهزت رأسها وأمرته بالذهاب، وما إن فتحت الملف حتى شعرت بالصدمة تضرب أنحاءَها فرفعت

عينيها عن الملف، وهي لا تصدق ما قرأته للتو داخله والصدمة لا تفارق وجهها !

***

كان يقف في شرفة غرفته يتابع النجوم الساكنة حينما سمع صافي تناديه من خلفه؛ فنظر لها وابتسم، ودخل إلى الغرفة و جلسا سويًّا على الفراش ، اقتربت منه وأمسكت بيده وقالت بهدوء :

- محسن ، انت دخلت قلبي من غير مجهود منك حتى ، بس عارف ليه ؟! علشان أنا مصدقاك ومتأكدة إنك صادق في مشاعرك وإن قلبك مكنش ناوي شر أبدًا لحد، ومتأكدة إنك غير كل الناس، بس لازم تساعدني علشان تقدر تطلع من المكان ده ، لازم تساعدني أعالجك وتخرج تبدأ حياتك من جديد مع اللي بيحبوك.

ضحك محسن بسخرية وقال :

- بيحبوني ! هه أنا اللي كنت بحب الكل، وعمر ما حد حبني.

- لا فيه ناس بتحبك ومستنياك صدقني . المهم قولي قولت إيه في العرض اللي قولتلك عليه. هتساعدني وتحط إيدك في إيدي؟!.

قالتها صافي وهي تمد يدها اليمنى تجاه محسن، وفي عينيها أمل كبير.

لم يبدِ محسن أي ردة فعل ونظر أرضًا، فقالت صافي محمسة إياه:

- محسن انت لازم تاخد حريتك وتطلع من المكان ده، لازم تكمل

حياتك وتعيشها زي ما هم عايشين حياتهم بالظبط، ويمكن أكتر منهم لازم يا محسن لازم.
قبض محسن على يد صافي بقوة، وهز رأسه بثبات متكرر :
- مو . . مو . . . موافق
ابتسمت صافي بانتظار وقالت وهي تضع يدها الأخرى على يد محسن :
- وأنا أوعدك في أقرب وقت هتطلع من هنا يا محسن وتعيش حياتك طبيعي جدًّا، ويمكن أحسن من الأول كمان.

**

في صباح يوم جديد .

كان محسن يجلس في حديقة المشفى ومعه صافي تحاول أن تدربه على الحديث: تتناقش معه في كافة الأمور، وتصحح له وجهات نظر مختلفة في كافة الأمور . قامت بالكثير من الاختبارات له للتأكد من صحة شكوكها حول سلامة عقله من أي اضطراب أو غيره، وكانت تسجل كافة ملاحظاتها حول حديث وثبات محسن مرت الأيام ومحسن يتعافى بشكل تدريجي، أصبح يمارس الرياضة ويضحك ويتفاعل مع المرضى بشكل مقبول، ويساعد صافي في كافة الحالات التي تحت رعايتها ، كانا يقضيان طوال اليوم مع بعضهما يتمازحان و يتحدثان حول المرضى والأطباء، و يسخر

محسن كالعادة من الدكتور سيد وطريقته في الحديث فتتهالك صافي ضحكًا على طريقته في التقليد، واستمر هذا الوضع، حتى مر خمسة أشهر ومحسن يسير جيدًا فى طريق علاجه.

**

في صباح يوم مشرق

استيقظ محسن وهو يشعر بالنشاط؛ فقام وفتح الشرفة وأخذ يتحرك في الغرفة يرتبها، ثم نزل على الأرض ليمارس بعض تمارين الضغط الصباحية، وقفز برشاقة، ونظر من الشرفة؛ فرأى صافي وهي تدخل المشفى؛ فابتسم بسعادة، وارتدى حذاءه الأرضي وعدل من هندامه، و نزل الدرج في رشاقة، واستقبلها على باب المشفى كما يفعل في العادة؛ فأتت راكضة تجاهه في حماس معلنة عن بعض الأوراق في يدها قائلة :

- تاتاتاتاااا تخيل كده الورق ده فيه إيه ؟!
- فيه كلام . قالها محسن مازحًا

ضحكت صافي وقالت بمزاح :

- لأ أنا اللي أخدتك عليا جامد الظاهر ، المهم يا فصيل تعال ورايا على المكتب؛ علشان عندي خبرين أحلى من بعض هقولهم لك .
- إيه دا إيه دا ! . قالها محسن بصدمة فتساءلت بتلهف :
- إيه يا محسن فيه إيه ؟!

ضحك وهو يتقدم أمامها مازحًا :

- اسمها قدامي على المكتب مش ورايا، الرجال قوامون على النساء، اعرفوا وضعكوا بقى مش معقول الإحراج ده كل شوية، كل شوية كده.

ضحكت صافي بقوة وذهبت خلفه إلى المكتب، فجذب لها الكرسي؛ كي تجلس عليه وشكرته ثم قالت :

- اسمع بقى يا سيدي دي وظيفة في مطعم فندق محترم، عاوزين محاسب شيك وفرفوش وابن حلال ودمه خفيف.

- ده محاسب ولا عريس متقدم لبنت الجيران . قالها محسن ضاحكًا

ضربته صافي وأكملت حديثها قائلة :

- بس يا خفة المهم أنا بصراحة لما اتعرض عليا الوظيفة دي، ملقتش أحسن منك يمسكها ويستحقها .

- أنا ؟! وظيفة ليا ؟! إزاي ده أنا مش بخرج أصلًا من المستشفى؛ يبقى أمارس وظيفة إزاي ؟!

ضحكت صافي، وازدادت حماستها لتقول :

- ما هو ده الخبر التاني واللي أحلى من الأول بكتير بكتير، اتفضل يا سيدي أنا قدمت حالتك وتقاريرك لرئيس المستشفى والدكاترة المختصين، وده إذن بالخروج من المستشفى؛ يعني هترجع تمارس حياتك بشكل طبيعي جدًّا، وأحسن من الأول

كمان، بس هتيجي هنا مراجعة في المستشفى مرتين في الأسبوع أو طول الأسبوع براحتك يعني، البيت بيتك.
شعر محسن بالدماء تجري في جسده من جديد، هل حقًّا سيستطيع أن يمارس حياته بشكل طبيعي من جديد، ويصبح له الحق بالعمل ؟! هل سيستطيع مواجهة البشر من جديد ؟! هل سيجيد التعامل مع هؤلاء البشر من جديد ؟ أصبحت المشفى مكانه وسعادته الوحيدة التى يريد أن يظل بداخلها ، دب بعض الخوف بداخله؛ عندما علم أنه يستطيع الخروج من المشفى، ولكنه تماسك وحاول مقاومة نفسه، ثم أغمض عينيه عندما دارات بعض الذكريات فى عقله، ثم ابتسم وفتحها، ونظر إلى صافي بنفس الابتسامة التى يشوبها بعض الخبث ثم هز محسن رأسه وقال برغبة ملحة وثبات :
- كويس إني هخرج؛ لإن فيه حاجات كتير أوي برا محتاجة ترجع لوضعها ومكانها الطبيعي!

******

الفصل التاسع

تمالك الصغير نفسه ليرفع جسده المنهك عن الأرض الصلبة، وهو يبكي وينادي
» ماما » ولكن دون إجابة. تحرك ببطء من الألم، وفتح باب غرفته دون أن يصدر أي صوت خوفًا من أن يسمعه والده، وتحرك تجاه المطبخ كان الصغير يتضور جوعًا فحاول العبث في الثلاجة علَّه يعثر على شيء؛ فلم يجد سوى بعض الفاكهة فأخذها وجلس أسفل الطاولة، وبدأ بالتهامها دون تمهل من الجوع حتى أكل ما استطاعت معدته تحمله، ثم خرج من أسفل الطاولة. أخذ يدور في المنزل علَّه يجد والدته؛ كي تحنو عليه وتضمد له جروحه وتطيبها، ولكنه لم يجدها، فاستند على الجدار المجاور للدرج، و تكالبت عليه آلامه؛ فنام في مكانه .
في الصباح استيقظ كريم وهو لا يستطيع الحراك من التعب، رأى والده ينزل الدرج فاختبأ سريعًا كي لا يراه، و لكن والده رآه ونظر له وقال بقسوة :

- كمان ساعة هتيجي دادة تحميك وتغيرلك، ومفيش خروج من البيت والمدرسين هيجوا يشرحولك هنا في البيت. لو الدادة اشتكت منك مجرد شكوى؛ هدوقك مر ضرب امبارح تاني، فاهم.
هز الصغير رأسه بتكرار سريع، ثم نظر لوالده وهو يخرج من باب المنزل ويغلقه بشدة من خلفه مصدرًا صوت ارتطام هز بدنه . تحرك الطفل تجاه النافذة ليطمئن أن والده قد غادر فوقعت عيناه على والدته وهي تقف أمام سيارة والده وتترجاه؛ فأخذ الصغير يناديها ويدق على زجاج النافذة، ولكن صوته الضئيل لم يصلها، ورأى والده وهو يجبرها على الركوب في السيارة، وانطلق بها بعيدًا والطفل يبكي بقوة :
- عاوز ماما . يا ماما تعالي.

فتح محسن باب منزله فتساقط الكثير من الأتربة عنه؛ فهو لم يُفتح منذ مدة طويلة، فحركها بيديه بعيدًا وهو يسعل سعالًا خفيفًا . خطى أول خطواته داخله، كان كل شيء في مكانه كأنه تركه بالأمس. جاب أرجاء المنزل وكأنه يرحب به من جديد، فقام بفتح النوافذ والشرف ليضيئ المنزل بالكامل، ثم نادى حارس العقار والذي رحب بعودة محسن سالمًا؛ فطلب منه محسن :
- بص يا راجل يا طيب أنا عاوز واحدة تيجي تنفخ لي عفرة البيت

ده؛ انت عارف إنه مقفول بقاله فترة وكده، وكمان تشوفلي حد يرجعلي الكهربا والمايه والمتأخر عليا كله أنا هدفعه ، ماشي ؟!

- حاضر يا محسن بيه، طلباتك كلها مجابة . عن إذنك.

ربت محسن على كتفه، ثم دخل غرفته المغلقة لم يكن يرغب بذلك، ولكنه منهك ويريد أن يرتاح أزال كافة الأغطية عن الفراش متذكرًا كافة ما حدث عليه، ثم أخرج من دولابه أغطية جديدة، وبدلهم وخلع حذاءه، وألقى بنفسه على الفراش؛ ليغط في نوم عميق.

- محسن !

لم يستجب محسن للنداء للمرة الأولى وظن أنه يحلم، وغط في النوم من جديد.

- محسن !

تكرر النداء مرتين؛ ففتح محسن عينيه فوجد نفسه في غرفته، فاعتدل في نومته، ثم جلس ليتفاجأ بكل من ندى ومروة ولميس أمامه، تكرر في أذنه حديث صافي وتذكره :

-انت هتفضل يتهيئلك وجودهم حوليك لفترة لحد ما عقلك يتقبل الصدمة بشكل كامل ، بس ما تطاوعش تخيلاتك، اتعامل عادي جدًّا كإنهم صور على حيطة، ولو كلموك ما تردش عليهم تجاهلهم وهم لوحدهم هيختفوا .

وقف محسن وخلع ملابسه، وحمل أخرى نظيفة وتوجه إلى

الحمام، فنادته لميس ولكنه لم يجب . أخذ حمامه وخرج من الحمام، فوجدهم مازالوا موجودين فضحك بسخرية، وحمل أغراضه وخرج من الشقة.
وقف في الطريق يشعر بتخبط شديد لا يعلم ماذا يفعل؟! أخرج هاتفه وهاتَف صافي؛ فأجابته بمرح قائلة :
- أخبار الشارع إيه قولي بقى إنك بتلف وخاربها.
- صافي أنا شوفتهم، هم التلاتة .
كان صوت محسن مهزوزًا ويبدو عليه القلق؛ فقالت صافي مطمئنة :
- طيب إهدى، أنا هديك عنوان العيادة بتاعتي، وهستناك تيجي نتكلم وتقولي إيه اللي حصل بالظبط

بعد وقت كان محسن يجلس في العيادة في صالة الانتظار دقت الساعة الخامسة؛ فأصدرت الساعة موسيقى مميزة أعجبت كل المتواجدين في العيادة.
خرجت صافي من غرفتها، واقتربت من محسن وسلمت عليه فقال بإعجاب :
- حلوة نغمة الساعة دي عجبتني أوي.
نظرت صافي للساعة ببهجة وقالت :

- دي يا سيدي هدية من مريض كان تاجر أنتيكا، وبصراحة عجبتني جدًّا الهدية، وقررت أحطها في العيادة، فرحانة إنها عجبتك.
ابتسم محسن، ولكن عينيه كانت تتحركان بشكل مضطرب، هو لا يشعر بالراحة حول تواجده في المكان؛ فأخذته صافي إلى داخل مكتبها ، جلس محسن أمام المكتب وكان مترددًا فآثرت صافي سحب الكلام منه:
- شوفتهم فين ؟!
نظر لها فى صمت فترة وقال :
- في الشقة
- طب ما دا طبيعي إنك تشوفهم في آخر مكان شوفتهم فيه بعد ما ترجعله تاني ، ليه متفاجئ.
وقف محسن غاضبًا، ووضع يديه في جنبه وقال :
- بس انتي قولتلي يا صافي إني بقيت كويس واني خفيت، يبقى أشوفهم ليه؟! أنا مش عاوز اشوفهم ومش حابب أشوفهم.
- ده يرجعلك انت يا محسن . أنت بتشوفهم علشان لسه بتفكر فيهم، وعقلك لسه حاططهم فى دماغك بكرهه ليهم ، بص من الآخر بالبلدى كده يوم ما تبطل تفكر فيهم هتبطل تشوفهم، اهيه سهلة.
قضى محسن اليوم في العيادة مع صافي، وأخذ يقلب في العقاقير

ويسأل عنها جميعًا، وعن أضرارها ومنافعها، و صافي فرحة جدًّا لتفاعله معها حتى انتصف الليل؛ فعرضت عليه أن توصله في طريقها ووافق حتى وصلا إلى أسفل عقار محسن.

- يلا عاوزاك تنام على طول علشان بكرة أول يوم في المطعم؛ والحسابات عاوزة واحد صاحي وفايق كده ماشي.

هز محسن رأسه وقال بهدوء :

- بجد شكرًا يا صافي مش عارف أقولك إيه !

ربتت صافي على كتفه وقالت :

- متقولش لو عاوز فعلًا تشكرني خليك كويس، وخد بالك من نفسك كويس ماشي.

- حاضر .

صعد محسن إلى شقته، وما إن دخل حتى رآهم من جديد كأنهن ينتظرنه ووقفن يسددن عليه الطريق فاجتازهن ودخل غرفته، وأغلق الباب من خلفه، وألقى بجسده المنهك على الفراش، وغط في النوم على الفور .

في صباح يوم جديد .

استيقظ محسن لأول يوم له في دوامة في العمل الجديد الذي أمنته له صافي، شعر بإنهاك شديد يضرب جسده وكأنه خارج من

حرب دامت لأيام، لولا أنه كان نائمًا لأقسم أنه خارج من صراع مع أحد الحيوانات المفترسة. وقف بصعوبة، فرآهم يجولون في الشقة فتجاهلهم كالعادة، وأخذ حمامه وخرج، ارتدى ملابسًا رسمية تليق بالعمل، واستعد جيدًا ونزل مبكرًا كي يصل في موعده، وبالفعل وصل في موعده بالتحديد . دخل المطعم كان يشعر بالقليل من الحيرة فرأى فتاة ترتدي زيًّا يحمل اسم المطعم؛ فأمسكها من ذراعها وتساءل بفضول :

- هو مكتب المدير منين ؟!

دفعت الفتاة يده بعيدًا عنها وقالت بغضب :

- دور عليه بنفسك.

كانت تحدثه بطريقة فظة؛ فتضايق ونظر لها بغيظ لتتحرك من أمامه بكبريائها دون أن تعيره أي انتباه. تأفف محسن، ولكنه استمر من أجل الوظيفة بحث عن المكتب حتى وجده؛ فدق الباب،ودخل ورحب به المدير بحفاوة؛ لأنه عن طريق الطبيبة صافي، وهي من أهم عملاء المطعم، وأخذ يتحدث معه عن المطعم وسياسة عمله.

- النهاردة هعرفك على المطعم، وتكون ضيف معانا هنا، بس من بكره هتستلم شغلك، و ورينا همتك بقى يا بطل أنا واثق فيك جدًّا، وخاصة إن الدكتورة موصية عليك كويس جدًّا شكلك كده عزيز عليها.

ابتسم محسن ولم يزد وأخذه المدير جولة في المطعم، ثم جلس فأمر المدير إحدى الجارسونات أن تلبي كافة طلباته؛ فأتت تلك التي قابلها عند الدخول وما إن رأته تأففت فضحك محسن وقال:

- يا بنتي هو أنا قاتلك حد من عيلتك، انتي بتعامليني كده ليه؟! مكنش سؤال سألتهولك.

- تحب تطلب إيه ؟! . قالتها برسمية وجمود.

- طيب مفيش مينيو ؟!

- حاضر.

- وممكن لو سمحتي جورنال ؟!

.- استاند الجرايد في أول المطعم، تقدر تروح تجيب لنفسك واحد

وضع محسن ساقًا فوق الأخرى، وقال بكبرياء :

- لا ما هو أنا بصراحة معرفش المطعم أوله فين وآخره فين ، وبعدين هو مفيش ديلفيري للجرايد هنا ولا إيه ؟

نفخت في ضيق، وتحركت من أمامه، ثم عادت بعد قليل مع جريدة و قائمة اختيار الطعام الخاصة بالمطعم؛ فأخذهم محسن وضع الجريدة بجواره، ثم أخذ يتصفح المينيو ببطء شديد استفزها فقالت :

- أنا هروح أشوف شغلي لحد ما حضرتك تقرر هتطلب إيه بالظبط ؟

- لأ لو سمحتي استني لما أقرر، افرضي ملقتكيش تاني، معلش

مش هاخد من وقتك كتير يا . . ملك

نظرت ملك لشارة اسمها المعلقة على ملابسها، ثم نظرت له بضيق ووقفت متأهبة لتسجل الطلب وترحل، فأغلق محسن المينيو وقال :

- معندكوش أي حاجة عدلة في المينيو أخدها، أنا خليني في الجرنال أحسن يمكن فيه حاجه أحلى من المينيو.

اغتاظت ملك لأنه يمارس عليها ألوان الاستفزاز النفسي، ولكنها بقيت هادئة؛ لأن الأمر من المدير نفسه بالاعتناء به .

دار محسن بعينيه في الجرنال قاصدًا تذنيب ملك بجواره لتطاولها عليه؛ فأراد أن يلقنها درسًا لن تنساه.

أرادت ملك أن تلهي نفسها حتى ينتهي محسن مما يفعله؛ فأخرجت جهاز التحكم وأخذت تغير في قنوات التلفاز حتى ناداها أحدهم؛ فوضعت الجهاز في جيبها وتحركت تجاهه ، رفع محسن عينيه يبحث عنها فلم يجدها؛ فظن أنها هربت منه فأخذ يدور بعينيه في المكان علَّه يجدها، ولكن عاد لقراءة الجريدة مرة أخرى و ثبتت عينيه على خبر داخل الجريدة .

التقطت عينيه ملامح يحفظها عن ظهر قلب ، ملامح أخذت منه أيام يتأملها، ويتغزل بجمالها وهدوئها كان يظن كالعادة أن الأمر مجرد تخيل كما يحدث معه في كل مرة، ربما الأمر مجرد تخيلات ليس إلا، ولكنه قرأ اسمها و رآه مدونًا أسفل الصورة ولكن لم

يعرضوا صورتها داخل الجريدة، ربما أصبحت أحد أعلام مصر في أحد المجالات أو ربما عملت كممثلة؛ فاقترب أكثر من الخبر المكتوب الذي دوِّن بمانشيت كبير:

» جريمة قتل بأبشع الوسائل، والضحية زهرة صغيرة «

» جرائم القتل ليست جديدة على العالم ، ولكن الطريقة تقول بأن المنفذ لا يمت للبشر بصلة ، جريمة قتل بأبشع الوسائل والضحية فتاة في مقتبل العمر ، تمت الجريمة ما بين الواحدة والثانية صباحًا. راحت ضحيتها الفتاة الشابة البالغة من العمر سبعة وعشرين عامًا ندى الشريف ، حيث تم حقنها بجرعة زائدة من مادة سامة تستخدم في مساحيق التجميل » البوتوكس « في الوريد؛ مما أدى إلى وفاتها على الفور مع جروح عميقة على اليدين مصنوعة بآلة حادة، هذا وقد أضاف من بشاعة الجريمة وجود شق بطول الصدر وانتزاع القلب وتدميره بآلة حادة، وقد أثبت خبراء الطب الشرعي أنه لا يوجد أثارًا لاقتحام أو حتى سرقة لتتأكد الشكوك حول أن الجريمة هي قتل مع سبق الإصرار والترصد. بدأت الشرطة المصرية بقيادة الرائد حسام هيكل البحث . . . . «

أغلق محسن الجريدة وشعر أن الأرض تدور به ، كيف حدث ذلك؟! ندى قُتلت ؟!

نهض من على طاولته ، كان يتعرق بشدة ، التقط هاتفه دق على

صافي كثيرًا، ولكنها لم تجب على هاتفها فتملكه الغضب . رأت ملك ارتباكه؛ فأحضرت له كوب ليمون بارد وما إن اقتربت منه حتى نظر لها نظرة ألجمتها قبل أن يحمل أغراضه، ويرحل تاركًا المكان .

ظل طوال الطريق يتصل بصافي حتى أجابت بصوت مبحوح يغلبه النوم :

- ألووو

- صافي ندى ات. اتتت . . . . اتقتلت !

- إيه؟! ندى مين ؟!

قالتها صافي بصوت يشوبه الخوف والتوتر .

- ندى اللي كنت بحبها زمان يا صافى ، واحدة من فساتيني

- اااااااه ندى اتقتلت إزاي ومين قتلها ؟! محسن ! اوعى !

- انتي فين يا صافي أنا محتاجلك . قالها محسن و صوته يغالبه البكاء.

قالت صافي، وهي تنهض و ترتدي ملابسها :

- أنا هلبس وأقابلك في العيادة ما تتأخرش.

جلس الرائد حسام هيكل منكبًّا على ملف القضية وهو يقرأ ويطالع صورة المجني عليها قبل الجريمة فيجدها فتاة جميلة، ثم ينظر إليها بعد الحادث؛ فيقشعر وجهه من هول ما يراه.
» ندى علي الشريف ، ٢٦ عامًا ، تسكن فى ٥ شارع عباس العقاد وسط البلد، وهو نفس محل السكن الذي تمت فيه الجريمة ، تمت الوفاة نتيجة الحقن بجرعة زائدة من مادة سامة تدعى » سي آر جي » أو » البوتوكس» ثم تم عمل شق طولي داخل الصدر بطول ١٥ سم وعمق ٢٥ سم ، وتم استخراج القلب، وتحطيمه ووجود أثره حول الجثة مع وجود جروح مصنوعة بآلة حادة بعمق ١٠ سم على الجسد وتقطيع الجلد »
اقشعر بدن حسام من تقرير المعمل الجنائي عن المجني عليها؛ فتقزز من هول ما يقرأ:
ــ تلك الجريمة لا تمت لأي إنسان بصلة ، إن فعلها حقًّا بشيطان.
دق الباب بثبات فسمح حسام للطارق بالدخول؛ فدخل هشام زميله فى القضية ومعه ملف صغير، وجلس أمام المكتب فنظر له حسام بإنهاك وقال :
- إيه يا ربي القضية المعقدة دي ، اللى ماليها حتى عدو لا في شغلها ولا في حياتها، اومال مين هيقتلها بالطريقة البشعة دي ؟!
قال هشام وهو يلقي بالملف أمام حسام :
- اللي عرفته إن المجني عليها كانت بتشتغل في شركة تانية من

كام شهر، و اتعرضت هناك للأذى واتقالي إن كانت الـ HR فيه بينهم عداوة لدرجة إنها رفعت عليها السلاح وكمان ضربت رصاصة في الجو من سلاحها المرخص.

- عفارم عليك يا هشام؛ ابعت استدعاء ليها فورًا، ولكل اللي كانوا قريبين منها في الشركة و. . آه صحيح أخو المجني عليها لسه هنا؟!

هز هشام رأسه وقال :

- آه موجود برا بس حالته صعبة جدًّا.

- طبعًا يا بني دي أخته الكبيرة بردو وهي تعتبر الأم والأب بالنسبة ليهم ، المهم دخله؛ عاوز أدردش معاه شوية يمكن أطلع منه بمعلومة.

خرج هشام وعاد بعد قليل ومعه شاب منهك يبدو عليه التعب، أجلسه وخرج مرة أخرى . نظر له حسام وتفحصه لدقائق، ثم طلب له عصير ليمون بارد كي يسترخي، وما إن ارتشف منه بضع قطرات حتى قال حسام بتروي :

- البقاء لله ، ربنا يرحمها، أكيد هي في مكان أحسن، بس احنا محتاجين نجيب حق أختك من اللي قتلها مينفعش يفضل حر بعد ما قتلها بالطريقة البشعة دي ولا انت إيه رأيك ؟!

ابتلع الشاب ريقه وقال بوهن :

- أختي كانت نسمة ملهاش أعداء ولا عمرها كان ليها عداوة مع

حد، مش عارف مين اللي ممكن يعمل فيها كده وليه ؟!
- ركز معايا دلوقتي أنا سمعت إنها كانت شغالة في شركة قبل دي، وكان ليها عداوة مع المديرة التنفيذية للشركة هل الكلام ده حقيقي ؟!
نظر الاخ وكأنه تذكر شيئًا ثم قال :
- مروة ! ايوه فعلًا هي كانت دايمًا على خلاف معاها؛ لأنها كانت بتغير على خطيبها جدًّا، ومروة زي ما سمعت إنها كانت ست مش كويسة وبتحاول تاخده منها.
كان حسام يسمع باهتمام إلى كل ما يقوله الأخ، ثم نظر له بتعجب وتساءل :
- خطيب مين ؟! هي ندى كانت مخطوبة ؟!
هز الأخ رأسه وقال :
- آه لزميلها فى الشغل بس الخطوبة ما استمرتش كتير، ومحدش عارف السبب، هي جت في يوم وقالت إن كل اللي بينهم انتهى وما قالتش أسباب.
- ما يمكن اتأكدت مثلًا إنه بيخونها، أو حاول يعتدي عليها وهي رفضته؛ علشان كده انتقم منها، أو مروة دي حست أنها ضيعت منها زميلها ده فقتلتها بالطريقة البشعة دي. أصل إيه اللي يخلي حد يطلع قلب حد، ويدمره كده إلا إذا كان فيه بينهم عداوة كبيرة كده؛ دا المجني عليها حرفيًّا متشرحة و . . . .

لم يتحمل الأخ حديث الرائد حسام؛ فبكى بقوة فاعتذر حسام عن طريقته في الحديث، وسمح له بالخروج، ولكن قبل الخروج سأل حسام الأخ:

- انت مقلتليش اسمه إيه زميلها اللي كانت مخطوباله ده ؟

أجاب الأخ على السؤال، و نادى حسام أحد العساكر ليساعده . خرج الأخ من المكتب، وانكب حسام على الملف بالمعلومات الجديدة، ثم أخرج ورقة كبيرة بيضاء وعلقها على الجدار، وحاول رسم شجرة علاقات ندى ودون في منتصف اللوحة اسم » محسن«.

وصل محسن أسفل العقار الخاص بالعيادة، ثم صعد فورًا وما إن رأى صافي حتى بكى وارتمى بين أحضانها؛ فأجلسته صافي وجلست أمامه. أمسكت بوجهه بين راحتي يدها، ونظرت في عينيه وقالت:

- اهدى يا محسن إنت خايف ليه كده ؟!

- مش عارف بس اللي قتلها هيقتلني أنا كمان ؟!

زفرت صافي بهدوء وقالت :

- ليه ؟! ما يمكن بعد ما عرفتك عرفت حد مش كويس و استغلته زي ما بتعمل. انت قولتلي إنها خدعتك في شغلك، ما ممكن تكون كررتها مع حد فقتلها.

نظر محسن لصافي من خلف دموعه وقال :

- بس هو شرح جسمها بالسرنجة، و طلع قلبها وقطعه، وكمان سم طيب ليه البشاعة دي؟! كان ممكن يموتها بطريقة واحدة منهم كفيلة تموتها.

نظرت صافي بصدمة لمحسن، وفكرت قليلًا ثم تساءلت :

- محسن امبارح بعد ما سيبتك قدام البيت انت روحت فين ؟! يعني نمت ولا خرجت؟!

كان سؤالها به الكثير من الشك ووصل لمحسن؛ فنظر لها بدهشة وقال :

- انتي بجد شاكة فيا؟! صافي صافي مش أنا اللي قتلتها صدقيني

- امال انت عرفت كل التفاصيل دي إزاي يا محسن؟! ساعدني أنا عاوزة أساعدك !

فكر محسن قليلًا ثم قال بهدوء :

- أنا قرأت دا فى الجرنال الصبح، صدقيني هم قالوا كده.

نظرت له صافي كانت طريقته غريبة في الحديث، وكأنه يصارع شيئًا داخله أو بداخله أكثر من شخصية، أمسكت بدفترها وسجلت بعض الملاحظات البادية على محسن، ثم ربتت على كتفه وقالت :

- طيب تعالى معايا أوصلك البيت تنام وترتاح؛ انت محتاج ترتاح كويس.

وافق محسن على عرضها، وركب معها في السيارة وما إن وصلا حتى قالت بهدوء مطمئنة :

- يلا يا محسن ما تفكرش في حاجة اطلع ارتاح ونام، ولما تصحى كلمني أو تعالالي على المستشفى، المرضى كانوا بيسألوني عليك والله.

ابتسم محسن وهز رأسه في هدوء، ونزل من السيارة، وما إن وطأت قدمه أرض العقار حتى وجد الشرطة تحاوطه من كل جانب؛ فدب الذعر في قلب محسن و نظر حوله ليجد نفسه محاطًا من كل الجهات فتساءل بتوتر :

- مـ ممكن أفهم إيه اللي اللي بيحصل ده ؟!

- حضرتك مطلوب في المباحث؛ اتفضل قدامي

خرجت صافي من السيارة محاولة تستفهم ماذا يجري:

- حضرتك واخدينه بتهمة إيه ؟! وفين الاستدعاء ده ؟!

أراها العسكري أمر الاستدعاء فقالت صافي :

- طب اتفضل حضرتك، واحنا هنيجي وراك بالعربية.

- حضرتك أنا مطالب أجيبه بالبوكس و . . . . . .

قاطعته صافي قائلة بحزم :

- حضرتك هو مش متهم بحاجة علشان يروح في البوكس، وأنا بقول لحضرتك هنيجي وراك بالعربية أظن ده حقي.

رضخ الضابط لحديث صافي، وركب محسن معها في السيارة،

وانطلقوا خلف سيارة الشرطة . . كان محسن ينتفض خوفًا؛ فأرسلت صافي رسالة للمحامي الخاص بها أن يلحقها إلى القسم، ثم بدأت الحديث مع محسن تنصحه :

- محسن اثبت الضابط لو شك فيك انت هتلبس القضية حتى لو انت ملكش يد فيها، خليك واثق في نفسك، واثبت أرجوك، فاهم.

هز محسن رأسه بتكرار متوتر محاولًا السيطرة على أعصابه .

وصلوا أخيرًا، وخرج محسن ممسك بيد صافي وهو متوتر، فساقهم العسكري حتى مكتب الرائد حسام، وما إن وصلا إلى المكتب وفتح حتى سقط فك محسن وهو يرى مروة تخرج من المكتب، فنظرت له بدهشة؛ فأبعد نظره عنها.

دخل محسن ومعه المحامي، وانتظرتهم صافي في الخارج وكذلك مروة . بعد التقديمات والتعرف

- منور يا محسن . آسف على الطريقة اللي بعت أجيبك بيها بس كنت محتاج آخد أقوالك علشان اقفل القضية.

- ولا يهم حضرتك

- آخر مرة شوفت ندى كانت امتى وليه ؟!

قال محسن متوترًا :

- من شهور مش فاكر بالظبط، بس كنا شغالين في مكتب واحد وهي كـ كانت خطيبتي وقتها، بس أنا اترفدت من الشغل في

اليوم ده و قطعت اتصالي بيها ما اتكلمناش بعدها
- كنت فين امبارح من الساعة ١٢ للفجر يا محسن ؟!
- كـ كنت نايم لإن النهارده كان أول يوم شغل ليا فكان لازم أنام بدري علشان أقوم فايق وكده
تكررت أسئلة حسام وتوالت على محسن، وهو يجيب بارتباك؛ فنظر له حسام وتساءل بصوت غليظ :
- امال انت عرقان ومتوتر كده ليه اهدى أنت مجرد شاهد.
- مـ معلش يا فندم أنا أنا أول مرة أدخل مكان زي ده اعذرني.
- تفتكر مين ليه مصلحة في قتلها ؟ وهل بتشك في حد ؟
- لا
- طب التحريات بتقول إن الشركة اللي كنتوا شغالين فيها الـ H .R كانت على خلاف مع ندى بسببك ؟
توتر محسن من ذلك السؤال، وتوترت أنفاسه، ثم قال بصوت متوتر
- د . . . . دي . . علا . . علاقات شخصية وخلا . . خلافات حب عادية ومش هقدر أجاوب أكتر من كده أرجوك سيبني أمشي .
نظر له حسام بتشكك في أمره ولكنه استجاب لأمره و انتهى التحقيق وسمح حسام لمحسن بالانصراف فخرج محسن، وهو يلتقط أنفاسه؛ فاطمئنت عليه صافي، وذهبت مع المحامي للتحدث بصورة منفردة، فاقتربت مروة من محسن وقالت

بكبريائها المعهود :
- إزيك يا محسن !
نظر لها محسن وجاوب بارتباك :
- الـ الحمدلله كـ كويس
ابتسمت وقالت :
- الدنيا صغيرة جدًّا فعلًا لو صبر القاتل على المقتول.
صدم محسن ونظر لمروة، وتساءل بصدمة :
- انتي اللي قتلتيها ؟!
- وأنا هقتلها ليه ؟! مليش مصلحة في قتلها أصلًا .
فنظر محسن أرضًا، فعادت لتسأله من جديد :
- بس طمني عنك إيه أحوالك ومين الوجه الجديد اللي معاك دي ؟!
خرج حسام من المكتب إلى المرحاض فالتقطت عيناه محسن ومروة وهما يقفان متجاورين ويتحدثان بأريحية؛ فنظر لهم جيدًا، ثم أكمل طريقه إلى المرحاض .
كان على وشك أن يتحدث معها ولكن رأت صافي تقترب، فأخذت هاتفه وسجلت رقمها، واتصلت به ثم سجلته وقالت :
- ابقى كلمني يا محسن؛ لإن فيه بينا كلام كتير أوي متأجل.
نظر لها محسن ولم يجب فرحلت وهي تنظر لصافي بتحدٍ، ثم ارتدت نظاراتها الشمسية وخرجت من القسم . اقتربت صافي

وتساءلت بتعجب :
- مين دي يا محسن ؟!
- مروة . قالها محسن بنبرة أخافت صافي؛ فأمسكت يده، و هدأت من روعه وخرجوا من المكان.
داخل سيارة صافي . .
- محسن إيه رأيك ترجع تبات في المستشفى هو أمان أكتر، وكمان اللي موجودين هيراعوك وكده، وبالمرة أطمن عليك ها قولت إيه؟!
وافقها محسن دون تفكير ، فالذى حدث دمر أعصابه، واحتاج أن يرتاح فى مكان يحبه ويكون بعيدًا عن أعين الناس ، وذهب إلى المشفى وقضى الليلة بها وفي اليوم التالي استيقظ محسن مبكرًا ذهب إلى شقته غير ملابسه، وتوجه إلى عمله و وضع كافة تركيزه فيه ولم يخلُ يومه ولا أيامه المتتالية من مناوشاته مع ملك التي تتصيد له الأخطاء و تخانقه عليها . .
في نهاية اليوم سلَّم محسن عهدته إلى المدير وقبل أن يخرج سمع صوت بكاء؛ فاقترب من الباب فوجد ملك تبكي فتساءل بخفوت :
- أستاذة ملك انتي كويسة ؟!
نظرت له، ومسحت دموعها على الفور وقالت :
- أيوه يا محسن أنا تمام شكرًا.
- تحبي أوصلك لمكان؟!

ابتسمت ابتسامة هادئة جعلت منها زهرة متفتحه، كانت ملامحها هادئة وجميلة وعيناها الخضراء الزيتونية كانت آية في الجمال، نظر محسن أرضًا فأجابت بهدوء :
- لأ شكرًا أنا بمشي لحد البيت هو مش بعيد عن هنا.
فابتسم لها وتحرك راحلًا، وقبل أن يركب دق هاتفه برقم غريب، فأجاب وصُدم من هوية المتصل .

في مكان هادئ في النادي.

كان محسن يجلس و ينظر أمامه ، يتأمل ملامحها التي لم تتغير كثيرًا؛ يبدو عليها أنها ستظل محتفظة بجمالها لوقت طويل.
- انت سرحان في ايه . . . قالتها مروة بتعجب.
نظر لها محسن وقال بهدوء :
- مستني أعرف انتي جيباني لحد هنا ليه ؟!
- اللي بينا مكنش قليل يا محسن ، وكان فيه بينا مشاعر حلوة.
- مشاعر إيه ؟! كنتي بتحبيني و بتباتي في حضن راجل تاني! ونعم المشاعر فعلًا ، كفاية كذب.
حركت مروة نظاراتها الشمسية وقالت :
- خليك عملي شوية يا محسن أنا كنت بدور على مصلحتي، بس

ده مش معناه إني مكنتش بحبك لأ تبقى غلطان، أنا شوفت فيك الحب اللي كان ناقصني فعلًا.
- مروة انتي أكتر حد عارفة إن الحب بتاعك غير بتاع كل الناس، انتي عاوزة اللي يكون تحت رجلك بتاعك وملكك وبس، انتي من يومك طماعة وبتحبي كل حاجة تكون ليكي.
- انت شايف نفسك على ايه ؟! يابني فوق، انت مجرد حد أنا ممكن أحركه بصباعي، بس فعلًا أنا غلطانة إني حاولت أرجع ذكرياتنا تاني يا يا مجنون.
- مجنون ؟!
- طبعًا أنا عرفت عنك كل حاجة وخاصة الدكتورة اللي انت رايح جاي معاها دي ، انت أي حد يعرف يضحك عليك يا محسن.
رحلت مروة من أمامه، فبغضب دفع الطاولة بما عليها أرضًا، وصرخ غاضبًا . ثم خرج من النادي والغضب يتطاير من عينيه
وصل محسن المشفى، ودق باب عيادة صافي ودخل وجلس على الكرسي صامتًا؛ فنظرت له بتعجب وتساءلت :
- مالك يا محسن ؟!
نظر لها وحكى لها كل شيء حدث؛ فتضايقت من طبع مروة، ولكنها أخذت تهون على محسن و أصرت أن يبيت في المشفى هذه الليلة أيضًا كي تستطيع الاعتناء به .

بعد منتصف الليل. . .

كان حارس المشفى يتجول ليتأكد أن كل شيء على ما يرام، ثم جلس على الأريكة المجاورة للبوابة، وبدأ النعاس يتسحب لعينيه، ولكنه سمع خطوات تقترب؛ فنظر بالجوار ليجد محسن بملابسه الجلدية التي يحفظها عن ظهر قلب يخرج من البوابة؛ فوقف يناديه ولكنه لم يعره اهتمامًا، رفع صوته علَّه يسمعه؛ فوقف محسن لدقائق دون أن يلتفت، ثم واصل سيره إلى الطريق الرئيسي.

في الصباح استيقظ محسن في المشفى منهكًا للغاية كان جسده يؤلمه بشدة وكأنه مُنتهٍ في التو من حرب شرسة ليجد باب الشرفة مفتوحًا؛ و تكهن أن الهواء البارد أصاب جسده بالبرد، فنزل قاصدًا المنزل . خرج الحارس ليناديه، ولكنه لم يلحق به.
دخل محسن شقته و استحم وغير ملابسه بأخرى رسمية، و تحرك تجاه الباب ليخرج، وما إن فتحه حتى وجد الرائد حسام أمامه، ومن خلفه مجموعة كبيرة من الشرطة.
فنظر له محسن بتعجب وقال بضيق :
- فيه إيه تاني يا حضرة الرائد؟ أنا قولت كل اللي عندي ، أنا معرفش حاجة عن موت ندى.

- بس أنا مش هنا علشان خاطر ندى يا محسن . قالها حسام بخبث

تعجب محسن وتساءل بتلقائية :

- اومال علشان مين ؟!

- مروة

- مروة ؟! مالها مروة؟!

قالها محسن بتوتر.

ابتسم حسام، وقال بدهاء وهو يرفع حاجبه للأعلى :

- مروة اتقتلت، وبنفس طريقة موت ندى يا . . يا محسن !

الفصل العاشر

ألقى حسام القبض على محسن، وساقه إلى سيارة الشرطة « البوكس» ثم أمر بتفتيش الشقة، ومسحها بصورة كاملة، وتحركوا إلى القسم وسط ذهول محسن ، كان لا يصدق ما يحدث يشعر أنه في كابوس لا ينتهي، كان ألمه النفسي أضعاف ألمه الجسدي . وجد نفسه يساق إلى السجن، ويزج به مع القتلة واللصوص وغيره من المجرمين .

جلس محسن في أحد زوايا الزنزانة كالتائه؛ يحاول عقله استيعاب كافة ما يحدث حوله ، كيف ومتى ماتت مروة؟! كانت تجلس معه بالأمس وإن قتلت لِمَ بنفس طريقة قتل ندى ؟! حسنًا وإن يكن ، لِمَ هو من تم القبض عليه؟! حتى وإن كان يجمعهم به علاقة في الماضي، هو لم ولن يفكر يومًا في القتل .

استدعى حسام محسن فنزل إليه العسكري، و فتح باب الزنزانة ونادى على محسن » ، لكنه لم يجب ، كان عقله في مكان آخر بعيدًا مشتتًا لا يعي ما حوله؛ فناداه العسكري بصوت أغلظ

فانتبه محسن أخيرًا، وتململ وأجابه بصوت ضعيف: » نـ نعم »
- ساعة علشان ترد اتحرك قدامي؛ حسام باشا عاوزك.
تحرك محسن تجاه الباب، فأخذه العسكري من ذراعه، وقبض عليها بقوة، ثم أغلق الباب من خلفه وأخذ محسن حيث مكتب رئيس المباحث، ثم طرق الباب ودخلا سويًّا، حرر يد محسن وخرج .
سمح حسام لمحسن بالجلوس، ثم سأله عما يريد أن يشرب، فأجابه محسن أنه يريد بعض المياه، وبالفعل أحضرها له، وتركه حتى هدأ ثم تساءل حسام بجدية :
- ها يا محسن بردو مصر تنكر إنك قتلت مروة.
- هقتلها ليه ؟!
- يعني ، ممكن يعني علشان فهمتك مثلًا إنها بتحبك، وطلعت مثلًا بتخدعك ومتجوزة مدير الشركة بتاعتك. قالها حسام، وهو ينظر في عيني محسن.
نظر محسن إلى الورق المجاور لحسام ليجد أوراق روايته تحت يده فابتلع ريقه ، آخر ما كان يريد أن يحدث أن يقرأ أحدٌ أوراقه، ويعرف كُل ما حدث معه من خذلان على يد ثلاث نساء أحبهم واستغلوه فقال محسن :
- طيب بما إنك قرأت الورق ، أكيد عارف إني لو حابب أنتقم كنت انتقمت في وقتها، ليه هستنى كل ده؟ !

وقف حسام ودار حول المكتب، وهو يشعل سيجارة قائلًا :
- يمكن مثلًا علشان وقتها الصدمة النفسية اللي أخدتها خلت عقلك مش موزون، ودخلتك مستشفى الأمراض العقلية ؟! يمكن كل شيء جايز ، وبعدين أول ما جتلك فرصة، قولت بقى تنتقم وده بيأكد لي عدم اتزانك نفسيًّا، ودي هتبقى نقطة في مصلحتك يا محسن، ودا يبقى أسهل عليك إنك تنتقم.
ضيق محسن عينيه و قال بضيق :
- وأنا لو مش متزن نفسيًا هيخرجوني من المستشفى ليه ؟!
جلس حسام على الكرسي المواجه لمحسن ومط شفتيه وقال :
- لأ بصراحة مش عارف، بس بما إنك كاتب عظيم كده؛ فأكيد انت بردو ممثل عظيم قدرت تخدع الدكاترة وتوهمهم إنك خفيت.
صمت محسن لثوانٍ يفكر ، كان كلام حسام واقعيًّا جدًّا جعل محسن يشك في شخصه، ويشعر أنه ربما لم يُشفَ بعد ، ربما ذلك ممكن، ولكنه يعلم نفسه جيدًا لا قدرة له على القتل فقال محسن محاولًا إيجاد مخرج :
- بس أنا إمبارح كنت بايت في المستشفى، ومخرجتش غير الصبح.
ضيق حسام عينيه وتساءل :
- مستشفى الأمراض العقلية ؟!
- آه
- ولما أنت خفيت ليه بتروح هناك فهمني ؟ تساءل حسام باهتمام

نظر محسن حوله وشعر بالخوف من ضغط حسام، وأسئلته المباغتة والتي تفوق قدرته على التحمل؛ فقال بضيق يشوبه البكاء :

- علشان بروح هناك مراجعة مرتين في الأسبوع، ودكتورة صافي اقترحت إني أبات في المستشفى زيادة أمان، وأنا وافقتها.

- المستشفى دي ليها حارس؟!

هز محسن رأسه بالإيجاب؛ فضرب حسام بيده على المكتب قائلًا:

- هو ده.

- ممكن أعمل مكالمة من تليفوني ؟!

نظر له حسام لدقائق، ثم مد يده والتقط هاتف محسن وأعطاه له؛ فاتصل محسن بصافي فأتاه صوتها مشرقًا :

- أنا بردو قولت الشغل هياخدك مننا ، ماشي يا عم المشغول.

تلعثم محسن وقال مضطربًا :

- صـ صـافي أ أ أنا في القسم تعالي . .

- قسم إيه يا محسن؟! هي مش قضية ندى خلصت، انت في القسم بتعمل إيه ؟!

أخذ حسام الهاتف من يد محسن المرتعشة وقال بصوت عالٍ :

- لا ما هي مروة كمان اتقتلت وبنفس الطريقة يا دكتور صافي، ومحسن آخر من اتشاف معاها، وآخر رقم هي متصلة بيه.

- بس محسن كان بايت عندي هنا في المستشفى، ومخرجش.

- تقدري حضرتك تيجي تشهدي بكده هنا ، بعد إذنك.
أغلق حسام الهاتف وألقاه على المكتب ثم أمر العسكري بأخذ محسن إلى حيث كان . دق الباب ودخل هشام، ومعه بعض الأوراق ثم جلس وهو يقول :
- أنا جبت عنوان الفستان التالت احم قصدي البنت التالتة اللي اسمها لميس هي ساكنة في العقار رقم ٦٠ في شارع اسمه السلام في القاهرة الدور التاني، رأي حضرتك نروح نأمن البيت ؟!
قال حسام وهو يمسح على وجهه :
- مفيش داعي؛ القاتل عندنا مش هيقدر يأذيها طول ما هو بين إيدينا.
- أنت اتأكدت يا حسام باشا إنه هو القاتل ؟! . تساءل هشام بفضول
قال حسام وهو يطالع الأوراق التي أمامه في اهتمام :
- كل الأدلة والبراهين بتدينه، وبتخليني أشك فيه أكتر بس. . . .
- آآه طالما الحكاية فيها بس يبقى حسام باشا شغل قرون الاستشعار، وشامم طبخة مش كويسة .. قالها هشام بمزاح
لكمه حسام في كتفه بمزاح ثم قال :
- الواد ده صادق بطريقة غريبة، عينه بتقولي إنه بيقول الحق، بس عندي شك كبير انه يكون عنده انفصام في الشخصيه؛ لإني حسيت بتناقض في ردود فعله؛ فمحتاجين رأي دكتور نفسي

محترف يقدر يقولنا إذا كان تفكيري صح ولا لا.
- طب ما هو عنده دكتور نفسي ما نسأله ! . . قالها هشام بتعجب
- يا هشام باشا فتح مخك معايا، لو دكتوره النفسي ده كويس مكنش أداله إذن الخروج وهو فى حالته كده؛ المستشفى دي عهدها ولى يا ابني ، قوم إنت شوفلنا دكتور نفساني عُقر يستلم مننا الحالة دي، وجيبلي حارس المستشفى دي، ولو فيه كاميرات فضيلي التسجيل بتاعها وهات تسجيل ليلة امبارح من أول الساعة ١٢ ، وأنا هطلب قهوة تاني و أقعد أشوف القضية دي.
خرج هشام من المكتب وانكب حسام على العمل في القضية وأخذ يرتشف فناجين القهوة ويحرق السيجارة تلو الأخرى.
التقارير مثل تقارير المجني عليها ندى: طريقه القتل، السم المستخدم، التشريح، إخراج القلب. كل شيء مثل القضية السابقة، و كافة الأدلة تُدين محسن، ولكنه متأكد بحكم خبرته الطويلة في عالم الجرائم أن الشخص الذي كان يجلس أمامه منذ قليل ليس بقاتل، ويعلم أن حديثه صادق، لِمَ لم يقتلهم منذ أن خذلوه واستغلوه؟! وكان له الحق وقتها للانتقام، لِمَ ينتظر كل هذا الوقت؟!
شعر حسام بالتعب وأغلق عينيه ليستريح قليلًا؛ فدق الباب وسمح حسام بالدخول، فدخل العسكري قائلًا :

- فيه محامي برا بيقول إنه حاضر عن محسن، ومعاه دكتورة اسمها صافي يا فندم.

ابتسم حسام، وأرجع ظهره للخلف وقال :

- خليهم يتفضلوا طبعًا

دخل المحامي ومعه صافي وجلسوا مع حسام، وبدأ حسام يتحدث مع المحامي، وصافي تنظر حولها بتوتر؛ فنظر لها حسام وتساءل بفضول :

- انتي قلقانة من حاجة يا دكتور ؟!

- قلقانة على محسن ممكن أشوفه ؟! أرجوك.

صمت حسام لدقائق، ثم طلب من العسكري إحضار محسن من السجن، وبالفعل أحضره، ثم تركهم لدقائق وحدهم .

نظرت صافي لمحسن، كان شريدًا يفكر كثيرًا عيناه متورمتان من البكاء؛ فاقتربت منه بألم، ومسحت على وجهه بحنو وتساءلت بهدوء :

- انت كويس يا محسن ؟!

- مش كويس . . نظر لها محسن معطيًا إذنًا لدموعه بالانهمار فمدت أناملها ومسحتها كانت تشعر كأن دموعه وخزات في قلبها.

جلس المحامي يسأل محسن بعض الأسئلة ، فبدا محسن متألمًا، ولكنه حكى كل شيء فتساءلت صافي بانتباه :

- محسن انت حد أجبرك على حاجة ؟! يعني حد أذاك.
- لأ
- امال ليه حساك متوجع ؟!
دخل حسام ليقاطع حديثهم ثم قال بجدية :
- بعد إذنكوا الدكتور هنا علشان يشوف المتهم.
- دكتور إيه ؟! الطب الشرعي !. تساءل المحامي بتركيز
نظر حسام لصافي وقال بتحدٍ :
- لأ دكتور نفسي
صدمت صافي وقالت بتبرم :
- وأنا دكتورة بيطرية مثلًا ؟! ثم إن دكتور نفسي ليه؟! محسن كويس أنا متأكدة من حالته بنفسي.
دخل الطبيب النفسي الذي بدت حِنكته في ملامحه ، وقال بهدوء:
- ممكن ثغرات تعدي على الدكتور عادي يا دكتورة، وغيرك ياخد باله منها مش لازم دايمًا توقعاتك صح، خاصة لو المريض موهوب زي محسن.
شعرت صافي بالضيق كانت شاهدت الطبيب الذى دخل ، إنها تعرفه حق المعرفة ، إنه الطبيب علاء ، الطبيب علاء هو أحد أشهر الأطباء النفسيين، ولكن تعلم أن هذا الطبيب جشع ويعشق المال، و قد يبيع أولاده من أجل بعض المال، وقد جمع بينها وبينه الكثير من العمل فى الماضي، فقالت صافي على الفور :

- أنا عاوزة أحضر الجلسة دي
قال حسام معترضًا :
- لو سمحتي يا دكتورة سيبيني أشوف شغلي و . . .
- بالعكس يا حسام باشا أنا هستفيد كتير من خبرة الدكتورة صافي، وهتعلم منها أرجوك سيبها موجودة في الجلسة.
قالها الدكتور علاء بابتسام وهدوء ممزوج بالتحدي.
وافق حسام أخيرًا، و صافي تعلم كل ما يخطط له الطبيب علاء، فجلست هي ومحسن وعلاء وحسام ودار حوار بينهم، كانت الجلسة بالكامل بين كل من علاء ومحسن، تدار أسئلة بواسطة الطبيب علاء، ومحسن يجيب بخوف وهو ينظر لصافي التي تحاول أن تطمئنه بابتسامتها الهادئة، وحسام يشاهد بجهل ما يحدث حوله ولكنه منتبه .
بعد الجلسة تم إرسال محسن إلى سجنه، وجلس حسام ينتظر إجابة علاء عن الحالة، ولكن صافي كانت تعلم أنه بالتأكيد لن يفعل قبل أن يجتمع بها، ويستغل كل الفرص المتاحة أمامه، وبالفعل طلب علاء أن ينفرد بصافي ليدرسوا الحالة جيدًا، ووافق حسام على مضض.
جلست صافي وهي تضع قدمًا على الأخرى، و نظرت لعلاء منتظرة منه الحديث وبالفعل أخذ زمام الحديث متسائلًا بخبث :
- ها يا دكتورة انتي رأيك إيه في الحالة دي ؟!

نظرت صافي لعلاء نظرات دهاء وقالت :
- مفيش رأي بعد رأيك يا دكتور علاء انت أفهم وأدرى، وحسام باشا استعان بيك علشان كده حضرتك شايف إيه ؟
نظر علاء للملاحظاته وقال :
- الظاهر قدامي إنه انفصام حاد في الشخصية ، محسن بيقتل وهو ميعرفش إنه القاتل، والدليل التعب الجسمي اللي بيحسه كل يوم الصبح، وأثر الجرح اللي على رقبته هو ميعرفش مصدره كان ظاهر في رد فعله، وكلامه، ونيته في الانتقام كانت حاضرة، بس مع شخصيته الضعيفة خلته يلجأ لشخصية تانية أقوى منه هي اللي تقتل ، شخصية أقوى ،شخصية بتظهر مع الوقت أو الظلمة لما كله يختفى من قدام عينيه، و يخرج الوحش اللي جواه وينفذ كل رغباته المكبوتة تجاههم .
ابتسمت صافي وقالت :
- انت دكتور شاطر جدًّا يا دكتور علاء ودا واضح جدًّا في اهتمامك بالتفاصيل الصغيرة والمهمة، وتشخيصك ماشاء الله.
- ميرسي يا دكتورة ، طبعًا تشخيص زي ده كفيل إنه يرجع محسن المستشفى تاني، وممكن يفضل فيها مدى الحياة تؤ تؤ تؤ يا خسارة.
ضحكت صافي ضحكة ساخرة، ابتسم بعدها علاء مظهرًا أسنانه الصفراء من أثر السجائر والكافيين، فقالت صافي بدون تردد :

- مش هتتغير مهما مر عليك وقت، هتفضل علاء بتاع الفلوس لآخر يوم في عمرك.
ضحك علاء بدناءة وقال :
- أحب إن سمعتي تكون سبقاني دايمًا والله ، كتر خيرك وفرتي عني كتير أوي من الكلام نقول ٢٠٠ ألف كويس، بردو محسن غالي علينا ويستحق.
ضحكت صافي للمرة الثانية، ثم وقفت منهية الجدل قائلة :
- تبقى غلطان يا دكتور علاء لو فاكر إني هديك جنيه واحد؛ محسن مجرد مريض عندي وصعب عليا علشان ملوش حد مش أكتر، إنما هو مايفرقش معايا في حاجة أصلًا، بس خليك فاكر إن حياة إنسان في إيدك سلام.
خرجت صافي و غضب الكون كله ملقى على عاتقها أمرت المحامي أن لا يفارق محسن ويحاول بكل الطرق إنقاذه و إبلاغها بالجديد، وهي في المشفى إن احتاجها.
وصل حارس المشفى إلى مبنى المباحث وبعث حسام في إحضار محسن وتواجه الاثنان ببعض. سأل حسام بصورة حاسمة :
- آخر مرة شوفت فيها محسن كانت امتى والساعة كام ؟!
نظر الحارس لمحسن وتعرق بشدة لا يريد أن يضره، ولكنه لن يشهد بغير ما رأى فقال منهيًا حوار عقله :
- إمبارح بالليل بعد الساعة ١٢ كان طالع من بوابة المستشفى،

لابس هدومه الجلد اللي بيحبها، ناديته كتير بس ما ردش عليا، بس سمعني ووقف شوية، وبعدين كمل مشي تاني.

بكى محسن مصدومًا، وأشار له قائلًا بصوت مبحوح :

- أنت أنت بتكدب أنا ما خرجتش بالليل، أنا كنت نايم يا حسام باشا، صدقني بيكدب و بيتبلى عليا.

دق الباب، ودخل هشام ومعه شريط الكاميرا المفرغ على قرص مضغوط، فالتقطه حسام ووضعه داخل الحاسوب أمام عيني محسن والحارس وهشام والدكتور علاء الذي دخل أخيرًا، و أداره ثم قدمه حتى التقطت العدسات محسن وهو يخرج من البوابة يغطي رأسه بغطاء الرأس الخاص بالجاكيت الأسود الخاص به، والحارس يناديه ولكنه لا يجيب، ثم توقف لثوانٍ وأكمل طريقة دون أن يجيب ، سقط فم محسن من هول ما يرى، دق قلبه بعنف ولم يستطع ابتلاع تلك الغصة التي علقت في حلقه؛ فضرب حسام سطح المكتب وقال بسعادة :

- هو ده الشغل.

التفت حسام وهو يضحك، ونظر لمحسن وقال بانتصار :

- إيه رأيك يا محسن؟ طبعًا كنت فاكر إنك مش هتتكشف، وإن دور البراءة اللي أنت حبكته ده هيخيل على

الكل ،انت مكنش في دماغك إن حد هيشوفك و أراهنك إنك في الثانية اللي وقفت فيها دي، كنت بتفكر ترجع تقتله فيها علشان

ما يعترفش عليك.
لم يكن محسن يستمع لأحد فقط كان يتابع الشاشة بصدمة قاتلة، بل مد يده ليلمس الشاشة، وكأنه يريد لمسه من الداخل، كأنه في حلم بل كابوس لا ينتهي ولسانه يردد :
- إزاي؟!
نظر حسام للدكتور علاء وقال :
- إنت إيه رأيك يا دكتور علاء ؟
- ده مش محسن ! قالها الطبيب علاء بثقة شديدة؛ فصدم الجميع وأولهم محسن، فقال حسام منفعلًا :
- نعم !!!
ظل دكتور علاء فى هدوئه، وقال .
- أيوه أنا متأكد من كلامي دا مش محسن !
- بردو هتقولي مش محسن ، مش محسن إزاي ؟ ماهي نفس الهدوم اللي لابسها، والحارس قال إنه شافه بعينه، ومعانا الدليل اهو بردو مُصر تنكر إنه هو؟!
ابتسم علاء، وقال مؤكدًا :
- أنا متأكد من اللي بقوله ده مش محسن. حسام باشا، محسن عنده انفصام حاد في الشخصية، يعني ده مش محسن ده شخصية تانية جواه شخصية متعطشة للدم والانتقام، وهي شخصية أقوى بتسيطر على محسن لدرجة إنه ميعرفش أصلًا بوجودها، يعني

محسن مش هو القاتل ، محسن جواه اتنين ، ممكن يكون قدامك بجسمه آه ، لكن شخصية لا دي مش شخصية محسن اللي قاعد قدامك دلوقتي دا واحد تانى ، محسن محتاج يتعالج .

كانت الصدمة شديدة على محسن فسقط أرضًا مستندًا بظهره على الجدار، نظر إلى نقطة واهية في الهواء يتردد كلام علاء في أذنه؛ فرفع يديه ونظر إليهما وقال ببهوت :

- يعني أنا السبب ؟! أنا اللي قتلت ! أنا اللي إيديا اتلوثت بالدم !! أنا أنا اللي قتلت ندى ومروة، وادتهم سم بإيدي، و كمان شرحتهم ودمرت قلوبهم بإيدي أنا أنا !؟أنااااااا !!

ظل محسن يضرب يديه على رأسه وفي الجدار بقوة وعنف وهو يصرخ بقوة وعنف، وكأنه يعاقبهما على كل ما بدر منهما. أراد الطبيب علاء تهدئته، وطلب من هشام و الحارس مساعدته؛ وبالفعل تدخلا كي يثبتاه، ولكن كان دافع محسن قويًا أكسبه قوة ليدفعهم بعيدًا، وبحركة مباغتة سحب سلاح هشام من جانبه، ودفعهم بعيدًا عنه، ووقف في زاوية المكتب بجوار الباب مباشرة فصدم الجميع.

نظر محسن للسلاح الذي بين يديه، ثم نظر لنظرات الهلع التي ظهرت على قسمات الجميع فجأة؛ فابتسم، وتحولت ابتسامته بالتدريج لضحكة قوية ثم ضحكة أكثر قوة زرعت الرعب في قلوب الجميع، وبالأخص هشام. هدأت نوبة الضحك التي

أصابت محسن، وبدت نظراته متحدية. كان شخص آخر لا يعلمه الجميع، ثم تحولت لنظرات مبهمة غامضة لا يفهم أحد على ما تدل سوى دكتور علاء الذي قرأها بعناية فحاول الاقتراب؛ فصوب محسن السلاح تجاهه وشد جزءه العلوي على الفور؛ فرفع علاء يديه عاليًا وقال :

- إهدى يا محسن ! أنا مفيش بيني وبينك أي عداوة أنا هنا علشان أساعدك.

نظر له محسن وقال باستنكار :

- ما أنت لسه قايل بلسانك ! أنا مش محسن.

اقترب محترسًا أكثر قائلًا :

- طيب أنت مين؟ عرفنا بنفسك.

- لو قربت خطوة كمان أنا مش مسئول عن اللي هيحصلك يا دكتور . و مش لازم تعرف أنا مين، أنا مسخ ، أنا قاتل ، انا مجرم.

صب الطبيب كامل تركيزه على ردات فعل محسن وقال :

- طيب إيه اللي يرضيك وانا أعمله ؟!

نظر له محسن، ونظر حوله ثم بهتت نظراته وشعر بالهوان قائلًا:

- ساعدني !

قالها محسن، ثم وجه المسدس إلى رأسه فركض علاء تجاهه، و صدح صوت إطلاق ناري هز أرجاء المكان . . .

***

شعرت صافي بالإنهاك من العمل يضرب رأسها ؛فخلعت نظارتها الطبية، ونظرت لهاتفها، ترددت ولكنها حسمت أمرها والتقطته و اتصلت بالمحامي؛ لتطمئن على محسن .

أخبرها بما حدث بعد رحيلها، وأثناء الحديث سمعت صوت إطلاق النار فقبض قلبها وتساءلت بلهفة :

- إيه صوت ضرب النار ده فيه إيه ؟!

- الصوت جاي من مكتب حسام باشا يا دكتورة.

صرخت صافي باسم » محسن » وأخذت الهاتف، وركضت بسرعة خارج مكتبها، وقلبها مخلوع أن يكون قد أصابه شيء أو مكروه ...

***

فتح العسكري الباب بقوة ليجد محسنًا ملقى أرضًا، وعلاء يقيد حركته ويحاول نزع السلاح من يده والجميع يقف، وكأن على رؤوسهم الطير من الصدمة ، استفاق هشام أولهم ثم ركض و انتزع السلاح من يد محسن الذي يصرخ بقوة فيهم أن يتركوه ينتقم من القاتل الحقيقي، وأن يقتل نفسه و ينتقم للفتاتين اللتين قُتلتا.

أمر حسام بتقييده جيدًا والعودة به إلى السجن . أخذ العسكري محسن المقيد جيدًا، ثم وضعه في السجن وخرج مغلقًا الباب من خلفه، فوقف محسن في منتصف السجن أمام النافذة الحديدية

التي تعكس على وجهه الضوء الخارجي للشارع فأظهرت ابتسامة خبيثة رُسمت باحتراف على وجهه المظلم من أثر العتمة !!

***

جلس الجميع في المكتب هشام وحسام وعلاء صامتين ينظرون لبعضهم في توتر، فقال حسام أخيرًا كاسرًا حاجز الملل :

- حقيقي المرض النفسي ده مهلك ! كده القضية خلصت يا شباب محسن مريض انفصام وأكيد هيتحول للمستشفى و هيقضي فيها حياته وخلاص.

نظر له علاء وقال بصورة مفاجئة ألجمت كل من حسام وهشام :

- محسن مش مريض انفصام؛ أنا شخصت الحالة غلط يا بشوات

نظر كل من حسام وهشام لبعضهم، ثم لعلاء فقال هشام بغضب:

- يعني إيه ؟! احنا هنلعب بقى ؟! واضح جدًّا إنه مريض انفصام؛ اللي كان واقف قدامي ده مش محسن اللي أنا أعرفه ده واحد تاني ودي أعراض الانفصام أنا قرأت عنه قبل كده.

ابتسم علاء في سخرية من حديث حسام المقلل من شأنه وقال :

- قرأت عنه ! لا كتر خيرك ، يا باشا اللي أنت بتقولي قرأت عنه أنا قعدت سنين أدرسه في الكلية، و قابلته في حياتي كتير، وعارف أنا بقولك إيه اسمع مني ، وبعدين أنا ما أنكرتش إن دي أعراض الانفصام أنا عارف إنها هي.

- طيب فهمني ليه قولت كده ، ويعني إيه دي أعراض الانفصام وهو معندوش انفصام . . تساءل حسام باهتمام.
نظر علاء لحسام وقال بتركيز شديد :
- محسن عنده أعراض الانفصام لكن معندوش انفصام في الشخصية، مريض الفصام لما بيكون جواه شخصيتين كل شخصية بتبقى عارفة نفسها كويس و مش مجهولة ، فا بتبقى عايزة تظهر نفسها وتسيطر وتكون هي الأقوى ، حالة محسن مختلفة .
- إزاى ؟!
- لو اللي كان بيتكلم ده شخص تاني جواه وأقوى من محسن ومسيطر فعلًا كان عرف عن نفسه لما سألته انت مين ؟ لأنه كان هيحب جدًّا إنه يظهر ويدفن شخصية محسن ويلغيها، لكن هو معملش كده أو على الأقل محاولش يغلط في محسن، أو يهمشه، أو حتى يبقى حاجة خارقة فا بالتالى مافيش فصام، كل الحكاية إن محسن بيعاني من الاضطراب النفسي نتيجة ضغوطات أخيرة حصلت معاه، وأعراض طفيفة لانفصام كان معرض ليه في الفترة الجاية، وأعراضه بادئة مبكرة.
نظر حسام لدكتور علاء وتساءل :
- انت كده تقصد إن . . . .
- القاتل الحقيقي حي طليق، وهو مش محسن . . قالها الطبيب علاء بتمهل وتأكيد شديد . . . . .

دق الهاتف الأرضي الخاص بمكتب حسام؛ ففزع كل من حسام وهشام اللذين كانا منتبهيْن لكلام دكتور علاء دون غيره؛ فزفر حسام بتمهل وقال :

- يخربيت كده

رفع حسام سماعة الهاتف وأجاب، ثم أخذ قلمه ودفتره وأخذ يسجل فى توتر :

- بلاغ من سيدة حد بيحاول يقتلها، العنوان شارع السلام العمارة رقم ٦٠ الدور الثاني الآنسة لميس الـــ . . . . .

فغر حسام فمه ونظر لهشام المفجوع أمامه! فقفز من أعلى مكتبه يصرخ قائلًا :

- فين محسن !

ركض حسام بنفسه للأسفل حيث الزنزانة وهو يصرخ في العسكري؛ كي يفتح له الباب على الفور، ففتح الباب وجاب بعينيه السجن مسحًا، فلم تلتقط عيناه محسن بين الجميع فصرخ حسام حتى بدت نواجذه :

- محسسسسسسن !!

خرج محسن من الحمام و قال بضعف :

- نعم !

التفت حسام ونظر له فجحظت عيناه عن آخرهما، وسقط فمه من هول المفاجأة .

***

كانت تختبئ أسفل طاولة المطبخ التي أغلقت بابه بصورة محكمة، وهي تدعو الله أن ينجيها من ذلك الدخيل.

ارتعشت لميس وهي تسمع زجاج باب المطبخ يتهشم ويسقط أرضًا أمام عينيها، ثم دقائق وفتح باب المطبخ محدثًا جلبة كبيرة من أثر خربشات الزجاج على الأرض. نظرت لذلك الحذاء الكبير الذي اقتحم المطبخ؛ فأخذت ترتعش و تدعو الله ألا يجدها، كان وقع أقدامه تثير نبضات قلبها فتزيدها . ظل يجوب أرجاء المطبخ يفتش في كل مكان محدثًا جلبة شديدة، ثم ركل الطاولة بقدمه بشدة فاهتزت بقوة فوضعت لميس يديها الاثنتين على فمها لتمنع نفسها من الصراخ وصمتت، وظلت تترقب القدمين وهما يخرجان خارج المطبخ .

تنفست الصعداء، وأنزلت يدها لحيث قلبها، وكأنها تهدئ من روعه ، حركت عنقها يمينًا لتنظر إلى الباب، فتصادمت نظراتها بتلك النظرات التي تتأملها عن قريب! نظرات شبقة منتصرة متعطشة؛ فسلبت لميس روحها من الفزع. كانت العينان قريبتين جدًّا؛ فعرفتهما لميس على الفور ! تعرفت على صاحبهما، ولكن لن ينفعها ذلك بشيء.

ابتسمت العينان، وشعرت لميس بيدين تقبضان على قدمها وتسحبها من أسفل الطاولة فصرخت لميس بقوة مدوية قبل أن

يوضع داخل فمها قطعة كبيرة من الصوف المبلل ليكتم صوتها تمامًا. حركها لتصبح على ظهرها، وابتسم لها بشبق مجنون، ثم لكمها لكمة قوية ، وأكمل فى سحبها حتى وضعها على أحد الكراسي داخل المطبخ، وقيدها بأحكام.
أخرج من جيبه مسمارًا ضخمًا ومطرقة، وثبته في كف يدها، ورفع المطرقة وهوى بها على يدها؛ فدخل إلى منتصف يدها لتطلق صرخة مكتومة لو حررها لأسمعت حدود البلاد؛ فزفر في ضيق، وألقى بالمطرقة بعيدًا، وكأنه عدل عن تلك الفكرة، ثم أخرج من جيبه الخلفي حقنة كبيرة ممتلئة بسائل ما فجحظت لميس بعينيها، وهو يتحسس بأصابعه عنقها، وأخذت تتلوى برأسها كثيراً حتى زمجر بغضب وهو يرفع المطرقة لأعلى رأسها؛ فجحظت هي بخوف شديد أن يهشم رأسها بالمطرقة و ثبتتها في مكانها .
ألقى بالمطرقة مرة أخرى، وربت على وجهها كإنها إحدى ثمار البطيخ الصيفية، ثم عاد ليتحسس عنقها، وبكامل قوته حقن السائل في عنقها بمنتهى البطء الذي قد يشعر به أحدهم. كان يحاصر أوصالها بجسده حتى خارت قواها، وبدأت في الذبول .
أمسك بالحقنة ووضعها بجيبه مرة أخرى، وأخرج نصلًا حادًّا، وبدأ بتشريح يديها وقدميها وجسدها بطرفها المدبب؛ ليصبح جسمها داميًا، وتئن باكية متألمة لكل جرح يسببه النصل في جسدها تمنت لو أنه يقتلها أو يحرقها حتى لا تشعر بهذا الكم

من الألم . .
لم يتمهل عليها، وكأنه قرر أخيرًا أن يرحمها أخرج سلاحه المميز والذي لمع أمام عينيها، ثم بسرعه رهيبة كان السلاح يشق صدرها شقًّا طوليًّا، ويده تمتد إلى تجويفها الصدري لتقتلع قلبها من مكانه ، نظر لها نظرة انتقام شبقة كانت آخر ما رأته قبل أن تغلق عينيها للأبد . كان بقلبها آخر دقّتين: دقت الأولى، وسبقت المطرقة الدقة الثانية؛ ليصبح قلب لميس حطامًا لا ترى أصغر قطعة به من أثر تدميره؛ فتناثرت أجزاؤه في المطبخ بصورة مقززة. دوت أصوات سيارات الشرطة، وبدت قريبة جدًّا، فوقف ونظر لها نظرة أخيرة، وخرج من المنزل واختفى عن الأنظار، وكأنه لم يكن . . .
وصل حسام إلى باب الشقة فوجده مكسورًا؛ فدفعه مشهرًا سلاحه وتحرك للداخل ليجد الهدوء يعم المكان؛ فشعر أن القاتل مازال موجودًا، فأشار لمن معه بالدخول فدخلوا، وتم التوزيع داخل المكان بشكل كامل ، اقتحم حسام الغرفة وبدأ في مسحها، فلم يجد أحدًا حتى سمع أحدهم يناديه ، ذهب له حسام فأشار الأول إلى الباب المحطم الذي يقبع خلفه، فدفعه حسام جانبًا وقفز إلى داخل المطبخ؛ لتفجع عيناه من ذلك المنظر الذي رآه وتراجع خطوتين إلى الخلف، وهو ينظر إلى الباب الخلفي المفتوح؛ فوضع يديه أعلى رأسه، وصرخ بقوة من الغضب لأنه وللمرة الثالثة هو

متأخر خطوة عن ذلك المجهول .
» قُتل الفستان الثالث والقاتل المجهول حر طليق » كان ذلك هو العنوان الرئيسي لكافة الصحف في اليوم الثاني لمقتل لميس، والذي أصبح حديث الناس والصحافة والتلفزيون . . . . .

******

الفصل الحادي عشر

كان محسن يجلس في مكتب حسام مكبلة يديه بإحكام، ويجلس على ظله عسكريان يقيدان حركته وهو لا يفهم شيئًا مما يحدث.
دخل حسام المكتب وهو غاضب، ويزمجر في سخط. جلس على المكتب ومسح على وجهه بضيق، ثم التفت ونظر ليجد محسنًا يجلس في مكتبه، وبدون تفكير انقض عليه غاضبًا يكيل إليه الضربات والركلات وهو يقول صارخًا :
- انت بتعمل كده ليه انت مجنون !! إزاي قتلت وانت موجود هنا رد عليا؟!

بكى محسن من الألم، وأخذ فمه ينزف الدماء وأنفه كذلك، وهو يحاول أن يمسك يد حسام ليدافع عن نفسه، ولكنه لم يستطع.
أصبح حسام كالثور الهائج لا يوقفه شيء ، دخل هشام وصدم من حالة حسام الثائرة؛ فأمسك به بإحكام وأبعده عن محسن بصعوبة استغلت صافي انشغال العسكري، وانطلقت لتقتحم

المكتب وصدمت من حالة محسن الدامية، وحسام الثائر فركضت وجثت بجوار محسن حاولت أن تطمئن عليه، ولكنها وجدته فاقد الوعي فصرخت فيهم أن يتم تحويله للمشفى في أقصى سرعة، وبالفعل تم تحويل محسن على الفور إلى المشفى تحت حراسة مشددة، وذهبت معه صافي.

اطمأنت صافي على محسن، ثم جلست مع المحامي

وحاولت أن تستشف منه وضع محسن قائلة :

- دلوقتي أنا حابة أعرف محسن وضعه إيه ؟!

ابتسم المحامي وقال بهدوء وحنكة :

- ما تقلقيش محسن دلوقتي وضعه أحسن من رائع، كمان لإن القضية التالتة تمت وهو بين إيدين الشرطة، ومحدش عارف مين الجاني، وبما إن ال ٣ ماتوا بنفس الطريقة معنى كده إن القاتل واحد؛ واللي هو أكيد مش محسن.

نظرت صافي أرضًا بحزن وقالت :

- بس ده ما يمنعش إن محسن عنده انفصام، وده كان واضح أوي وقت التشخيص حتى علاء شخصه كده، بس محسن ذكي أوي وفاهم الانفصام كويس وعارف هو بيعمل إيه !

- في الحالة دي يبقى لازم يرجع المستشفى، ويفضل فيها لحد ما يكون بخير علشان ما يأذيش نفسه؛ لأنه فاهم إنه هو السبب في موت ال٣ ستات دول.

صدمت صافي وقالت :
- وبكده محسن معرض جدًّا لفكرة الانتحار، أو إنه يأذي نفسه؛ عندك حق هو فعلًا محتاج يرجع المستشفى تاني.

***

أنهى المحامي إجراءات براءة محسن، وحصل عليها وحسام غير مقتنع بتلك البراءة، ولكن الأدلة لا تدينه والجريمة الأخيرة أزالت عنه جميع أصابع الاتهام؛ وتم إغلاق القضية كمقيدة ضد مجهول . أخرجت صافي محسن من قسم الشرطة على ضمانتها، وعادت به إلى مشفى الأمراض العقلية. . قضى محسن أيام عدة لا يخرج من غرفته أصبح يعاني من الاكتئاب الحاد والانطواء، كان كافة المرضى والأطباء يزورونه ويجلسون بجواره يحدثونه لكنه لا يستمع لأي من حديثهم .
كان يرى ندى وأول لقاء لهم ، مروة وجنونها وغيرتها لميس وضحكتها المميزة ، وإن خدعوه فهو أحبهم يومًا لم يكن يستحقون تلك النهاية البشعة ومن يديه هو و إن كان لا يدري كيف يتم الأمر، ولكنه هو الفاعل هذا ما أخبروا به ، كانت الوعكة التي يشعر بها كل يوم حينما يستيقظ هي ما أكدت حديثهم ، كان دائمًا ينظر ليديه فيجدها ملطخة بالدماء؛ فيهلع ويركض كي يغسلها لتؤكد له صافي أنها نظيفة ليس بها شيء.

فينظر لها نظرة المهزوم المنكسر فتبكي متألمة على حاله، وقررت أن تجعله يخرج من تلك الحالة بأي طريقة كانت؛ فأحضرت له أوراق القضية وأثبتت له براءته وأخفت عنه أن لديه انفصام في الشخصية

- بس دكتور علاء أكد إني عندي انفصام يعني بقتل من غير ما اعرف

تأففت صافي من ذكره لاسم ذلك الدكتور الجشع وقالت غاضبة :

- علاء ده كلب فلوس ممكن علشان يرضي حسام باشا قال كده؛ علشان يقبض أكتر أو ليه مصلحة، أو يمكن القاتل الحقيقي مقبضه علشان يلبسك أنت القضية مين عارف؟!

- لما قال إني أنا القاتل موتني يا صافي قتلني بدم بارد . نظر لها بأعين دامعة وأردف: حسيت وقتها إني ما استحقش أعيش إحساس إنك قاتل إحساس وحش أوي.

مسحت صافي الدموع العالقة في أهدابه وقالت بابتسامتها المتألمة:

- قطع لسان اللي يقول عنك كده يا محسن، أنت في طيبتك أنا ما شوفتش صدقني ، اللي زيك صعب يقتل أو يجرح حيوان، ومش شرط علشان التلاتة ماتوا يبقي ليهم علاقة بيك، ما أنا سمعت إن فيه ٣ بنات ماتوا اليومين اللي ماتوا خلاص نقول إن انت اللي موتهم كمان ؟! يا محسن فوق لنفسك وارجع عيش حياتك، واستقر وشوف حياتك العملية، واعمل لنفسك مستقبل؛ انت

لسه صغير مش عجوز علشان تدفن نفسك بين حيطان مصحة زي دي.

نظر محسن في عينيها يحاول أن يستمد أي مصدر للضوء منها؛ فأمدته بجيوش من الأمل والضوء؛ فابتسم بهدوء وهز رأسه موافقًا فسعدت صافي كثيرًا لموافقة محسن، ومن تلك اللحظة بدأت حالة محسن تتحسن تدريجيًّا وإن كانت أبطأ تلك المرة، لكنه عاد يزور المرضى و يساعدهم ويساعد الأطباء على القيام بمهامهم في علاج مرضاهم، وأصبح يقضي معظم وقته مع المرضى سوى ذلك المريض في الغرفة مائة وثلاثين التابع للدكتور سيد ، كان لا يقترب أحد من تلك الغرفة ولا أحد يعلم السبب، ولكن يقال فقط إنه خطر على المرضى لذلك هو محتجز ، كان محسن يحاول استراق النظر أثناء دخول الدكتور سيد، ولكنه لم يستطع رؤية شيء سوى قدمين فتاة نائمة على الفراش في ثبات . . .

***

انتهى محسن من صلاة الظهر، ثم مر على صافي في المكتب والذي ما إن رأته لمعت عيناها؛ دائمًا ما تحب أن تراه وترى ابتسامته كان قلبها يدق بسرعة ما إن تراه، وكأنه يحمل كافة سعادة العالم بين يديه، وهو يدلف إليها كل يوم . أصبح صعبًا عليها أن يمر يوم دون أن تراه ما إن تصل، وقبل أن ترحل بجانب بقائه في الجوار

وفي عونها طوال اليوم.
- مساء الخير يا صافي عاملة إيه النهاردة ؟!
اتسعت ابتسامة صافي وقالت بهدوء :
- قبل ما أشوفك ولا بعد ما شوفتك.
ضحك محسن وقال بمزاح :
- قديمة أوي
ضحكت صافي بقوة وقالت :
- تصدق انت فصيل ورخم
ضحك محسن بـ نبرته المميزة لصافي فقالت بود :
- تدوملي ضحكتك دايمًا ايه يابني مش هترجع الشغل، ولا عجبتك القاعدة في المستشفى.
- ده على أساس إن الشغل مستنيني يعني ما زمانهم جابوا حد مكاني . . قالها محسن بحزن
ابتسمت صافي :
- لا يا سيدي مكانك في الشغل لسه موجود، وهم مستنيينك المدير بيقول إن وشك حلو على الشغل،وإنه مستنيك ترجع الشغل تاني.
سعد محسن كثيرًا وتساءل باهتمام :
- يعني أقدر أرجع الصبح الشغل ؟!
- بالظبط كده تقدر الصبح ترجع الشغل، و تواصل وبنفس

المرتب ونفس المواعيد وكل حاجة
- شكرًا يا صافي بجد ، لو فضلت أشكرك من هنا لسنين قدام مش هوفيكي حقك عليا؛ انتي عملتي اللي محدش عمله.
نظرت لمحسن من جوار عينيه وقالت بمزاح :
- اااه بدأنا بقى في هوفيكي حقك وهنقضيها دراما و عياط ومسلسلات هندي يلا يابني شوف وراك إيه طريقك أخضر.
ضحك محسن وخرج من مكتبها وفي طريقه إلى الحديقة الأمامية رأى الدكتور سيد وهو يخرج من الغرفة ١٣٠ فألقى نظرة أخرى للداخل فرأى فتاة تجلس شعرها يغطي وجهها تبدو في عالم آخر؛ فركض محسن، ولحق بالدكتور سيد
- دكتور سيد ممكن أسألك سؤال
ابتسم سيد وقال :
- اسأل يا محسن خير ؟
نظر محسن للخلف وتساءل :
- هي الحالة ١٣٠ بنت حد مهم في الدولة؟!
- وانت عرفت منين إنها بنت؟!. تساءل سيد بتعجب
قال محسن مبررًا :
- شوفتها قاعدة وحضرتك بتقفل الباب.
- لا يا محسن هي بس عندها انهيار عصبي و بتحاول تنتحر مع أي حاجة حادة تشوفها؛ علشان كده محبوسة الحالة دي

أرهقتني أوي أصلًا بفكر ألبسها لدكتور تاني دي ميئوس منها.
تفهم محسن الوضع ثم قال باهتمام :
- حاول تخرجها؛ لإن الانهيار العصبي محتاج تغيير جو، وبإذن الله ربنا يشفيها
ودعه محسن، وعاد لغرفته قام بتمارينه اليومية، وقضى يومه مع المرضى ونام مبكرًا .

***

في الصباح استيقظ محسن مبكرًا وخرج من المشفى، وعاد إلى منزله ارتدى ملابسه، ونزل متجهًا إلى عمله ، استقبله المدير بحفاوة وترحاب شديد، وبدأ في مداومة عمله، ثم في منتصفه تذكر شيئًا » ملك » أين هي ؟! لا يراها في الجوار منذ أتى؛ فتنبأ أنها ربما تكون غائبة في هذا اليوم، فأكمل عمله في همة ونشاط، وكان المدير يتابع عمله الدؤوب بشغف حتى تيقن كم أن محسن يحب العمل و يتفانى فيه
انتهى اليوم فأنهى محسن عمله، وذهب للمدير ليسلم عهدته قبل الذهاب فقال المدير في حماس :
- أنا مبسوط من شغلك أوي يا محسن برافو عليك.
ابتسم محسن و عيناه تبحث بفضول ،ثم أنهى فضوله متسائلًا :
- هي أستاذة ملك مجتش النهارده ؟!

تعجب المدير سؤاله، ولكنه أجابه بهدوء :
- لا أستاذة ملك سابت الشغل خالص بقالها فترة من غير سبب.
حزن محسن من أجلها كانت تبدو عليها فتاة طموحة وجيدة؛ فتساءل محسن بهدوء :
- ممكن تديني عنوانها، و أنا هطمن عليها
بلا تردد أعطاه له المدير؛ فشكره محسن وخرج من المطعم لم يكن يعلم لِمَ ساقته قدماه إلى عنوانها ليطمئن عليها مهملًا نتائج توبيخها له إن ذهب إليها؟ هو فقط أراد الاطمئنان عليها .
وصل إلى العنوان وصعد المنزل، دق باب منزلها مرة تلو الأخرى حتى فتحت له فتاة ترتدي ملابسًا سوداء بملامح هادئة تشبه ملك كثيرًا :
- أفندم حضرتك عاوز مين ؟!
ابتسم محسن وقال بود :
- ممكن أقابل ملك، قوليلها محسن زميلها في الشغل.
ترقرقت الدموع في عين الفتاة لدى ذكر اسم اختها الصغيرة، وقالت وهي تبكي :
- البقاء لله، ملك أختي تعيش انت.
اقشعر بدن محسن، وشعر أن ملايين الحشرات تسري داخل جلده من الصدمة ، كان يشعر أن شيئًا أصابها ولكن » موت ! » ، لم يضف محسن الكثير؛ فقدم واجب العزاء لوالدها الذي بدا

صلبًا، وكأن شيئًا لم يحدث، ولكن والدتها على النقيض تمامًا كانت طريحة الفراش تبكي ودموعها لا تجف، وكذلك إخوتها الصغار، بعد قليل قرر محسن الرحيل قضى الطريق يتذكر تلك اللحظة التي رآها تبكي فيها وكم كانت لطيفة حينما ابتسمت! لو يعلم أنها آخر مرة يراها بها لقضى معها وقت أكبر .

وجد محسن نفسه أمام المشفى؛ فدخل بهدوء واتجه إلى مكتب صافي والتي سعدت كثيرًا لرؤيته، ولكنها قرأت الحزن في عينيه؛ فانقبض قلبها و تساءلت باهتمام :

- مالك يا محسن فيه حاجة حصلت أو حد ضايقك بالكلام ؟!

- ملك ماتت . قالها محسن بحزن

لم تفهم صافي و تساءلت باهتمام :

- ملك مين ؟! وماتت إزاي و انت إيه علاقتك بيها !! انت كنت تعرف واحدة اسمها ملك، وأنا معرفش ؟!

نظر لها محسن بتعجب وقال :

- لا طبعًا ملك دي كانت زميلتي في الشغل، وكانت بنت كويسة جدًّا روحت الشغل ملقتهاش فكرتها غايبة بس، ولكن المدير قالي إنها انقطعت عن العمل، ولما روحتلها أطمن عليها، قالولي إنها اتوفت.

حزنت صافي من أجل الفتاة وقالت :

- ربنا يرحمها أكيد حادثة ولا حاجة أو كانت مريضة، خلاص أنا

وانت نطلع لها صدقة على روحها، ونبقى عملنا لها حاجة حلوة.
ابتسم محسن لتلك المشاعر النبيلة من صافي، وشكرها ثم خرج من عند صافي كانت غرفة ١٣٠ مفتوحة، ويخرج منها بعض الممرضات؛ فحاول أن ينظر أو يختلس بعض النظرات للفتاة التى بداخلها قبل أن تتسمر قدماه ويتحول ظهره لقطعة من الجليد من أثر الصدمة!
كان الدكتور سيد يخرج من الغرفة يدفع بكرسي متحرك أسود تجلس عليه فتاة مقيدة كل من ذراعيها وساقيها في الكرسي بشكل قاسي؛ فغر فم محسن عندما شاهدها ولم ينبس ببنت شفة من الذهول ، لم تكن تلك الفتاة سوى » ملك»! . . شعر محسن بالفزع كيف تكون ماتت وهو يراها أمام عينيه؟! وإن كانت تبدو كجثة لا إشارة للحياة فيها، و لكن صدرها كان يعلو ويهبط برتابة؛ شعر محسن أنه يحلم، ولكن يد دكتور سيد وهي تربت على كتفه أفاقته، وهو يقول بصوت مرتفع :
- أخدت بنصيحتك اهو يا محسن، و هطلعها الجنينة شوية عااااش.
في تلك اللحظة أيقن محسن أن ملك بجواره؛ فنظر لها ونزل إلى مستواها، ونظر لها كانت في عالم آخر غائبة عن الواقع رغم أنها واعية لما يحدث ناداها بهدوء :
- أستاذة ملك !

- ما تحاولش يا محسن مهما ناديناها ما بتردش على حد، ولا بتعبر حد و . . . . .
ألجم الدكتور سيد حديثه؛ حينما ناداها محسن مرة أخرى فاستجابت ملك ببطء شديد،و حركت عنقها ورفعت رأسها تجاه محسن ببطء أشد؛ فابتسم لها وظلت تنظر له لوهلة، ثم أنزلت عنقها من جديد . نظر محسن للدكتور سيد المصدوم وقال بسعادة :
- استجابت يا دكتور هتتحسن والله.
أرادت ملك أن تتحرر من الكرسي فزمجرت وحاولت فك يدها؛ فعنفها الدكتور سيد وأعادها إلى الغرفة سريعًا حاول محسن منعه، ولكنه ضج بصوته أن لا شأن له و أن يبتعد . نظر محسن لها فنظرت له نظرة شطرت قلبه اثنين؛ كانت تطلب المساعدة والرحمة و تستنجده؛ فعاد محسن راكضًا تجاه مكتب صافي.
فتح الباب دون أن يطرقه فانزعجت صافي، ولكن ما إن رأت أنه محسن تعجبت وتساءلت بلهفة :
- مالك يا محسن فيه إيه ؟!
- ملك يا صافي ملك !
- الله يرحمها
- لا يا صافي ملك عايشة، وموجودة هنا في المستشفى !
زفرت صافي بهدوء كانت تظن أن تلك التخيلات عادت لتراوده

من جديد، وهي تعلم أن الميت لا يعود فقالت :
- طيب اهدى يا محسن اهدى بس.
نظر محسن للخلف، وتذكر شيئًا، وتساءل بفضول شديد :
- هي الحالة ١٣٠ مالها ؟ إيه اللي جاب لها انهيار عصبي.
قالت صافي، وهي تعبث في بعض الأوراق وأجابت دون النظر إليه، ولكن ما زالت تنظر للأوراق :
- اغتصاب . . . .
للمرة الثالثة هذا اليوم يتلقى محسن صفعة في هيئة صدمة تلجمه، وتذهب بثباته و اتزانه؛ فسقط على الكرسي لا تقوى قدماه على حمله وتساءل بصدمة :
- ايه ؟! اغتصاب !
- اللي فهمته من كلام دكتور سيد إنها اتعرضت للاغتصاب، وإن باباها كان بيحاول يقتلها، ولما قطعت النفس أختها وخطيبها جابوها هنا، والمستشفى ادت الحالة لدكتور سيد . . قالتها صافي موضحة.
دمعت عينا محسن وقال بحزن :
- دلوقتي بس فهمت ليه قالوا إنها ماتت أبوها اعتبرها ماتت وأخد عزاها، حسبي الله ونعم الوكيل في مجتمع بيعاقب الضحية، والجاني حر وطليق مستمتع بحياته.
- أنا مش فاهمه أنت بتتكلم عن إيه ؟!

- حالة ١٣٠ هي ملك يا صافي.

صدمت صافي من حديث محسن؛ إذًا محسن لا يتخيل وملك موجودة بالفعل؛ فسعدت أنها مازالت حية، ولكنها لاحظت الحزن في عيني محسن فقالت بإيجابية :

- طيب خير يا محسن طلعت عايشة، وبكره تبقى أحسن وكويسة وتكمل حياتها ليه الزعل.

- مبحبش الظلم يا صافي هي اتعرضت لظلم كبير، واللي الدكتور سيد بيعمله معاها ظلم أعنف وأشد

نظر محسن لصافي، ثم وقف سريعًا واتجه إليها، ونزل على ركبتيه وقال :

- صافي أول طلب أطلبه منك، ليا الحق اطلب ؟!

- إيه اللي انت بتعمله ده يا محسن أقف على رجلك، انت عارف إن طلبك مجاب من غير ما تقول أو تعمل كده ، قول اللي نفسك فيه.

- اتكفلي انتي بحالة ملك و عالجيها انتِ ، انتِ عارفة طريقة دكتور سيد الصعبة والقاسية ، أرجوكي يا صافي ملك كده هتموت لو فضلت بالطريقة دي.

- حاضر يا محسن بس انت مهتم بحالتها ليه كده، انت قولتلي إنها مجرد زميلة ليك صح !

وقف محسن وقال بهدوء :

- هي طلبت مني المساعدة عينيها، و نظرتها كانت بتقول انجدني، صدقيني هي محتاجانا أوي
ابتسمت صافي وطرقت على كتف محسن وقالت :
- ونحن لها وبإذن الله ملك هتبقى زي الفل، و هنخليها أحسن من الأول كمان.
فرح محسن كثيرًا، واحتضن صافي بقوة من فرط سعادته، ثم انتبه لما فعل وابتعد متنحنحا واعتذر منها، وأخذ يعبث في شعره وخرج . ابتسمت صافي بحب، ولفت ذراعيها حول نفسها مكان يدي محسن، وأغمضت عينيها واتسعت ابتسامتها بسعادة .

***

سمع محسن أثر الدقات على غرفته ففتح عينيه وقام سريعًا وفتح الباب ليجد صافي تقف وعلى وجهها ابتسامة سعيدة فابتسم لابتسامتها؛ فجذبته من يده وقالت بهدوء :
- نموسيتك كحلي يا أفندي وقت الشغل بدأ يلا يلا.
- طب استني هـ . . . .
- لا طبعـًا حضرتك متأخر عن شغلك، أنا قررت أشغلك دكتور خلاص.
ضحك محسن، ولم يفهم ما تقصده، و ذهب معها حيث تقوده للحديقة الخارجية وما إن وصلا قريبًا من ذلك المقعد الذي

ضمهما في لقائهم الأول، حتى رأى ملك تجلس بمفردها هناك والنسيم يداعب شعرها فنظر لصافي بدهشه فقالت بهدوء :

- اقعد وأتكلم معاها، لو عرفت تخليها تتكلم هتبقى عملت حاجة كبيرة أوي في حالتها، وتقدم هيخليها تتحسن أسرع.

نظر محسن بامتنان لصافي فربتت على كتفه، ورحلت مبتسمة .

رتب محسن من هيئته، وشعره وذهب ليجلس بجوارها، وعلى وجهه ابتسامته المميزة وقال بهدوء :

- الجميل قاعد لوحده ليه ؟!

سمعت صوته فرفعت عينيها تجاهه فى بطء، ونظرت له وفي عينيها امتنان عظيم أنه تفهمها دون أن تتحدث، فقال محسن مازحًا :

- لو سمحتي ما تبصليش كده علشان بتكسف، وبخجل بسرعة.

ظهر شبح ابتسامة على وجه ملك، ثم عادت لتنظر في الأرض؛ فتضايق محسن قائلًا :

- إيه ده انتي بتسمعي كلامي بسرعة ليه كده، لا بقولك إيه مبحبش الناس اللي بتسمع الكلام، معلش لا مش قصدي إني محترم، لا لا قصدي أنا محترم، بس بحب قلة الأدب، لا قصدي إن الناس ما تسمعش الكلام، مش حاجة وحشة من اللي بتفكري فيها ، مش قصدي إنك بتفكري في حاجة عيب أو إنك محترمة لا أنا . . أنا بقول صلاة العصر وجبت.

هذه المرة ضحكت ملك ضحكة هادئة من قلبها؛ فرفرف قلب محسن بسعادة لضحكتها، ولكن سريعًا ما تلاشت سعادته حينما تحولت ضحكاتها لشهقات بكاء مرير، تركها تبكي حتى انتهت من بكائها، ثم نظرت له وقالت بلسان ثقيل :

- كان أصعب وقت في حياتي ، إنك تطلب الرحمة من حيوان ميعرفش يعني إيه إنسانية بيصرف على القرف اللي بيشربه أكتر من حياته لحد ما تخليه حيوان معندوش إحساس، كنت بستنجده يرحمني ويرحم ضعفي قدامه، بس كان فاقد السمع وحرمني من حقي في الحياة علشان غرائزه الحيوانية، ولما جريت اتحمي في حضن أمى أكتر حد أمان في حياتي لقيته بيمد إيده وبياخد اللي فاضل في حياتي ، حاولت أشوف أنا عملت إيه غلط ملقتش يا محسن- نظرت له بأعين دامعة -تفتكر أنا فعلًا غلطانة؟!

نظر لدموعها وشعر برغبة كاملة بداخله بمسحها بأصابعه عنها؛ فاقترب منها وقال بهدوء :

- لا أنتي مش غلطانة ولا حتى تمسي الغلط بحاجة انتي ملاك اتظلم في وسط مجتمع ميعرفش يعني إيه رحمة ، بس رب الرحمة موجود ، أنا بردو اتظلمت من الحياة وربنا اداني الدكتورة صافي رحمة تفوقني وتخليني أكمل حياتي مش مرة لا دي مرتين، رغم إني كنت منتهي وفاقد كل معاني الحياة، ولو على اللي ظلمك هتاخدي حقك من عينه وهجيبه، ولو على باباكي

فهو فصل وانتهى في حياتك خلاص، ابني حياة جديدة واستقلي وعيشي حياتك لنفسك يا ملك انتي تستحقي لنفسك وبنفسك.

نظرت له ملك كان في عينه إصرار غريب وأمل كبير يصدر عن عينيه لا تعلم ماذا تفعل لم تكن مخيرة إما أن تثق به، وتمسك بيده الممدودة أو أن تهلك بين جدران تلك المشفى، نظرت ليده الممدودة، ونظرت للمشفى أمامها دارت في بالها مقارنات سريعة حتى أغمضت عينيها، ومدت يدها وأمسكت بيد محسن؛ فرفرف قلبه بسعادة وأمسك بيدها، وقبلها بقوة ووقف وهو يقول بسعادة :

- من النهاردة هنفرح، وهتكون حياتنا كلها عبارة عن فرحة وأمل وخير ومحبة أوعدك إنك في أيام بسيطة هتبقي أحسن من الأول بس ثقي فيا يا ملك

- أنا كنت بمثل إني عايزة أعور نفسى عشان ميسبونيش لحزني و لتفكيرى ، عايزة دايمًا حد جنبى يدينى الأمان

- زي ما قلتلك ثقي فيا، وهتلاقى اللي عايزاه.

- واثقة فيك يا محسن . . قالتها ملك بابتسامة هادئة

ابتسم محسن، وصافي تقف بعيدًا تشاهد كافة ما يحدث بملامح ثابتة لا توحي بشيء، ما إن التفت محسن ورأته يبتسم حتى دب في قلبها الحياة، و ابتسمت لابتسامته؛ كل ما فعلته وتفعله فقط هو من أجل تلك الابتسامة، وتلك السعادة التي يعيشها الآن

كانت من أجله هو وفقط.

***

أصبح محسن وملك يقضيان كافة أوقاتهم سويًّا، كان يقف ويقوم بدور الطبيب، وهو يخبرها أنها اليوم أفضل من الأمس، يقلد دكاترة المشفى بسخرية لتضحك هي بقوة وسعادة؛ ليبتسم ويتابع تفاصيل ضحكتها بشغف. أصبحت هي مصدر سعادته الأول والرفيقة التي لا يتخيل أيامه بدونها. أصبحت ملك تتحسن تدريجيًّا، وتشعر بالفرح مع الوقت، وتتحسن حالتها النفسية، وتخرج إلى الأفضل، وعلاقتها بمحسن تقوى أكثر وأكثر.

دق باب حجرتها، ولكنها لم تجب؛ فأدخل رأسه من الباب وهو مغمض عينيه ويضحك، ثم نزعها لتختفي ضحكته تمامًا، ويدب الخوف في قلبه وهو يرى ملك تجلس على فراشها وتمسك بسكين وتفاحة في يدها الأخرى، ولكن السكين كان يقف في منتصف معصمها تمامًا، لا يعرف فيمًا تفكر؟! ود أن يركض وينزعه منها، ويأخذها في أحضانه ليحميها من نفسها، ولكن شيئًا ما دعاه أن ينتظر ليرى ماذا ستفعل؟

ظلت لوهلة واضعة السكين على معصمها، تدور في عقلها ملايين الأفكار تنظر للسكين التي تمسكها بيد مرتعشة ثم تنحت عن الفكرة، وقطعت التفاحة ووضعت قطعة في فمها وأخذت تلوكها؛ فتنفس محسن الصعداء أخيرًا ودبت فيه الحياة، ثم اقتحم عليها

الغرفة؛ ففزعت فخلع حذاءه، ونام على فراشها، وتدثر بغطائها واضعًا كلتا يديه أسفل رأسه، ونظر لها باستمتاع؛ فرفعت حاجبها وقالت :

- ده أسميه إيه ده بقى إن شاء الله.

- امممممم واحد عاوز ينام

- عندك أوضة حضرتك أظن.

ابتسم محسن وقال بمزاح :

- لالالا معلش أنا أحب أنام هنا وعلى السرير والمخدة اللي ريحتها حلوة دي .

- ياباااااي على الرخامة.

ضحك محسن، ونظر لها بحب وعيناه تلمعان وقال :

- شكلك حلو أوي النهاردة.

ابتسمت بخجل وقالت :

- ميرسي يا محسن.

- قوليلي يا محاميحو.

ضحكت ملك بقوة وهي تضع إصبعيها السبابة والوسطى على أنفها، كانت تتوج ملكة للرقة والجمال، ظل على وضعه يتابعها و يتأملها بحب . وما إن انتهت من ضحكتها حتى قال محسن بصورة مفاجئة :

- بحبك

فابتلعت ملك ضحكتها ونظرت لمحسن بصدمة حقيقية، فكرر محسن جملته مؤكدًا :

- بحبك أوي يا ملك قلبي وروحي وكياني ، أنا مبقتش أتخيل يومي من غيرك، ومن غير ضحكتك، لونتيلي حياتي و عرفتيني إيه هو الحب الحقيقي وإيه هو الحب أصلًا، علمتيني إزاي أحب علشان بس قلبي دق، مش حبيت علشان بتكمليني بحاجة نقصاني، كنتي انتي الحب اللي مستحيل يروح أو يتغير أو حتى ينتهي . بحبك

دمعت عينا ملك وقالت بحزن :

- بس أنا مش البنت اللي تتمناها يا محسن؛ أنا واحدة . . . . . .

- ششششششش أنا أكتر واحد عارفك، وقولتلك انتي ملاك اتظلم في مجتمع عايش غلط و مش مجرد عذرية هي اللي تخليني أحكم على أخلاقك و أدبك وتربيتك، انتي بنت أصل و طيبة ومحترمة يا ملك، وزي ما قولتلك أنا بحبك.

تحولت نظرات ملك الحزينة إلى ابتسامة خجولة أعطت محسن إجابته؛ فقام وأمسك بكلتا يديها وقبّل كفيها وقال بحب :

- هنتجوز ، أنا معنديش فلوس كافية أعملك الفرح اللي بتحلمي بيه، بس هلبسك فستانك و هنحتفل في مركب صغير على النيل، أو حتى هنا ونفرح كل صحابنا معانا، وتكوني ليا وحلالي، ونخرج وتيجي تنوري بيتي يا ست البنات.

انحنى محسن ليقبَّل يدها من جديد، فدخلت صافى ولكن تصلبت قدماها من الصدمة، وما أن رآها محسن حتى سحب ملك من يدها، وذهب إليها وقال بسعادة وفرحة :

- صافي صافي تعالي اعرفي انتي أول حد يعرف أنا وملك هنتجوز خلاص قررنا، وهنعمل فرحنا هنا.

اتسعت حدقتا صافي من الصدمة، و رمشت أكثر من مرة بدهشة، ثم استأذنت من ملك وأخذت محسنًا من يده وأدخلته مكتبها.

كانت السعادة تقفز من عينيه.

- أنت اتجننت يا محسن ؟!

- طبعًا امال قاعد في مستشفى المجانين بعمل إيه !؟ . . قالها محسن مازحًا

فنادته مرة أخرى محذرة كي يكف عن المزاح؛ فأجابها محسن :

- ما تقوليليش إنك هتفكري زي مجتمعنا العقيم اللي هيحكم عليها علشان واحد حيوان اغتصبها، أو كسر نفسها - إنها متنفعش، لا أنا هبنيها من جديد، أنا بحبها وعاوزها.

لم تستطع إضافة المزيد أمام هذا الكم من السعادة التي تراها في عيني محسن؛ فابتسمت أخيرًا وقالت :

- مبروك يا محسن ربنا يوفقك ويسعدك في حياتك.

ابتسم محسن، وانحنى وقبَّل يدها فأغمضت عينيها، و منعت تلك العبرة الحارة عن الهطول، ثم نظرت له وهو يقول :

- أنتي أكتر حد كان ليه فضل في حياتي ، انتي هتشهدي على عقد جوازي، يا صافي اوعديني تكوني جنبي في اليوم ده.
- أوعدك

ابتسم محسن ونظر لها بامتنان، ثم قفز خارجًا تجاه غرفه ملك ليبشرها أن صافي ستشهد على عقد زواجهما، وظلا طوال الليل يحلمان مع بعضهما بحياتهما القادمة .

***

علمت المشفى بأكملها عن علاقة الحب بين محسن و ملك وهنأه الجميع بشكل كبير، كان يقضي أوقاته بسعادة وهو يجهز لمنزل الزوجية الخاص بهما وتجهيزات الفرح وغيرها، وكانت صافي تدعمه ماديًّا. انشغل محسن كثيرًا، وأصبح لا يعود إلى المشفى إلا نادرًا حتى تلك الليلة المشئومة التي عاد فيها متأخرًا، ومر على ملك ليطمئن عليها وما إن دخل حتى وجدها تجلس، وتنظر له نظرات قاتلة فتساءل :
- مالك يا حبيبتي ؟!

نظرت له بحزن، ثم تركته وتدثرت في فراشها معلنة عدم رغبتها في الحديث؛ انقبض قلب محسن وجلس بجوارها، ومسح على شعرها قائلًا :
- حبيبتي !!

- محسن انت ليه سيبتني كل ده ؟! أنا نا كنت خايفة وانت بعيد عني كتير أوي، كنت بشوف حاجات وحشة وكوابيس ملهاش آخر يا محسن، ليه سيبتني؟

- حبيبتي كنت ببني بيتنا اللي هنعيش فيه علشان تكوني جنبي لآخر العمر.

نظرت خلف محسن بقلق، ثم قالت :

- ششش وطي صوتك هيسمعك.

- هو مين يا ملك ؟

- الدكتور سيد ! شششش وطي صوتك؛ ليجي يكتفنا كلنا ويكهربنا شششششش.

سقط قلب محسن أرضًا، ووقف متسائلًا :

- ملك أنا سايبك كويسة عملوا فيكي إيه يا ملك ؟!

ضحكت ملك بقوة، وقالت وكأنها لا تستمع له :

- مناخيره كبيييييرة

- ملك حبيبتي !! . . بكى محسن لا يصدق، يشعر أنه في كابوس، من فعل هذا بحبيبته؟!

ظلت ملك تضحك بقوة وتقول :- مناخيييره كبيييييرة ، الفييييل النونو

دخل الدكتور سيد، فأمسكه محسن من تلابيبه وصرخ فيه قائلًا :

- مين اللي عمل في ملك كده؟! أنا سايبها كويسة، انطق مين اللي

عمل فيها كده؟!
- محسن ملك طلعت بتضحك على الكل !! و مفهماك إنها عاقلة، وهي فقدت عقلها أصلًا من وقت ما اغتصبت.
- ملك كويسة أنا متأكد من اللي بقوله، و هجبلك صافي تشهد على كلامي و تأكد لك ده .
ربت سيد على كتفه وقال بهدوء :
- روح ارتاح يا محسن، انت بيتهيئلك حاجات كتير أوي ملك من يوم ما دخلت لها وقعدت معاها وهي كده ! حبيبتك إيه ؟! مش معنى إنها استجابت لك مرة و بصتلك بقت حبيبتك، فوق يا محسن !
صدم محسن من وقع تلك الكلمات على أذنه ! أكان كل ذلك من وحي خياله؟! أكان مريضًا ولم يشفى بعد ؟! من المريض ؟! من المريض فى تلك الحاله ؟! ماذا يحدث ؟! ماذا عن حبهما وتخطيطهما لكل شيء؟! لا يمكن أن يكون يهيأ له ذلك. تركه محسن وعاد لمكتب صافي، وتساءل بصدمة وهو ينظر لها :
- ملك ؟!
نظرت له صافي وقالت بإبتسامة :
- مالها ملك يا محسن إيه نامت ولا إيه ؟!
- هي مش ملك دي حبيبتي صح، وهنتجوز قريب؟ ! أنا مش بيتهيأ لي صح ؟!

ضحكت صافي بقوة، بل تهالكت من الضحك ، لم يهم محسن ضحكتها الساخرة، أرادها أن تنهي ضحكها؛ حتى تجيبه على سؤاله فانتهت صافي من نوبة الضحك التي أصابتها و قالت :

- أنت من كتر الفرحة مش مصدق نفسك ولا إيه يا عريس ، خلاص ياعم بكره كتب الكتاب وتبقى عريس رسمي .

- يعنى أنا مش بيتهيألي صح ؟

شعرت صافي بتوتر محسن؛ فأعطته كوب العصير البارد الخاص بها وتجرعه على مرة واحدة، وكرر سؤاله لها مرة أخرى، فكررت نفس إجابتها لتطمئنه

انفرج فم محسن بابتسامة سعيدة كان يعلم أنه لا يتهيأ الأمر، فترك محسن صافي، وركض تجاه غرفة ملك، فأوقفه أحد الممرضين وقال: » مبروك يا عريس » كانت الجملة الأسعد لمحسن والتي أكدت له صحة حديثه، ثم أكمل طريقه تجاه غرفة ملك فوجدها مغلقة حاول فتحها فلم يستطع، وما إن سمع صرخة ملك حتى ارتعدت فرائصه ، و وظل يضرب الباب حتى كسره فورًا؛ ليجد سيد يعتلي ملك ويحاول الاعتداء عليها مهددًا إياها بالصعق الكهربي إن لم تطاوعه؛ فجحظ محسن بعينيه بصدمة حقيقية.

كانت الصدمات المتوالية على محسن تكاد تذهب بعقله، ولكنه في هذه المرة جنَّ تمامًا؛ فانقض على سيد و أذاقه من العذاب ألوانًا وألوانًا حتى كاد أن يفقد حياته بين يديه؛ فتدخل جميع

من في المشفى للفصل بينهما. احتضنت صافي ملك؛ لتمنعها من رؤية ما يحدث. انتهى محسن من سيد، واقترب من حبيبته، وجلس عند قدميها وحاول أن يقترب منها؛ ففزعت فمنعته صافي وقالت بهدوء :

- روح نام يا محسن ما تقلقش أنا هفضل جنبها وههديها؛ هي مش هتقدر تشوف راجل قدامها دلوقتي، أرجوك روح.

أخذ محسن يترجى صافي كي تعتني بها جيدًا؛ فطمأنته، فعاد إلى غرفته توضأ وأخذ يصلي ويدعو أن يكشف الله له طريقه، ويشفي حبيبته، ويخبره بالطريق الصحيح، ويرحمه من تلك الصفعات المتتالية.

شعر محسن برغبة ملحة في النوم؛ فأغمض عينيه وما إن وضع رأسه على الوسادة لم يشعر بأي شيء مما يدور حوله

***

في الصباح الباكر سمع محسن طرقًا شديدًا على باب غرفته؛ ففزع وخشي أن يكون مكروه قد أصاب ملك؛ فهرول تجاة الباب وفتحه ليجد حسام باشا يقف أمامه بكبريائه المعهود؛ فظن محسن أنه هنا من أجل دكتور سيد فقال حسام بابتسامة واسعة :

- الدنيا صغيرة أوي يا محسن.

قال محسن بتهكم :

- خير يا حسام باشا فيه واحدة كمان ماتت بطريقة غريبة، ومش لاقيين حد تلبسوه القضية ؟!

- تؤ تؤ مش واحدة ده واحد !

لم يفهم محسن عن أي شيء يتحدث حسام ليقول :

- الدكتور علاء اتقتل يا محسن !!

صُدم محسن بشدة، وألجم لسانه، فقال حسام بنظرات اتهام صريحة :

- وأنت آخر واحد رقمك على تليفونه ومتصل بيه، وكمان كنت معاه امبارح. . . ومات بنفس نوع سم ال ٣ فساتين يا . . . . يا محسن !

******

الفصل الثاني عشر

» انتبه للكلمات التي تقال في منتصف الحديث هناك يقع طرف الخيط الذي أعياك البحث عنه »

شعر محسن أنه في كابوس لا يصدق ما سمعته أذناه للتو لِمَ يقتل الدكتور علاء ؟! هو بالفعل كان قد التقاه ليسأله عن حقيقة كونه لديه انفصام أم لا؛ ليطمئن على ملك وهي زوجته أنه لن يؤذيها ولكن لِمَ يقتله ؟!

أخذه حسام إلى القسم، وبدأ التحقيق في غرفة مغلقة لا تحوي سوى طاولة وكرسيين، وكان التحقيق طويلًا ومكثفًا أرهق محسن كثيرًا، عاود فيه حسام فتح قضية الثلاثة فساتين، ثم انتقل منهم لدكتور علاء.

قال محسن بإنهاك وتعب :

- يا حسام باشا والله العظيم كنت رايح علشان اطمن على نفسي علشان داخل على مرحلة جديدة في حياتي، دكتورة صافي كنت

حاسسها هتخاف تقولي الحقيقة لتجرحني، فكان ده كل قصدي ، إني أروحله وأتاكد إني بقيت كويس.

- وياترى قالك إيه دكتور علاء ؟!

- قالي إني سليم ١٠٠٪ مفيش فيا أي حاجة وإني متزن نفسيًّا جدًّا بس متلخبط شوية علشان داخل على مرحلة جديدة من حياتي وحب بجد، فهو قالي إنه ما اقلقش وإن كل حاجة هتكون كويسة ، يعني أنا سليم مفيش فيا حاجة.

طرق حسام على الطاولة غاضبًا؛ تلك القضية أرهقته كثيرًا ذلك ال »محسن « غامض بطريقة لا تجعله يمسك بطرف خيط واحد في هذة القضية، لا يعلم من الصادق ومن الجاني ومن المجني عليه وهل هم ضحايا أم هم مجرمون سابقون؟! هو أمام قضية كل أطرافها ضحايا إذًا فمن الجاني؟!

فكر حسام لدقائق وقال :

- محسن انت حد يعرف موضوعك مع ال ٣ فساتين قبلي حد قرأ الرواية بتاعتك دي ؟

نظر له محسن بتعجب وقال بتلقائية :

- الدكتورة صافي أنا حكتلها الرواية، أول واحدة و

. . . . .

- إيه علاقتك بالدكتورة صافي ؟!

استغرب محسن أسئلته عن صافي فأجابه :

- صداقة أكتر من إنه علاقة مريض ودكتور، صافي جدعة جدًّا وساعدتني كتير أوي.

قال محسن بتفكير :

- طيب ومفكرتش هي عملت كده ليه ؟!

- ما أنا قولتلك هي جدعة جدًا حتى ساعدت بردو بنت مريضة زيي وعالجتها و. . .

- سؤالي واضح يا محسن ! تفتكر صافي عملتلك كل ده ليه؟!

- بترمي لإيه يا حسام بيه ؟!

ضحك حسام، وقال وهو يقرب وجهه من محسن :

- بتحبك؟!

انزعج محسن كثيرًا من تلك الفكرة وقال:

- صافي أكبر مني بكتير أنا بعتبرها أختي الكبيرة أو أمي؛ طبعًا الفكرة دي غلط تمامًا، وهي كمان عارفة إني بحب واحدة وهنتجوز بكره، لا لا مش صح.

- وإيه يمنع الحب مالوش سن يا أخويا.

- يا باشا دي دكتورة وفى سن والدتي، وأنا قد عيالها ، هتبصلي إزاي؟! وهيا أكيد ليها حياتها.

لم يجد حسام ما يدين محسن فأطلق سراحه ولكن أرسل جواسيسه ليكونوا في أثره، ورآهم محسن، و ظل يدخل ويخرج من شوارع وأزقة وأماكن مختلفة وأضاعهم؛ هو لا يحب أن يتتبعه أحد.

اتجه محسن للمشفى، وحديث حسام يدور في عقله لا يعلم لمَ؟ ولكنه بطريقة ما ساورته الشكوك دخل المشفى وهو يشعر بشيء من الخوف لا يعلم مصدره توجه إلى غرفة ملك دق الباب أكثر من مرة، ولكنه لم يصله رد ففتح الباب بهدوء، ولكنه لم يجدها في الداخل؛ ففزع أن يكون وصلت يد الدكتور سيد لها مرة أخرى؛ فركض بين الغرف يبحث عنها حتى رأى الممرض محمود يقترب منه، فأمسكه محسن وتساءل :

- ما شوفتش ملك يا محمود ؟! الدكتور سيد فين؟!

- ما تقلقش يا محسن الدكتور سيد اتفصل من المستشفى، والمدير مدي الأمن كله إذن إنه ما يدخلش المستشفى تاني مهما حصل، أما ملك فالدكتورة صافي أمرت بنقلها الأوضة البحرية، علشان الأوضة دي بتتنضف ما تقلقش.

- طيب أنا هروح اطمن عليها ! . قالها محسن وهو يهم بالصعود للأعلى.

- لأ ! أصل الدكتورة ادتها مهدئ وأمرت محدش يدخلها لحد ما تيجي، وآه هي قالت لي تستناها في المكتب لأنها عاملالك مفاجأة، هي طلعت كشف بره وجاية.

نظر له محسن وحرك كتفيه في حركة لا إرادية، ثم دخل مكتب صافي وألقى بجسده على الأريكة، مر الوقت وشعر محسن بالضجر فأخرج هاتفه، واتصل على صافي لم تجب في المرة الأولى،

وفي المرة الثانية أجابت منذ أول ثانية ساد الصمت لدقائق كانت يقطعه صوت أنفاس صافي اللاهثة فتساءل محسن بهدوء :

- صافي ازيك إيه فينك؟! اتأخرتي ليه ؟

قالت صافي بهدوء :

- لا اتأخرت ولا حاجة، أنا لسه هبدأ الكشف اهو، معلش الحالة بعيدة شوية.

تعجب محسن وقال :

- انتي من امتى بتروحي كشف في البيوت يا صافي ؟!

- عادي يعني دي حالة إنسانية مش حاجة.

- طيب بس بالله عليكي ما تتأخريش علشان الوقت ما يسرقكيش، ولو عاوزاني أجيلك هجيلك.

- لأ لأ أنا هخلص وآجي على طول، أهم حاجة خليك في المكتب لحد ما ارجع علشان عاوزاك في موضوع مهم أوي، اوعى تمشي.

- حاضر بس . . . .

صدر صوت همهمات، ثم تلاه صوت مألوف بالنسبة له كثيرًا ، أخذ يتذكر أين سمعه من قبل ليرفع عينيه بعد أن أصدرت ساعته الخاصة صوت إتمام الساعة السادسة تمامًا عادت ذاكرته للخلف لساعة صافي الخاصة بعيادتها والموسيقى التي نالت إعجاب الجميع وقتها ونالت إعجابه شخصيًّا ، إذًا هو نفس الصوت المميز الذى يسمعه الآن ، لكن كيف يسمع صوت الساعة إن

كانت صافي في الخارج فتساءل بفضول . .
- صافي مش دا صوت الساعة اللي في العيادة طب إزاي وانتي برا؟!
سمع محسن شيئًا يقع مصدرًا صوتًا صاخبًا لتقول صافي سريعًا :
- الجلسة بدأت يا محسن معلش هكلمك تاني، وخليك في المكتب مش هتأخر. سلام، سلام
أغلقت صافي الخط على الفور فشعر محسن بأن هنالك شيئًا غامضًا يحدث، هناك حلقة مفقودة لا يستطيع الوصول إليها، في دقائق تحول عقل محسن لحقل من الأفكار ، آلاف الأصوات تدور في رأسه: صافي أول من علم بعلاقته بكل من ندى ومروة ولميس، حديث حسام الأخير. عصفت الأفكار، ولعب الشيطان بعقله بصورة كبيرة . ليس هناك شيء مستبعد.
لا يعلم لِمَ فكر محسن في ذلك، ولكنه بدأ في تفتيش أغراض صافي في المكتب علَّه يجد شيئًا يؤكد شكوكه، أو ينهيها من أساسها أخذ يبحث، ولكنه لم يجد شيئًا يشبع فضوله، فجلس يفكر في ما يحدث معه وما آلت إليه ظروفه؛ ليتحول من عاشق إلى مريض، ثم إلى مجرم لا يعلم ما جريمته، وحينما أعطته الحياة فرصة أخرى ليصبح عاشقًا لصغيرته » ملك « اختبره القدر فيها من جديد.

كان تذكر ملك كالشعلة التي أشعلت في عقله لتعود شكوكه إلى عقله من جديد؛ فعاد ليبحث في أغراض صافي من جديد حتى وجد أعلى الخزانة التي في زاوية مكتبها مجموعة أوراق في ملف، دون عليها من الخارج: رسالة ماجستير الدكتورة (. . . . .)
سقط فك محسن السفلي عندما قرأ اسم صافى الحقيقي، ونظر أمامه بصدمة حقيقية عصفت بكيانه بأكمله!!

***

» الاختبار في الحب يصنع الوحوش ، يكفي أن تشعر بالخطر تجاه من تحب؛ ليثور بركان قلبك و يغطيه الرماد فيصبح صلبًا لا يعرف الرحمة. «

كان محمود ينزل الدرج حينما وجد محسنًا يركض ويدفعه بعيدًا راكضًا للأعلى، وصل للطابق المنشود، وتحركت قدماه تجاه غرفة ملك وقف أمامها، وأمسك بالمقبض وقلبه يتلو كافة الدعوات والصلوات أن تكون بالداخل . ضغط محسن على المقبض، وفتح الباب و تقدم خطوتين وعيناه تمسح كل زوايا الغرفة، لترتد إليه عيناه خائبة فارغة من الأمل؛ فسقط على قدميه لتظهر عروق عنقه من أثر صراخه :
- »مـــلـــــــك «

ركض محسن كالمجنون و بحث عن محمود في كافة أرجاء المشفى فلم يجده، وقبل أن يخرج رآه يدخل غرفة جانبية ليختبئ . ومحسن قد بدأ يتحول لوحش كاسر لا يخشى شيئًا؛ فدخل غرفة رئيسية سل منها مشرطًا طبيًّا طويلًا، ثم اقتحم الغرفة التي دخلها محمود للتو؛ ففزع محمود ونظر لمحسن وعينيه التي ترميه بنظرات قاتلة فالتصق بالجدار، وهو يبتلع ريقه بصعوبة .

شهر محسن المشرط واقترب من محمود وألصق المشرط في منتصف عنقه ضاغطًا عليه؛ فتألم محمود وخرجت قطرات دم من عنقه، فصرخ محمود قائلًا :

- صدقني والله أنا عبد المأمور عملت اللي اتنفذ مني و . .

- ملك فين ؟!

- الدكتورة صافي قالتلي لو عملت كده هكون ممرضها الخاص أنا معرفش إيه اللي حصل أصلًا غير إن . . . .

- ملك فيين؟!

- يا محسن صدقني ده اللي اعرفه ، أنا مفيش حاجة بيني وبينك، أو بيني و بين ملك و. . . . .

- ملك فييييييين؟!

ضغط محسن على المشرط ليزداد اندفاع الدم من عنق محمود؛ فصرخ من الألم وهو يقول بألم :

- الدكتورة صافي خدتها وخرجت من ساعة، وقالتلي أقولك كده

بس معرفش راحوا فين والله.
سقط المشرط من يد محسن وابتلع ريقه بصعوبة، صور كثيرة تواردت على عقله:(ندى، مروة، لميس، دكتور علاء، ملك) هرول قلب محسن فوضع يده على صدره عله يسيطر على دقاته المجنونة .

***

» دائرة تسوقنا وفي المفترقات تتركنا نواجه ، إما نُهزم وإما نمر جرحى ، لا سبيل للانتصار، ثم ترى ضوء النهاية وما إن تصل تجد نقطة البداية ترحب بك من جديد لتكتشف أن الدائرة انتهت لتبدأ »
فتحت عينيها بثقل كانت الأرض تدور بها، فمدت أناملها لأعلى جبهتها تتحسسها بألم، ورفعت جسدها عن الفراش، نظرت حولها بتعجب كان المكان غريبًا تراه لأول مرة حاولت أن تستطلع المكان علَّها تعلم أين هي؟! فاقتربت من الباب لتسمع همهمات أحدهم يتحدث؛ فألصقت أذنها للباب، ولكنها لم تستطع استنتاج لمن يعود الصوت أو ماذا يقول؟ عادت للخلف لتصطدم بالمكتب لتسقط الزهرية وتتهشم لأجزاء؛ فزعت ملك، ونزلت لجمع شظاياها، ولاحظت اختفاء الهمهمات الخارجية؛ فخشيت أن يكون أصحاب المكان انزعجوا و سيأتون لتوبيخها في

أي لحظة، وبالفعل فُتح الباب وسمعت ملك صوت خطوات قدم تدق بقوة على الأرض فالتفتت لتنظر لذلك الحذاء الكبير الأسود الذي يتحرك بجوارها؛ فتركت الشظايا من يدها ورفعت رأسها بالتدريج وهي تطالع تلك الملابس السوداء حتى وصلت للأعلى لتجد عينين تنظران لها من خلف قناع أسود، زرع الذعر في قلبها ، امتدت يد صاحب القناع لتنزعه بهدوء؛ فابتلعت ملك ريقها وقالت بتلعثم ودهشة :

- د. . . . . . د. . . . . دكتورة صـ . . . صافي !!!!!

***

» أقصى درجات المحبة قاتلة، أخطر أعدائك أقربهم لك، وأصعب نهاية هي التي توقعتها و كذبتها، و الضحية الكبرى هو أنت؛ حينما تكتشف أنك فقدت كل شيء مقابل القليل من الأمان «

ضحكت صافي وأمسكت بذراع ملك وأجلستها على الكرسي، وجلست على طرف المكتب وقالت بهدوء :

- مالك خوفتي كده ليه؟! مقلب رخم أنا عارفه بس ما علينا أنا جبتك هنا؛ علشان نتكلم براوقة بعيد عن جو المستشفى.

ابتسمت ملك ابتسامة جميلة، ثم تساءلت بحزن :

- هو حضرتك كلمتي محسن !! خايفة يروح المستشفى، ويقلق لو ملقانيش

- متقلقيش محسن مش هيقلق عليكي ، إيه بقى اللي بينك وبين محسن حاسة بينكوا خلاف كبير الفترة اللي فاتت.

ابتسمت ملك بهدوء وقالت :

- عادي يا دكتورة خلاف زي أي خلاف بيحصل بين أي اتنين مخطوبين ، ما تشغليش بالك، محسن بيحبني ومش هيقدر على زعلي ولا بعدي أنا عايشة على حبه و . . . . .

شعرت ملك بوخز في يدها، فنظرت لصافي لتجدها تركز نظرها على ذراعها فحركت عينيها حيث تنظر؛ لتجد إبرة مغروزة في ذراعها، و صافي تفرغ محتوياتها في ذراعها فتساءلت بتألم :

- آآه ليه الحقنة دي ؟!

- متقلقيش دي علشان تسترخي أكتر وتقولي، اللي انتي حابه من غير انفعال ، هااا كملي

أرجعت ملك ظهرها للخلف، ثم بدأت تتحدث عن محسن وعن علاقتهم وحبهم. كانت توصف محسن كملاك منزوع الجناحين، ولكنها دائمًا ترى في عينيه حزن وربما انكسار، وعاهدت نفسها على محو أثره من عينيه، وإسعاده طوال حياته لأنه يستحق.

توقفت ملك عن الحديث بعد أن شعرت ببرودة تسري في أوصالها، وبدأت حبات العرق تتجمع أعلى جبهتها، وبدأت دقات قلبها تتباطأ؛ فنظرت لصافي فوجدتها ترتدي قفازات طبية في يدها وعلى وجهها ابتسامة قادمة من الجحيم، ثم مدت يدها،

وأمسكت بفك ملك السفلي واقتربت منها وصاحت بغضب، لا تعلم كيف تحولت لهذه الدرجة من القوة حتى أن ملك رأتها وحشًا كاسرًا غاضبًا :

- انتي اتجرأتي و سمحتي لنفسك تقربي وتحبي حاجة مش ليكي؛ فكان لازم تتعاقبي زي اللي قبلك، وأنا قررت أقوم بالمهمة العظيمة دي.

- تـ تقصدي إيه ؟!

- محسسسسسسن ! إزاي سمحتي لنفسك تقربي منه؟! أنتي عارفة ده يبقى مين؟!

- يبقى مين؟!

تسمرت صافي في مكانها، ودب الذعر في قلبها، وهي تسمع صوت محسن يصدح في المكان، وبالتحديد خلفها مباشرة تركت صافي السلاح على الطاولة، واستقامت لتلتفت، ونظرت له في ثبات بينما ينظر إليها بعيون دامعة ثم تخطاها، واقترب من ملك، و شعر ببرودة جسدها و لونها الشاحب؛ دب الذعر في قلبه، ودارت عيناه حولها فالتقطت بقايا الحقنة ملقاة على الطاولة؛ فخسر بقايا أمله في إنقاذها، أغمض عينيه وألصق جبهته في جبهتها، وسقطت دمعة حارقة تحوي نيران أمله وقال ببكاء مكتوم :

- سامحيني يا ملك اتأخرت أوي سامحيني يا حبيبتي.

لتلفظ ملك كلماتها الأخيرة في ثقل .

- مـ محسن أنا حبيتك مـ من كل قلبي، وصدقني كنت ناوية أدفع عمري عـ علشان أسعدك، بـ بـس الظاهر إني مكتوبلـي أموت بطريقة وحشة، ولتالت مرة بـ بسأل نفسي ذنبي إيه؟! مـ محسن ما ما تنسانيش أنا حـ حبيتك بجد حبيتك بحطام الأنثى اللي انت رممته من تاني، حـ حـ حبيتك حب الغريق للقشاية اللي انقذته، حبيتك وكـ كنت ناوية أرد لك ده سعادة، و و حب بس القدر كـ كان ليه رأي تاني، وهتـكمل الطريق لـ لـوحدك يا حـ حبيبي.

ذبلت ملك وسقطت ورقتها، وذاب جفنها على عينيها، و توقف صدرها المضطرب عن الهبوط والصعود، و أطلقت نفسها الأخير، وهي تسقط على صدر حبيبها الثائر بنيران الألم فأطلق بركانها بصرخة دوت في أرجاء المكان :

- مللللللللللك

رسمت الوجه القلق بجدارة لتقول بخوف مصطنع، وهي تحاول أن تنزعها من أحضانه :

- ابعد يا محسن بسرعة، خليني أفحصها يمكن أقدر أعملها حاجة، ابعد . . . .

دفعها محسن بقوة فسقطت أرضًا لتصرخ متألمة؛ فقال محسن وهو يضغط على أسنانه بغضب، وصرخ فيها ليسقط اللعاب من فمه من الاندفاع :

- ابعدي إيدك القذرة عنها يا هيام يا أسيوطى.
شهقت صافي بقوة بعد أن سمعت اسمها الحقيقي من فم محسن ، جحظت كلتا عينيها في صدمة عصفت بكيانها، و ألجمتها، وسقطت بتاج امبراطوريتها المزعومة ، علمت أنها قد فقدت كل شيء بعد ما امتلكته من جديد، وقفت واقتربت منه بدت غير متزنة على الإطلاق، وأمسكت بوجهه بين راحتي يدها، ورمشت مرات كثيرة وهي تطلع في عيني محسن وتساءلت :
- أنت أنت قولت مين؟!
لوى محسن فمه وأراح فم ملك على الكرسي كي لا تسقط، ثم وقف ونظر لها باشمئزاز وقال :
- ما كفاكيش إنك دمرتيني زمان جاية تكملي عليا دلوقتي إنتي إيه ! اتخلقتي منزوعة الإنسانية ليييييه؟! أنا بكرهك يا هيام بكرهك.
ارتعشت يدا هيام وعادت لاكتساب صفات عمرها الكبير، وقالت بخوف و رعشة ظهرت جلية في صوتها :
- لا لا أنا اللي محدش هيخاف عليك زيها، أنا اللي محدش هيحبك زيي يا كريم . . . أنا » أمك » يا كريم، أمك.
ارتعشت يدا هيام لتعيد احتواء وجه محسن من جديد و دار صمت مشحون فى المكان. دموع هيام ونظرات محسن الغاضبة، كان يطالع وجهها الذي خدعته حقن التجميل لشهور ظنًّا منها

أنها ما زالت شابة، ولكنها عجوز يغطي الشيب مداخل شعرها، والتجاعيد تغطي مساحة واسعة من عنقها لم يكن للمعان عينيها، ولا قربها وحنوها تأثيرًا إيجابيًّا على محسن، بل أنتج نتيجة سلبية، أمسكها من معصميها وقال صارخًا بصوت وحش مجروح :

- أنا مش كرييم أنا محسن ! كريم العيل الصغير أنتي قتلتيه بإيدك يا هيام هانم من وقتها، وأنا بقيت محسن اللي بيتوسل وبيشحت لأي نقطة اهتمام أو حب او إحساس أموي تجاه أي ست ، بقيت محسن المريض بمرض الحب شايف إن الاهتمام حب، والضعف حب، و الاحتياج حب، حتى الامتلاك حب ، اللي كان ممكن يبقى في غنى عن كل ده مقابل حضن من أمه لو أدته اهتمامها وحبها ،لكن انتي كنتي شيطان، شيطان مص دم ابنه بكل برود، وداس عليه وخطى علشان خاطر حاجة لا تذكر.

- ده . . . ده كان حلمي يا كريم !

- وأنا كنت ابنك الوحيد يا هيام هانم، فاكر كل حاجة كأنها إمبارح مش كأنها فات عليه أكتر من ٢٠ سنة

***

Flash back . .

كانت هيام تجلس في النادي تقرأ كتاب في هدوء فخلعت نظاراتها الشمسية، ووقفت حينما رأت طليقها وائل يقترب ومعه كريم

ابنها الوحيد . . اقترب منها وائل، فنظرت له وقالت :
- إيه اللي جابك يا وائل معاد جلسة المحكمة النهائية بكرة، وهي اللي هتقرر مين فينا اللي ليه الأحقية بضم كريم لكفالته.
- لأ لأ مش محتاجين محكمة يا هيام أنا جاي من نفسي أديكي كريم علشان تربيه انتي.
كانت سعادة الطفل كريم تغطي على كافة آلامه الجسدية الناتجة عن جروح ضرب والده المستمر وعقابه له، وابتسامته تعطي لوجهه نضارة أخفتها الجروح في وجهه . . ابتسمت هيام بانتصار كأنها تعلم أنها ستنجح في ضم ابنها لها، ولكنها تفاجأت باستسلام وائل السريع وطلبه أن تأخذ كريم ولكن فاجأها وائل قبل أن تمد يدها لتأخذ ابنها بأنه أخذه خلف ظهره، وأشهر ورقة بيضاء كبيرة في وجهها؛ فنظرت له بغضب وقالت :
- ممكن افهم إيه ده ؟!
نظر وائل للورقة وقال :
- دي إقرار منك إنك مقابل ابنك هتتخلي عن مهنتك للأبد، وإنك لو مارستيها أو مارستي القرف اللي بتعمليه ده تاني مش هتشوفي ابنك تاني لآخر يوم في عمرك.
صُدمت هيام مما قاله وائل، وزمجرت قائلة بغضب، وهي تمزق الورقة التي في يده :
- انت اتجننت إزاي تطلب مني طلب زي ده أنا مش مجبرة

أمضي لك حاجة، بكره المحكمة هتحكملي بضم كريم ليا، وانت هتطلع خسران كل حاجة يا وائل.
- قبل ما تقرري أو تزعقي، تعالي نقف على جنب نقول كلمتين جايز تغيري رأيك ولا حاجة.
لم تفهم هيام ما يرمي إليه زوجها، ولكنها وافقته فأجلس وائل ابنه كريم ووقف مع هيام لوقت وحدهم، وكريم الصغير يحاول أن يستطلع عما يتحدثان، ولكنه سعيد أنه سيعود لحضن أمه من جديد بعيدًا عن معاملة والده القاسية والجافة، وزوجة والده المؤذية .
عاد كل من هيام ووائل حيث يجلس كريم فركض الصغير واحتضن قدم والدته، فأبعدته عنها قائلة بقسوة ونفور :
- روح مع باباك يا كريم انت هتعيش معاه علطول، خد بالك من نفسك كويس.
حملت هيام حقيبتها ونظرت لوائل نظرة أخيرة لترى علامات الاشمئزاز والنفور على وجهه فارتدت نظارتها الشمسية وتحركت مبتعدة بكبرياء معهود عنها . ركض الصغير خلفها يصرخ مناديًا إياها :
- مااااامي ، ما تسبيش كريم يا مامي، عاوز اعيش معاكي، بابي بيضربني جامد أوي يا مااااامي استني كريم.
لم تلتفت هيام أو تتوقف لحظة واحدة، بل أكملت طريقها

إلى خارج النادي . سقط الطفل من سرعة ركضه ولكن واصل نداداتها، وهو يمد يده في أمل طفولي له أن تمتد وتمسك بها . .
اقترب وائل من ابنه ونزل لمستواه، و قام بحمله ونفض له ملابسه وقال بصوت خشن صلب :
- ما تتخيلش إنها هتقف وترجعلك، أمك اختارت حلمها وشغلها واتخلت عنك يا كريم ، دي مش أم دي وحش ما يعرفش يعني إيه رحمة،دي تدوس على كل الخلق المهم إنها توصل لحلمها، وانت كنت أول واحد داست عليك وما بصتش وراها، أمك اتخلت عنك لآخر العمر . .

***

flash back ٢
طلب علاء أن ينفرد بصافي ليدرسوا الحالة جيدًا، ووافق حسام على مضض.
جلست صافي وهي تضع قدمًا على الأخرى، و نظرت لعلاء منتظرة منه الحديث، وبالفعل أخذ زمام الحديث متسائلًا بخبث :
- ها يا دكتورة انتي رأيك إيه في الحالة دي ؟!
نظرت صافي لعلاء نظرات دهاء وقالت :
- مفيش رأي بعد رأيك يا دكتور علاء، انت أفهم وأدرى، وحسام باشا استعان بيك علشان كده حضرتك شايف إيه ؟

نظر علاء لملاحظاته وقال :

- الظاهر قدامي إنه انفصام حاد في الشخصية ، محسن بيقتل وهو ميعرفش إنه القاتل؛ والدليل التعب الجسمي اللي بيحسه كل يوم الصبح، وأثر الجرح اللي على رقبته هو ميعرفش مصدره، كان ظاهر في رد فعله وكلامه، ونيته في الانتقام كانت حاضرة، بس مع شخصيته الضعيفة خلته يلجأ لشخصية تانية أقوى منه هي اللي تقتل ، شخصية أقوى ، شخصية بتظهر مع الوقت أو الضلمة لما كله يختفي من قدام عينيه، ويخرج الوحش اللي جواه، وينفذ كل رغباته المكبوتة تجاههم .

ابتسمت صافي وقالت :

- انت دكتور شاطر جدًّا يا دكتور علاء، وده واضح جدًّا في اهتمامك بالتفاصيل الصغيرة والمهمة، وتشخيصك ماشاء الله.

- ميرسي يا دكتورة ، طبعًا تشخيص زي ده كفيل إنه يرجع محسن المستشفى تاني، وممكن يفضل فيها مدى الحياة تؤ تؤ تؤ يا خسارة.

ضحكت صافي ضحكة ساخرة ابتسم بعدها علاء مظهرًا أسنانه الصفراء من أثر السجائر والكافيين، فقالت صافي بدون تردد :

- مش هتتغير مهما مر عليك وقت، هتفضل علاء بتاع الفلوس لآخر يوم في عمرك.

ضحك علاء بدناءة وقال :

- أحب أن سمعتي تكون سبقاني دايمًا والله ، كتر خيرك وفرتي عني كتير أوي من الكلام، نقول ٢٠٠ ألف كويس، بردو محسن غالي علينا ويستحق.
ضحكت صافي للمرة الثانية، ثم وقفت منهية الجدل قائلة :
- تبقى غلطان يا دكتور علاء لو فاكر إني هديك جنيه واحد ، محسن مجرد مريض عندي، وصعب عليا علشان ملوش حد مش أكتر، إنما هو مايفرقش معايا في حاجة أصلًا، بس خليك فاكر إن حياة إنسان في ايدك، سلام.
- استني بس اوعي تفكري إني مش عارف حاجة ؟
هنا توقفت صافى قبل أن تخرج، والتفتت إليه وقالت:
- عارف إيه ؟!
ابتسم علاء وقال : عارف إن محسن ده يبقى ابنك !
فغرت صافي فمها وتلعثمت وقالت : دا . . دا تخريف اللي انت بتقوله، ابني إيه، وكلام فاضي ايه ، انت مجنون!
ضحك الدكتور علاء بقوه ليقول : أنا برضه اللي مجنون يا دكتورة ، ما بلاش نفتح في الماضي ، احنا دافنينه سوا.
- انت بتهددني ؟!
ابتسم الدكتور علاء وقال وهو يقف أمامها:
- لا مش بهددك ولا حاجة ، بس لما محسن يعرف إن الدكتورة اللي بتعالجه فى المستشفى هى أمه اللي رمته من سنين وهو

طفل ، أو تخيلي إن أمه دي ، هيا أصلًا دكتورة مجنونة ومضطربة نفسيًّا و بتمارس الطب النفسى من على الشمال، وياما قتلت مرضى ومرضى زمان ، وكان سبب طلاقها من جوزها بس المهم تعمل الفلوس .

- احنا كنا بنعمل كل حاجة سوا ومع بعض ، ومتهددنيش بدل ما أطربقها على دماغك قبل مني.

- تؤتؤتؤ ، مش هتكون أكتر من الشهادة اللي معايا اللي بتثبت إنك مختلة عقليًّا، وعندك مرض نفسي ، وتخيلي بقى اللي هيحصل لما دكتورة فى اسمك ومركزك وسمعتك ، و النقابة تعرف إن وساختك وقتلك للمرضى وتجارة الأعضاء، وممارسة الطب النفسي من الشمال، وغيرها،وغيرها ، تحبي نطربقها يا دكتورة هيام ؟

تجمدت ملامح هيام وقالت :هات من الآخر عايز إيه ؟

ابتسم علاء كالعادة وقال : أنا طبعًا قبل ما باجي أي قواضي زي دي أختبر فيها عقل المريض لازم اعرف هو مين، ومن حسن حظي إنه طلع معرفة بأغلى الناس لقلبى ، وانتي مهما كان أنتي أم و مترضيش لابنك السجن والمرمطة، فانتفق و أنا هخرجلك ابنك زي الشعرة من العجينة و أشكك فى حالته وهعرف أطلعه .

- كام ؟

- مليون أخضر

- موافقة بس بشرط ؟

- نسخة من الشهادة اللي عندك تبقى معايا !
- عنيا يا قمر

***

عودة للوقت الحالي .

صرخ محسن بقوة وأزاح كل ما على المكتب بذراعه ليوقعه أرضًا مصدرًا ضجة قوية، وقال صارخًا وهو يضرب يده على المكتب :
- اتخليتي عني علشان خاطر حلم وهمي بتجري وراه، دانا كنت غريق ومستنيكي تنجديني من العذاب اللي عايش فيه، كنت طفل عاوز حضن أمه.
صدح صوت محسن بألم مريب، وأكمل حديثه وهو يشير إليها بسبابته :
- بس انتي أنانية، وما تعرفيش حاجة عن الرحمة زي ما بابا قال، انتي لا يمكن تكوني أم انتي . . . .
- كداااااب ! أبوك كدب عليك يا محسن، أنا ما اتخلتش عنك بمزاجي، وائل هددني إنه لو أخدتك هيشهر فيديو ماسكه عليا ، فيديو القانون يعتبره جريمة، بس أنا بعتبره عدل كان هينهي كل حاجة عملتها للناس، وكان هيلف حبل المشنقة حولين رقبتي ، والعمر غالي جدًا يا محسن.

ضغط محسن على أسنانه، وقال بصراخ :
- ولما انتي عارفة إن العمر غالي، قتلتي ندى ومروة، ولميس، وعلاء و . . . . وملك ليييييييييه؟! بأي سلطة تحرميهم من عمرهم وحقهم في الحياة، دول بشر زيهم زيك، وكانوا عاوزين يعيشوا تقتليهم ليه ؟!
- كـ كـنت بحميك يا محسن ، باخد حق ابني من اللي آذوه ودمروه، من أي حد مسه فى يوم بألم ، كان لازم أعوضك يا حبيبي عن كل الوجع اللي شوفته من بعدي
ضحك محسن بسخرية وقال :
- لا يا دكتورة صافي هي دي رسالتك أصلًا واللي بابا حاول سنين يوقفك عنها ، لما دخلت مكتبك وقريت اسمك الحقيقي على رسالة الماجستير الخاصة بيكي اتصدمت إنك » أمي » من أول مقابلة، ومن أول نظرة ولمسة منك حسيت بحاجة غريبة، بس كنت مكدب نفسي، بس لما كملت قراية الرسالة عرفت إنك بتتبعي أسلوب صهيوني منزوع الرحمة في إنك تنتقمي من اللي اتسبب في وصول المريض للحالة دي، وبكده الحالة بتتحسن، وهي بتشوف حقها بيترد ، بتردي الحق بإنك توسخي إيدك بالدم.
قالت صافي باندفاع مبررة :
- عادي أنا درست النوع ده في أمريكا، وهو نوع علاج متعارف عليه هناك، ولا مرة خيب معايا وعلطول بيدي نتايج كويسة، و

في كل الحالات الانتقام من الظلم مش ظلم ولا جريمة، ده عدل بطبقه بإيدي.
صدح صوت محسن قائلًا بغضب :
- » دم المسلم على المسلم حرام » مش انتي المسئولة رد الحق فيه ناس موكلة بكده، وقبل الناس فيه رب العدل بيرد المظالم، بس انتي قررتي توسخي إيديكي بدم ناس بريئة ماتستحقش الموت.
نظر محسن لملك التي فارقت الحياة، ودمعت عيناه، وتحرك تجاه الأريكة، وارتمى عليها دفن رأسه بين راحتي يديه وبكى كالطفل الصغير ، شعور الفقدان مؤلم يعصف بقلبك كجسد نزع عنه كافة أجهزته، وطُلب منه مواصلة الحياة ، لا يعلم محسن ما الذنب الذي اقترفه ليعيش عمرًا في الألم طفلًا كان أو شابًّا؟! وإن شاب و قضى العمر نَحبه، فما العذاب الذي ما زال ينتظره؟! بكى حاله وبكى على حبيبته، وطفولته، وشبابه، بكى كما لم يبكِ من قبل . . . . .
وقفت هيام في زاوية الغرفة تنظر له في ألم لم تتمنَ يومًا أن ترى طفلها في هذا الوضع، لم تكن تريد إلا أن تأخذ حقه ممن ظلمه، وتسبب في دموعه يومًا ، لم تكن تعلم أن مفهومها عن العوض أكبر ما تسبب في قتل ابنها حيًّا، فاقتربت منه، وجلست بجواره وقالت بصوت متألم باكي :
- أنا آسفة يا ابني مقدرتش أكون الأم اللي بتحلم بيها، مقدرتش

أشوفك بتكبر قدامي كل يوم، بس صدقني أمك بتحبك يا كريم، وكانت بتعمل كل حاجة علشان تسعدك

- قتلتيهم إزاي ؟! عاوز أعرف وصلتي لهم إزاي وقتلتيهم؟! . .

قالها محسن بعد أن رفع رأسه، ونظر لها بعين حمراء دامعة تلعثمت صافي و نظرت له بتعجب، ولم تجب فابتسم محسن بيأس وقال :

- ما تخافيش مبقاش عندي حاجة أخسرها كل حاجة راحت، بس عاوز أعرف عملتي إيه ؟

عادت صفية بظهرها للخلف، ونظرت أمامها وبدأت تحكي كافة ما حدث بسلاسة، وكأنه حدث منذ دقائق.

***

»كم هو مظلم أن تقضي وقتك مع أحد، وأنت لا تعلم أنه الموكل بإرسال روحك لخالقها . . لا تثق «

خرجت صافي من مكتب الدكتور سيد الفظ كما تسميه دائمًا، حديثه دائمًا صريح بشكل زائد عن الحد ومخترق لحدوده الشخصية، ولكنها كانت لتفعل المستحيل لتستطيع الحصول على حالة محسن لتصبح تحت رعايتها، وبالفعل بصعوبة استطاعت إقناعه بالأمر . . دخلت مكتبها وجلست على كرسيها الوثير، وهي تشعر بالحماس لتلك الحالة الجديدة والمميزة، وبعد دقائق

دق المساعد الخاص بالدكتور سيد الباب، ودخل ليضع ملفًا على مكتبها، والتفت مغادرًا فنادته وهي تطالع الملف :

- انت ياااا . . أنا عاوزة ملف الحالة ٩٩٤

- ماهو ده يا دكتورة، اقلبي الملف هتلاقي الرقم الناحية الثانية.

ففعلت وتأكدت من الرقم فهزت رأسها، وأمرته بالذهاب، وما إن فتحت الملف حتى شعرت بالصدمة تضرب أنحاءها؛ فرفعت عينيها عن الملف، وهي لا تصدق ما قرأته للتو داخله . .

الاسم : محسن وائل المتولي، وشهرته (كريم المتولي)

التشخيص :- صدمة نفسية وعصبية أدت إلى اهتزاز في الشخصية

اسم الشهرة بعد الفصام : محسن الغايب

شهقت صافي في صدمة، وقفت ويدها التي تمسك الورقة ترتعش بقوة، قرأت الاسم أكثر من عشر مرات متتالية، تذكرت تلك المرة التي رأت فيها رباط حذاء محسن غير محكم الغلق، وحينما سألته قال لها: إنه لا يستطيع ربطه، ثم تذكرت صغيرها وهو يذهب لها كل يوم لتربط له الحذاء، وحينما تأمره بربطه يقول إنه لا يعرف كيف يربطه . فهمت لِمَ هاجمتها ذكرياتها كلما لمست محسن أو اقتربت منه؛ تعرف عليه قلبها قبل عقلها . .

بكت صافي على ما توصل إليه ابنها في بعده عنها ، كيف أصبح مريضًا ملقى بأحد أركان مشفى الأمراض العقلية؛ بسبب ثلاث نساء لعبوا بقلبه وعقله، وخدعوه باسم الحب، واستغلوه حتى

وصل هنا .
أقسمت صافي أن تنتقم لابنها وأن تعيد حياته طبيعية ، وساعدته على التعافي و دفعت أموالًا طائلة لصاحب مطعم كي يعين محسن عنده، ويعامله معاملة سوية.
طوال تلك الفترة أخذت صافي تجمع كافة المعلومات عن ندى ومروة ولميس، ثم بدأت في وضع خطتها المحنكة .
في أحد المطاعم كانت تجلس ندى تتناول طعام الغداء، ثم طلبت مشروبًا باردًا فدخلت صافي للمطبخ لتشكر الشيف على طعام الغداء ودون أن يلتفت أحد أسقطت حبة سريعة الذوبان في كوب العصير الخاص بندى ، بعد وقت جلست فيه صافي تتابع ندى وجدتها تهذي، بدأ كل شيء يسقط من يدها، ثم غابت عن الوعي؛ فركضت صافي تجاهها، وقالت بأنها طبيبة نفسية و ستتولى الأمر، بعد أن استفاقت ندى وبكت بقوة لا تعلم سببًا لذلك.
استخدمت صافي خبرتها كطبيبة نفسية تتولى زمام الأمور، وتعبث بعقلها فقالت :
- ندى انتي رقيقة جدًّا بس باين عليكي الاكتئاب جدًّا ليه كده؟! وبعدين قوليلي اللي حصل النهارده، ده حصل معاكي قبل كده ؟!
هزت ندى رأسها نافية :
- لأ خالص بالعكس أنا صحتي كويسة وبعتني بيها كويس، بس

يمكن عندي شوية ضغوط، آه
- الضغوط دي وصلت لدرجة الاكتئاب، وإنك تفقدي وعيك، دي إشارة مش كويسة خالص ، لو حابه أنا ممكن أساعدك؛ لأنك بصراحة دخلتي قلبي وحبيتك أوي.
سعدت ندى كثيرًا لطلب صافي، ولكن قالت بحزن :
- بس رجاء مش حابه حد يعرف حاجة خالص؛ لإن انتي عارفة مجتمعنا لو قولت إني بروح لدكتورة نفسية معناها إني مجنونة.
- أكيد طبعًا فاهمة، وليكي اللي تطلبيه.
ابتسمت صافي بعبث، كل شيء يسري كما خططت له تمامًا ، ظل كل من ندى وصافي يتوصلان ويتقابلان، حتى جاء يوم و أخبرت ندى صافي أنها في المنزل اليوم، وهو فارغ من أهلها، ما رأيها لو أجرت الجلسة عندها في المنزل؟ ووافقت صافي بسعة صدر ، واعتبرتها صافي فرصتها، وأعدت نفسها جيدًا، وفي الموعد كانت عندها في المنزل وراعت أن لا يراها أحد نهائيًّا .
جلسا سويًّا ثم أخذا يتحدثان في أمور شتى، ثم أراحتها صافي على الفراش، وأخرجت حقنة من حقيبتها؛ فقفزت ندى قائلة :
- لالا حقنة لأ أنا بخاف.
ضحكت صافي، وأراحتها على الفراش ثم غرزت الحقنة في يدها وهي تقول :
- دي علشان تسترخي أكتر ما تقلقيش.

بعد وهلة بدأ العرق يتصبب من وجه؛ فنظرت لصافي بوهن وقالت :
- دكتور صافي اتأكدي من الحقنة دي تاني، أنا حاسة إنك ادتيني واحدة تانية بالغلط، أنا حاسة إني هموت.
أطلقت صافي ضحكة مرتفعة، ونظرت لندى وهي تضع قدمًا فوق الأخرى وقالت :
- تؤ دي الحقنة الصح فعلًا.
نظرت لها ندى بخوف وقالت :
- انتي مين؟!
- انتي مش عارفة أنا مين ؟!
- هعرف منين ؟!
- أنا اللي هاخد حق ابني منك !
- ابنك مين ، أنا معملتش حاجة !
- أنا هيام أم محسن فاكراه ؟ محسن اللي ضيعتيه من شغله علشان كلام تافه ، ذلتيه قدام كل اللي في الشركة، وأنا جاية أنتقم لابني اللي حبك، وحب قلبك بس انتي طلعتي وسخة، وما طمرش فيكي كل اللي عمله ليكي جاااحدة.
- مـ محسن اانتي أ أمه ؟! محسن هو اللي خاين وكداب و و ضحك عليا وخدعني و . . . . .
- اخرسي . . . . وضعت صافي يدها على فمها لتمنعها من الحديث

شعرت أن أنفاسها قلت وعلى وشك أن تلقى حتفها؛ فجلست تستمتع بهيئتها وهي تموت وأخذت تفتش في حقيبتها، فرأت ذلك السلاح اللامع أمام عينيها؛ فخطرت بقلبها فكرة قد تشفي غليل ابنها منها؛ فسلته من الحقيبة، واقتربت منها، و خلعت عنها ملابسها وبكل ثقة أمسكت السلاح، وأخذت تروح به بين ضلوعها، مستمتعة بمنظر الدماء، ودفعت بيدها داخل تجويف صدرها، وخلعت قلبها من محله، وألقته أرضًا، وأمسكت بمطرقة كبيرة، وهشمته إلى أجزاء و فتات صغير

ثم بمنتهى الهدوء أخذت هاتفها مسحت كافة المكالمات ورقمها، من هاتف ندى وحملت أشياءها، ومسحت كافة آثارها، وخرجت في هدوء دون أن يلاحظها أحد أو أن يراها، وفي طريقها أخرجت الشريحة المزيفة وكسرتها، وألقتها على الطريق.

مرت فترة التحقيق وكانت تنوي صافي أن تضع مسافة وقت كبيرة بين كل انتقام وآخر كي تضع الخطط المحكمة و تنفذها دون وقوع أخطاء .

في إحدى الليالي عاد محسن من الخارج، و هو محبط تبدو على وجهه علامات حزن وخيبة قرأتها صافي سريعًا فمن أقرب للأم في الإحساس، وفهم ابنها؛ فنظرت له بتعجب وتساءلت :

- مالك يا محسن ؟!

نظر لها، وحكى لها كل شيء حدث بينه وبين مروة في لقائهم الأخير؛

فتضايقت من طبع مروة، ولكنها أخذت تهون على محسن، و أصرت أن يبيت في المشفى هذه الليلة أيضًا كي تستطيع الاعتناء به أو كي تنفذ خطتها الجديدة .

كانت صافي تعلم أن مروة من عشاق المساج، وأنها تداوم عليه باستمرار، فأرسلت لها دعوة لتجرب المساج لديها في منتصف الليل على الشموع والموسيقى الهادئة لتكون وجهة المكان الجديد، ولأنها تعلم أن مروة تحب المظاهر والمكانة المرموقة؛ ستوافق على هذا العرض، وبالفعل هذا ما تم، ووافقت مروة على هذا العرض السخي الذي أرضى ميولها وغرورها . .

بعد منتصف الليل . .

صعدت صافي لغرفة محسن، و أمرت محمود بوضع قطرتين من المنوم في كوب العصير الخاص به؛ فتأكدت تمامًا أنه غط في نوم عميق حاولت هزه أو مناداته، ولكن يبدو أن محمود الغبي قد زود الجرعة عما أخبرته، ولكن لم يكن الوقت المناسب للتفكير ، في دقائق نزعت عنه جاكيته، وارتدته ووضعت غطاء الرأس؛ لتتخفى تمامًا عن الأنظار . .

كان حارس المشفى يتجول ليتأكد أن كل شيء على ما يرام، ثم جلس على الأريكة المجاورة للبوابة، وبدأ النعاس يتسحب لعينيه، ولكنه سمع خطوات تقترب فنظر بالجوار ليجد محسنًا يخرج من البوابة؛ فوقف يناديه شعرت صافي بالخوف، ولكن هذا

هو المطلوب فلم تعره اهتمامًا، رفع صوته علَّه يسمعه، فوقفت لدقائق دون أن تلتفت لتؤكد له أنها سمعته، ثم واصلت سيرها إلى الطريق الرئيسي . . . . . .
وصلت صافي المكان الذي دفعت أموالًا طائلة كي تأخذه دون أوراق رسمية لليلة واحدة فقط، ومن خلال الهاتف فقط، وأرسلت محمودًا يعده جيدًا، ويضع لوحته المزيفة، واشترت صمته بالكثير من المال . . خلعت جاكيت محسن قبل أن تصل مروة، والتي استقبلتها استقبالًا حارًّا . نظرت لها مروة بتعجب وقالت :
- مش انتي؟!
- أيوه أنا دكتورة محسن النفسية، بس زي ما انتي عارفة مرتب المستشفيات الحكومي، مرتباتها في النازل فقررت أعمل مشروع على قدي كده، وبما إني دارسة المساج ده في أمريكا أعتقد إنه هيكون من أفضل الأماكن اللي فى مصر، وبأفضل الطرق الطبية مع الاحتراف يارب يعجبك. . .
تحمست مروة كثيرًا للفكرة، ثم دخلت الغرفة المجاورة، تجردت من ملابسها، ولفت منشفة حول جسدها، وجلست على طاولة المساج وانتظرت صافي، حتى خرجت وهي تحمل صنية كاملة من العطور والزيوت
ابتسمت مروة و واسترخت من رائحة الزيوت، و وضعت صافي الصينية جانبًا وأخرجت حقنتها الخاصة، وبعد ثانية شعرت مروة

بوخز في ذراعها؛ فنظرت لتجد حقنة مغروزة في ذراعها، فنظرت لصافي وقالت غاضبة :
- إيه ده انتي إزاي تديني حقنة من غير ما تستأذنيني، حقنة إيه دي؟!
أفرغت صافي سائل الحقنة في ذراع مروة، ثم نظرت لها وقالت ببرود قاتل :
- أنا قولت لحضرتك سيبيلي نفسك خالص، وانتي مش هتندمي أنا دكتورة نفسية والحقنة دي هتخليكي تسترخي خالص و أقدر أعمل شغلي اللي هيعجبك جدًّا، وتكوني راضية بنسبة كبيرة أوي عنه.
رأت صافي الخوف في عيني مروة، ولكنها أراحت لها عنقها، وبدأت تحرك كفيها على ظهر مروة بطريقة هادئة . بعد دقائق شعرت صافي بثقل نفس مروة، وتعرق جسدها الشديد فابتسمت، ولم تتمهل أمسكت بالحقنة وبدأت تذهب وتغدو على جسد مروة و مروة تتألم بقوة فاستجمعت كل قواها لتدفع صافي بعيدًا؛ فضحكت صافي على قلة حيلتها وتساءلت :
- تعرفي أنا مين ؟!
- انتي شريكة المتخلف محسن ، اللي قتل ندى، وبعتك علشان تقتليني وأنا غبية و صدقتك، ووثقت فيكي، حتى بعد ما عرفت إنك تبع محسن.

ضحكت صافي بقوة، وأمسكت بفك مروة بغضب :

- بعيدًا عن إنك كملتي بس علشان ترضي غرورك إنك سيدة مجتمع؛ فأنا مش شريكة محسن أنا أمه، فاهمة يعني إيه أمه ، محسن قلبه متحكم فيه ميقدرش يقتل نملة، حبك من كل قلبه، وكان عاوز يكمل حياته معاكي، وانتي طلعتي مجرد عاهرة، الرجالة بتشتريكي بالفلوس، وضحكتي على ابني وخدعتيه بقناع العفة بتاعك، وذلتيه قدام كل الموجودين وكسرتي نفسه، وأنا اللي هاخد له حقه منك .

قالت مروة بوهن وضعف :

- انتي مريضة انتي وابنك مجانين.

لم تتمهل صافي، وقلبت وضع مروة لتصبح على ظهرها، و أخرجت سلاحها، وقامت بوضعه بين ضلوعها، ضغطت صافي بقوة على السلاح، كان الانتقام يشعل عينيها، وصرخت مروة، وكان صراخها يدفع صافي لتقوم بالمزيد، وبقوة شيطانية كانت صافي تدفع السلاح ليروح ويغدو في جسدها ، أخذت الدماء تتناثر خارج جسدها، و خبا صوت مروة وقبل أن تلفظ نفسها الأخير دفعت صافي يدها في تجويف صدر مروة وانتزعت قلبها من حيث يقبع، وألقته في الأرض وهشمته بقوة، وهي تصرخ بغضب، ثم وقفت وأغمضت عينيها وتنفست الصعداء بانتشاء بعد أن أتمت خطتها.

كما فعلت سابقًا مسحت كافة بياناتها من هاتف مروة، ثم اغتسلت جيدًا وارتدت جاكيت محسن، وخرجت وعادت للمشفى، وفي طريقها بلغت الشرطة من خطها المسروق، وبعدها ألقت الهاتف تحت عجلات السيارة، ثم ألقته من ارتفاع عالٍ وعادت أدراجها ، ألبست الجاكيت لمحسن، ثم عادت لتنام في الغرفة الملحقة بمكتبها، وكأن شيئًا لم يحدث . . . . .

***

- إزاي بتحميني وإزاي بتلبسيني التهمة، وتاخدي الجاكيت بتاعي علشان الحارس يقول إنه أنا فهميني؟! . . . كاد محسن أن يُجن من حديثها، كانت ملامحه توحي بالصدمة والخوف والتعجب.
قرأت صافي الخوف في عيني محسن؛ فقالت وهي تمسك بذراعه بكلتا يديها :
- مكنتش بلبسها لك كنت بنفيها عنك ، كنت عارفة إن البوليس هيقبض عليك، ووقتها قتلت لميس وانت خرجت ، كان لازم تكون في إيد البوليس علشان يصدق إنك بريء، وفي نفس الوقت يفتح لي سكة إني أقتل لميس بدون مراقبة .
- طيب ولميس قتلتيها ازاي ؟!
تنهدت صافي وقالت باختصار :
- مفيش بعد ما سمعت بموت مروة، وأنا اللي وصلتلها الخبر

بطريقتي اتجننت ومرات أبوها طلبت المستشفى هنا، علشان نبعتلها دكتور يشوفها، بقيت أروحلها كل يوم، وخليتها تثق فيا، وفي يوم قالتلي فيه إنها في بيتها لوحدها، وإن أبوها ومراته سافروا، وطلبت إنها تقابلني؛ فقررت إنه اليوم الموعود، و جواسيسي في المكان قالولي إن حسام بيحقق معاك ، ما استنتتش أكتر، روحت وحاولت أكسر عليها الباب واديتها وقت علشان تكلم البوليس، وتطلب النجدة؛ علشان أبعد حسام عنك وبعد ما كلمتهم قدرت أدخل وقتلتها زي ما قتلت مروة وندى.

- وعلاء ؟!

- لأ ده كان أمره سهل خالص، بعد ما اتكلمنا وقلت لي إنك اتقهرت من كلامه كان لازم اخد لك حقك، ورحت له في وقت عارفة إنه لوحده فيه، وقتلته بمنتهى السهولة مخدش في ايدي وقت ، كان لازم أخلص منه من زمان أصلًا؛ كان ماسك عليا حاجات كتير، وجه الوقت اللي كان لازم يموت فيه .

قطب محسن ما بين حاجبيه باشمئزاز، ولكن أغمض عينيه وفتحها لينظر لـ » ملك » حبيبته المسجية أمامه بلا حراك منزوعة الروح، جسد لا حياة فيه ففهمت صافي سؤاله فقالت باندفاع :

- كانت خطر كبير عليك؛ كانت هتوجعك وتأذيك انت مش مجبر تصلح غلطة حد تاني، وكان لازم أشيلها من طريقك دفعت مبلغ وقدره للدكتور سيد يعيشه مرتاح طول عمره في مقابل إنه يمثل

إنه بيكهربها علشان يحصل عليها. الخطة كانت مترتبة وكل حاجة مشيت زي ما خططت بالظبط ، اديت ملك جرعة من دوا خلاها غير متزنة لفترة، وبيسبب هلاوس ولعبت على عقلها الباطن إنها بتتكهرب، و إن الدكتور سيد بيعتدي عليها، وزرعت الخوف جواها لحد ما وصلتلك الصورة اللي كنت عاوزاها توصلها لك، وكانت مهمتها لازم تخلص لحد كده .

نظر لها محسن بصدمة حقيقية، ثم تساءل بتعجب :

- والوجع اللي كنت بحسه كل يوم الصبح، وإن أنا عندي انفصام و كل الكلام ده.

- كنت بديك عقار يحسسك كل الأحاسيس دي، ويخليك تقوم حاسس بأعراض الانفصام كلها.

غضب محسن، وتساءل بقوة :

- ليييييييه ؟!

ضمت صافي يدها لصدرها، وقالت بحنو :

- علشان تفضل في حضني، وما تبعدش عني أبدًا يا كريم.

اقتربت منه فدفعها بعيدًا عنه، ووقف ونظر لها وقال باشمئزاز :

- انتي مش بشر انتي وحش ، وحش حقيقي منزوع القلب، بس اسمحيلي أوضحلك يا هيام هانم إن المجرم الحقيقي اللي قهرني وكسرني وأذاني وحطمني هو » أنتِ » أيوا أنتِ ، كنت محتاجك أكتر ما احتجت أي حد في حياتي، انعدم عندي مفهوم

الحب بقى أي حد يعاملني بلطف، أو بيعوضني شوية عن حنان الأم اللي اتحرمت منه أقول ده حب بقيت أحب واحدة واتنين وتلاتة؛ علشان عاوز أكبر قدر من الحنان والاحتواء والحب ، هم مش غلطانين كل ضعيف بيستقوى على اللي أضعف منه، وأنا كنت أضعف طرف في الدايرة دي، فكان كله بيستقوى عليا، والسبب الحقيقي في الضعف اللي أنا فيه هو » أنتِ « بردو اختارتي حلمك، و سيبتيني الحياة تخبطني يمين وشمال، سيبتيني أشحت الاهتمام، والحب، ولما قررتي تعوضيني قتلتي ناس أبرياء، وحرمتيهم من حقهم في الحياة وفاكرة إن ده الحب -نظر محسن لملك-ويوم ما لقيت الحب الحقيقي اللي دخل قلبي، وحبني من كل قلبه وحبيته من كل قلبي حرمتيني منه، وخلتيه يموت بين ايديا . . . . أنا بكرهك بكرهك بكرهك بحق كل وجع وتعب عيشته بسببك، بكرهك بحق كل دمعة نزلت مني.

- كريم لأ أنا أمك بخاف عليك من نفسي يا كريم، صدقني وكنت بحميك . .

ركضت صافي تجاه محسن.

لكن أخرج محسن مسدسًا كان يحتفظ به في ظهره، وقال بعد أن داعب أنفه رائحة أسطوانة الغاز التي فتحها، ما إن دخل العيادة :

- أجبرتني الحياة إني أكون راجل بـ٣ فساتين، وبعدين أكتشف إني

واقف لوحدي في وش ريح المفروض إنها تبرد روحي، بس طلعت عاصفة قضت على الأخضر واليابس ، و العاصفة لازم تقف قبل ما تدمر اللي باقي على الأرض، وتقلع أرواح ناس ملهاش ذنب . . . .
لم تفهم صافي ماذا يقصد محسن ليصدر صوت إطلاق ناري مدوي . . . .

***

كان حسام يجلس يضع قدمًا فوق الأخرى يشرب كوبًا من الشاي الدافئ، وأمسك بالجريدة يقرأ آخر الأخبار التي حدثت في يومي الإجازة التي قضاها، و هشام يجلس بجواره يعبث بالهاتف .
فتح حسام الجريدة ليجد العنوان الرئيسي في الجريدة حريقًا هائلًا بسبب انفجار اسطوانة غاز في إحدى العيادات النفسية للدكتورة صافى الأسيوطي في القاهرة شارع أحمد عرابي، العقار رقم ٧ ، الدور الثاني، نتج عنه ثلاث جثث متفحمة واحدة لرجل واثنين لامرأتين .
- يا ساتر يارب إيه الأخبار اللي تسد النفس دي على الصبح افتح الجرنال ألاقي حريقة في وشي، وبعدين إيه ده مش دي عيادة الدكتورة . . . . . !!!!!!!!
قال هشام بدهشة:

- أيوه الدكتورة صافي اللي متابعة حالة محسن، كانت جوا العيادة ومعاها محسن.
صدم حسام بشدة وتساءل :
- طيب والجثة التالتة دي بتاعت مين ؟!
- محدش عارف حتى مفيش في جسمها مكان ل DNA إنه يتعرف عليها، ولا حتى الجثتين التانيين بس فيه عامل في المستشفى قال: إن الدكتورة كانت في العيادة، ومحسن راحلها!
نظر حسام أمامه وقال بزفير :
- يبقى إحساسي كان صح، ومحسن فاق بعد الوقت ما فات ونقدر نقول إن » ومن الحب ما قتل » !
- دا اللي هو إزاي يعنى؟!
- ساعات العلاقة بتوصل بين الطرفين لحيطة سد نتيجة الخلافات والمشاكل اللي بيعشوها، وملهاش حل حتى لو كان فيه حب ، فتلاقي الطرف اللي بيستحمل كتير وبيجيب آخره ومش قادر يكمل ،ومش بس مابيكملش ممكن يوصل لمرحلة بإنه يهد المعبد على اللي فيه ، ممكن يعمل أي حاجة محدش يتوقعها، زي إنه يتخلص من اللي معاه، أو يتخلص من نفسه شخصيًّا، وده لما بيفقد القدرة على التعامل مع الطرف التاني ، وشايف إن مهما كان التعامل معاه بشكل كويس فمفيش أي نتيجة إيجابية من الطرف التاني مهما كان حبه ليه ، وإن اللي قدامه مش هيغير من

نفسه، فبيكون وصل لأقصى ما يمكن أن تتخيله، وبيقرر ينهي العلاقة بأي شكل وده بيختلف من شخص لتاني .

- يعني محسن !
- محسن هد المعبد على اللي فيه لما وصل لليأس !
- نهاية صعبة أوووى !
- لا نهاية رمادية!

******

تمـــــــت بــــــحمد الله

مسار
للنشر و التوزيع
Massar publishing & Distribution

01020439639